

واقع جيوسياسي جديد في الشرق الأوسط يغذيه الصراع والإرهاب

د. عبد الحفيظ عبد الرحيم محبوب

نشر إلكترونيا في رجب، ١٤٣٦/أبريل، ٢٠١٥.



الإخراج الفني: بدور البلادي
التدقيق اللغوي: هبة العربي

محتـــويات الكتـــــاب

مقدمة

دائما ما يكون التعامل مع الشرق الأوسط وفق المفاهيم الغربية التي تقود في النهاية إلى كوارث ، في حين سعى العرب إلى استيعاب التاريخ من خلال الحدث والشخصية الملهمة وأغفلوا الأفكار التي هي عصب صناعة التاريخ وحثهم عليها دينهم الحنيف ، ومنذ سقراط استخدم الحوار كأساس لكل فكرة تصنع الحدث واستطاع سقراط شرح المتناقضات من خلال استحداث الحجج التي تعكس مدى ضآلة المفاهيم السائدة لدى العامة وكانت هذه محاولة لتأسيس منهج جدلي بنا عليه الفلاسفة في القرون المتأخرة فمثلا بنا الفيلسوف الألماني هيغل الذي أتى بعد سقراط ب ٢٣ قرنا وهي منهجية أصل من أصول الدين الإسلامي ويؤمن بها أتباعه (وجادلوا أهل الكتاب بالتي هي أحسن).

هذه هي عظمة الفكر المبنية على الحوار في الدين الإسلامي وفي الفلسفة البشرية ، لكن اتخذ الغرب من الفلسفة والفكر وسيلة للتفكيك وتقسيم وتدمير العالم العربي مع الإبقاء على ديناصورات أيديولوجية عربية منقرضة أو مرشحة للانقراض تهيمن وتسيطر على الساحة العربية في الفترة الماضية ، وطبق الغرب الجانب السلبي من منهجية التفكيك التي تعد من أحدث المنهجيات في الفكر الغربي على العالم العربي وهو مصطلح ابتكره الفيلسوف هيدغر ثم استحوذ على المصطلح من بعده جاك دريدا بل إن ديكارت سبق أن استخدم قبلهما مصطلح التدمير وهو أشد خطورة من مصطلح التفكيك.

إذ أن ديكارت قام بأكبر انقلاب على أفكاره القديمة التي تربى عليها في البيت والمدرسة والكنيسة والطائفة، بالطبع هذه الفلسفات تقصد التأسيس لفلسفة حديثة قادت الغرب على طريق المنهج والنور والحقيقة، وهذه الفلسفة تقصد أنه لا تركيب من دون تفكيك، ولا تعمير من دون تدمير، بالطبع مثل تلك الفلسفات لا يؤيدها الإسلام، فرسولنا الكريم لم ينقض كل فضيلة وقال (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، وأيد الرسول صلى الله عليه وسلم حلف الفضول

الذي أقيم في الجاهلية لنصرة المظلوم من الظالم أيا كانت مكانة الظالم، وقال لو دعيت إليه في الإسلام لأجبت، بينما نقض الرسول صلى الله عليه وسلم كل ما يتعارض مع الحق والحقيقة والواقع، وأكد في خطبة فتح مكة، وقال بأن كل أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين، والدين الإسلامي يؤكد على البناء وليس على الهدم المبني على الإصلاح (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) حتى أن السيدة عائشة حينما سألت الرسول صلى الله عليه وسلم أنهلك وفينا الصالحون قال نعم فالإصلاح ضرورة إسلامية لتستقيم أمور البشرية .

فأتبع الغرب فلسفة التفكيك والتدمير في جانبها السلبي مع العرب، وبعد احتلال الولايات المتحدة العراق أرسلت بول بريمر ليحل محل جاي غارنر، وبدلا من اشراك القيادة السياسية الجديدة التي كان يقوم بها غارنر خالفه بول بريمر واتبع فلسفة التدمير الشامل التي جاء بها من واشنطن، فطبق فكرة اجتثاث حزب البعث، وتم تفكيك الجيش العراقي السابق، وتمت إقالة أعضائه الذين لديهم معلومات كاملة عن التجهيزات العسكرية ومخابئ الأسلحة من مناصبهم وحرمانهم من معاشات التقاعد، بالطبع كثير منهم انضم إلى جماعات جهادية لمقاتلة الجيش الأمريكي، والبعض رفض الانضمام لمثل تلك المليشيات وفضل العمل في أعمال بسيطة .

تحول العراق إلى حاضنة إقليمية خصبة للإرهاب بصناعة أمريكية يتم تصديره إلى دول المنطقة وتم تشكيل مليشيات شيعية كنواة لجيش طائفي قادم تتصارع عليه الفصائل والطوائف وتتقاتل للاستحواذ على السيطرة على مفاصل الجيش، وبالفعل حتى الآن لا يوجد وزير دفاع ولا يزال المنصب شاغرا يتولاه رئيس الوزراء نوري المالكي حتى تم انتخاب العبادي وعين وزيرين في المنصبين الشاغري.

استمر بول بريمر حاكم العراق الفعلي لمدة سنة كاملة حتى ضمن تفكيك العراق وتدميره تدميرا كاملا وضمن تسليم الحكم لحكومة شيعية وليست لحكومة

وطنية دشن لمرحلة إحياء الصراع التاريخي ما بين السنة والشيعة، يعزز هذا الصراع إيران التي حرمت من النفوذ الإقليمي على مدى تاريخ طويل واستطاعت أن تقف الدولة العثمانية أمام هذا النفوذ ، لذلك تحاول الصهيونية العالمية من الوقوف أمام أي تحالف ما بين تركيا والسعودية يعرقل النفوذ الإيراني في المنطقة من أجل استمرار الصراع الإقليمي، بينما اهتمت السعودية بتقديم الدعم الكامل للجيش المصري ضد جماعة الإخوان المسلمين الذي أربك خطط الولايات المتحدة.

هل يتعظ العرب بعدم تكرا سيناريو التفكيك والتدمير الذي اتبعه بول بريمر في العراق بأن يتبع مرة أخرى في سوريا ما بعد الحرب أم أن سوريا دخلت مرحلة أكثر تعقيدا من أزمة العراق بسبب تداول الأزمة السورية دوليا ؟ .

بالطبع فلقد اتبعت فلسفة التفكيك والتدمير في الصومال من قبل وكذلك في أفغانستان وأتبع التقسيم في السودان، بينما تستخدم الولايات المتحدة إيران كأداة في تفكيك الدول العربية في اليمن وفي البحرين وفي لبنان إلى جانب تواجدها في العراق وفي سوريا وتحاول محاصرة السعودية من كل حدب وصوب، وتتواجد حتى في السودان بحجة دعم حكومة حماس وتهريب الأسلحة تحت ذريعة محور المقاومة والممانعة .

بعد زلزال الثورات العربية الذي فاجأ الغرب، فكما قضت الولايات المتحدة على ظهور أي نظام ديمقراطي حقيقي في العراق، فإنها تخشى من ظهور نظم ديمقراطية حقيقية في بلدان تمر بمرحلة انتقالية في مصر وليبيا وتونس واليمن بتضمين عناصر المجتمع فتخسر التعامل مع المنطقة، وهي تريد أن تتعامل مع طوائف وكيانات وجماعات كان آخرها كان جماعة الإخوان المسلمين التي فقدتها بسبب الدعم السعودي للجيش المصري والشعبي في مصر وهي تريد التعامل مع جماعات وكيانات بدلا من التعامل مع برلمانات ديمقراطية الموجودة في الغرب ولكنها تريد التعامل مع برلمانات مشكلة على أساس طائفي ومذهبي.

الغرب يتعامل مع المنطقة بعيدا عن التعامل مع كيان الدولة، وتجربة تحقيق السلام في شمال إيرلندا خير شاهد على تلك الازدواجية ، ويفترض أن يتفوق

الدافع الأخلاقي على الدافع القانوني، والحجة الأخلاقية لا تتطلب قرارا أمميا ، وسقط اليوم الخط الأخلاقي الذي ينص على حتمية التدخل في سوريا، ولم يصدر قرار أممي بشأن كوسوفو.

الفصل الأول

الشرق الأوسط أمام خيارات مفتوحة

الولايات المتحدة تسعى نحو تشكيل قوى مفتتة تحت قيادتها كقوة عظمى:

بعد نهاية الحرب الباردة تحولت الولايات المتحدة إلى قوة آحادية قطبية لكن مغامرات بوش الابن هزت مكانة الولايات المتحدة كقوة آحادية قطبية بعد إقدامه على احتلال أفغانستان والعراق تسببت هاتين الحربين في ارتفاع تكاليف الحرب على الإرهاب التي تبناها بوش وتسبب بوش في ظهور محور جديد باسم محور الممانعة والمقاومة تحت رعاية إيران مقابل محور الاعتدال برعاية السعودية ، في حين التزمت تركيا الحياد بين المحورين واهتمت بتنمية اقتصادها عن طريق التزامها نظرية تصفير المشاكل مع الدول العربية ، وتمكنت تركيا بالفعل من رفع اقتصادها من ٢٢٥ مليار دولار مع بداية العقد إلى ٨٠٠ مليار دولار في نهاية العقد الأول من القرن الخامس عشر ، رغم أن محور المقاومة والممانعة حاول استدراج تركيا إلى انضمام تركيا إلى محوره واستثمار عاطفة أردوغان وحماسه للقضية الفلسطينية ولكن ظلت تركيا مستقلة عن المحورين .

ولكن الأزمة المالية والديون التي ضربت الولايات المتحدة وأوربا ثم أتت بعدها ثورات الربيع العربي بعدها بثلاثة أعوام غير ت من أولويات كافة الدول الاقليمية والعالمية أيضا وعلى رأسها الولايات المتحدة ، وبدأت مرحلة تآكل النظام الدولي التي تآكلت معه قدرة الولايات المتحدة ولم تعد الولايات المتحدة ضامنا لشعوب العالم أجمع ، وجاءت هذه الظروف الجديدة تحديات لسيطرة الولايات المتحدة السابقة زمن بوش الابن ، ودخلت الولايات المتحدة زمن أوباما مرحلة جديدة في

مواجهة صعود الصين مع معاناة الولايات المتحدة من ضغوط في الميزانية للولايات المتحدة ، رغم أن الولايات المتحدة بدأت تقترب من الاكتفاء الذاتي من الطاقة ، وبدأت تعترف الولايات المتحدة بأنها قوة عظمى انتقائية لم تعد كما كانت قوة آحادية ضامنة لشعوب العالم كافة .

وبدأت تنظر الولايات المتحدة إلى العالم بعد عقدين من الزمن بأنه عالم يتحول إلى إعادة توزيع القوة الاقتصادية إلى البلدان الناشئة التي تبشر بتحول أساسي مثل المكسيك والبرازيل وأندونيسيا وفيتنام وتركيا وغيرها من البلدان بالإضافة إلى الصين والهند اللتان نمتا خلال الفترة الماضية ، ووجدت الولايات المتحدة أنه بحلول عام ٢٠٢٠ سينضم مليار مستهلك جديد للطبقة الوسطى في هذه البلدان وأن أكثر من نصف تجارة آسيا يتم مع دول آسيوية وتريد الولايات المتحدة أن تستأثر بنصيب من هذه التجارة القابلة للنمو .

وبدأت تنظر الولايات المتحدة إلى ثورات الربيع العربي بأنها فرصة لها يمكن من خلالها إعادة تشكيل العالم ولكن من أجل أن تبقى هذه القوى قوى مفتتة تكون تحت تلبية الرغبات الأمريكية أي أن تبقى الولايات المتحدة القوة الوحيدة المهمة في كل مكان وليس المهيمنة ولكنها مهيمنة عن طرق هذه الدول وبذلك ستتجه الولايات المتحدة إلى انتقاء الأماكن التي تخدم مصالحها واستراتيجياتها تستعيض بها عن إستراتيجية القوة المهيمنة عالية التكاليف التي كانت تتبناها بعد الحرب الباردة .

وبدأت تشعر عواصم دول العالم تلك الحقيقة وبدأت الدول تبحث عن بدائل بعيدا عن الولايات المتحدة ولكن تلك الدول تجد نفسها غير قادرة على التصرف بمفردها بعيدا عن الولايات المتحدة وبدأت تشعر وكأنها تنفذ أجندات الولايات المتحدة دون إمكانية الخروج عن المسار الذي ترسمه لها الولايات المتحدة .

وبدأت تفضل واشنطن التحالفات الثنائية على التحالفات متعددة الأطراف التي قادتها في فترة القوة الأحادية ما بعد نهاية الحرب الباردة ، أي أن الولايات المتحدة

بدأت تتجه نحو تطبيق نظام جديد يخدم مصالحها حتى ولو لم يخدم المصالح العالمية أو على حسابهم بخلاف ما كانت تدعو له في الماضي .

وتسعى الولايات المتحدة في النظام الجديد ما بعد الأزمة المالية التي ضربت الولايات المتحدة وأوربا نحو تهدئة التوترات وليس حلها ومنع أي قوة من النمو أو التحالف ضد مصالحها رغم أنها في نفس الوقت تريد لاعبون إقليميون ودوليون باعتبارهم البديل الجاهز ولكن ضمن تشكيلة مفتتة من القوى الإقليمية والعالمية حتى تبقى الولايات المتحدة قوة عظمى انتقائية .

المنطقة ما بين مشروع الشرق الأوسط الكبير ومشروع الشرق الأوسط الجديد:

الأحداث تغير من خريطة العالم وتوازن القوى فيها ، مجريات تلك الأحداث وتداعياتها تساهم في إعادة رسم خرائط جديدة لم تكن موجودة من قبل .

الخلافة العثمانية لقبت منذ منتصف القرن التاسع عشر برجل أوربا المريض عندما تراجع شأنها ووصلت إلى مرحلة متدنية من الضعف والانحدار ، بينما كانت ألمانيا في عام ١٩١٤ دولة عسكرية أتوقراطية يحكمها إمبراطور أو قيصر يحلم بتوسع حدودها العسكرية لتهيمن على أوربا ، ووجدت الخلافة العثمانية المنهارة ضالتها في التحالف مع ألمانيا لتنقذ ما تبقى من مناطق تحت نفوذها المترامية الأطراف عبر الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ، ناهيك عن مستعمراتها في أفريقيا منذ القرن السادس عشر المستند إلى شرعية الخلافة.

تم تقسيم أملاك الدولة العثمانية بين بريطانيا وفرنسا سميت باتفاقية (سايكس - بيكو) عام ١٩١٦ لمنع النفوذ الأمريكي الصاعد في المنطقة العربية ، ومنع تمدد النفوذ الشيوعي ، لذلك لعبت الدبلوماسية الإنجليزية دورا نشطا وكبيرا للتحالف ضد النازية منذ عام ١٩٤٢ وتبلورت لديها تنفيذ فكرة الجامعة العربية وعمودها الفقري محور القاهرة الرياض .

(سايكس - بيكو) فهي بين واقع ملموس من خلال الحدود المرسومة وبين تصورات الكثير الذين يتساءلون عن عقد اتفاقات سرية تحاك لمستقبل المنطقة ، خصوصا بعد حدثين وقعا الأول كان عالمي والمتمثل في أحداث ١١ سبتمبر والثاني ما سمي بثورات الربيع العربي .

برزت إلى الساحة مشاريع تقسيمية جديدة تقودها هذه المرة الولايات المتحدة انقلابا على اتفاقية سايكس - بيكو التي هيأت المنطقة كوحدة تقف أمام النفوذين الأمريكي والروسي ، وهذه الاتفاقية لا تخدم المصالح الأمريكية خصوصا بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، فحملت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس مشروع (الشرق الأوسط الكبير) وتارة يتم الترويج لمشروع آخر معدل (مشروع الشرق الأوسط الجديد) بالإضافة إلى مشاريع عديدة كانت مصدر ثمين لمروجي نظريات المؤامرة بدلا من التركيز على أسباب الضعف الداخلي وكيفية مواجهته.

ومن منطلق الشرق الأوسط ومتغيرات يستحسن أن نشير إلى ما نشرته المجلة الأميركية المتخصصة (أرمد فورسز جورنال) عن خريطة جديدة للشرق الأوسط وضعها الجنرال المتقاعد رالف بيترز قسم فيها المنطقة دولا سنية وشيعية وكردية إضافة إلى دولة إسلامية مستقلة عن السعودية تضم الأماكن المقدسة ومملكة الأردن الكبرى ودويلات أخرى .

ورأى الجنرال أن تقسيم المنطقة على أساس الطوائف والاثنيات من شأنه أن ينهي العنف في هذه المنطقة وهذا مثال لنموذج أحدى المشاريع التي يتم تداولها ، لكن هناك مشاريع تقسيمية عديدة منها مشروع نموذجي يتم ترويجه لتطبيقه في العراق لبايدن قبل أن يصبح نائب للرئيس أوباما عندما كان عضوا في الكونغرس الأميركي فتم طرح تقسيم العراق إلى ثلاثة مناطق ذات حكم استقلال شبه ذاتي موزعة بين الشيعة والسنة والأكراد .

الولايات المتحدة تريد إحياء أسباب الحرب العالمية الثانية في الشرق الأوسط ، عندما أيقظت روسيا القومية السلافية في مواجهة القومية الجرمانية التي كانت

قطب رحى القيادة الألمانية ، رغم أن الولايات المتحدة اتجهت إلى تفتيت القومية السلافية في البلقان قبل نهاية القرن العشرين خطة قادتها على روسيا لإضعاف النفوذ الروسي.

واليوم يتم التساؤل لماذا تسمح الولايات المتحدة بتعزيز النفوذ الشيعي في المنطقة بقيادة إيران ، ولماذا تسمح بانتشار داعش (الدولة الإسلامية في العراق وفي الشام) ، ولماذا غضبت من السعودية عندما أقدمت على دعم الجيش المصري في التخلص من نظام الإخوان المشروع الإقليمي العالمي العابر للحدود حتى يكون في مواجهة المشروع الإيراني ولاية الفقيه العابر للحدود ، وهو ما يفسر بقاء الدور الأميركي على الزيارات العابرة والنصائح ،ومنع تدخل دول إقليمية في معالجة مشاكل إقليمية في سوريا وفي العراق وتركها ينخر فيها الصراع الطائفي والمذهبي والقومي .

أي تحقيق مشروع (الشرق الأوسط الجديد) بأيدينا من دون تدخل ، مثلما تدخلت بريطانيا وفرنسا في تقسيم تركة الدولة العثمانية باتفاقية (سايكس – بيكو) .

لذلك أتى خطاب الملك عبد الله للأمة العربية والإسلامية في ٢٠١٤/٨/١ مدويا وصارخا في العلماء بعدم الانسياق وراء مثل تلك المخططات محددا ناقوس الخطر وعدم تعاطف العلماء مع أحزاب دينية متطرفة تدمر العالم الإسلامي باسم الدين وأن يحذر العلماء من أصابع استخباراتية توجه العالم الإسلامي للتقسيم والتفتيت حتى لا ينطبق فينا قول الله سبحانه وتعالى (يخربون بيوتهم بأيديهم).

الديمقراطية في الشرق الأوسط بعيون أمريكية:

الديمقراطية فلسفة متكاملة وليست مجرد الذهاب إلى الصناديق مثلما يعتقد البعض ويصبح عندها عبدا لهذا الصندوق ، وهذه الفلسفة المتكاملة لم يتوصل لها العالم إلا بعد مسار مخاض طويل ، ولم يتوصل إليها العالم المتقدم إلا بعدما مر بحروب أهلية وعالمية وعانى من التقسيم على أساس عرقي وطائفي وفشت بينهم العنصرية التي استمرت حتى الستينات من القرن الماضي ضد السود في الولايات المتحدة .

فواجه العالم المتقدم أم المعارك بكيفية تفكيك العصبيات والعنصرية فكانت جوهر فلسفة الديمقراطية لذلك لا نستطيع أن نقول أن المجتمع ديمقراطي بمجرد وضع ورقة انتخابه في الصندوق أو ما تسمى ببطاقة الاقتراع بينما الديمقراطية الحقّة تمنع استخدام الأفكار الطائفية والعنصرية ولا يمكن تسمية المجتمع بالمجتمع الديمقراطي إلا إذا تجاوز مرحلة الطائفية والعنصرية .

بالطبع لم تنتهي هذه المرحلة في العالم المتقدم إلا بعدما عانى معركة ضروسا إنه التوحيد على أساس فلسفة حقوق الإنسان المتساوية بعيدا عن تأليه أحد من البشر أو إعطائه عصمة من دون البشر أي توصل العالم المتقدم إلى أسس قواعد المساواة بين البشر التي أتى به ديننا الإسلامي الحنيف وتخلى العرب والمسلمون اليوم عن هذه الروح وعن هذه الفلسفة والمبادئ التي تبناها الغرب وتخلى عنها المسلمون نتيجة صراعات سياسية من أجل الاستئثار بحقوق تفوق حقوق الآخرين بدعم غربي ودولي .

فالولايات المتحدة لا ترى تطبيق الديمقراطية في الدول العربية ضمن فلسفة متكاملة للديمقراطية وإنما تراها بعين ارتباطها بالمصالح الأمريكية وفق حسابات أميركية وهناك تحول استراتيجي في طريقة تعامل الولايات المتحدة مع الديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط مع الإسلاميين لتتحول من الحرب على الإرهاب التي تسببت في ديون هائلة نتيجة هذه الحرب إلى تحمل الإسلاميين

مواجهة التطرف الإسلامي نيابة عن الولايات المتحدة الذي ثبت لدى الولايات المتحدة فشل الأنظمة العربية في التصدي للتطرف الإسلامي وفق المنظور الأمريكي فاستثمرت الثورات العربية أحسن استثمار وأحسن استغلال عندما وجدت التيارات الإسلامية جاهزة ولديها قاعدة شعبية عريضة لا تمتلكها بقية التيارات الأخرى .

وترى الولايات المتحدة أن لديها قناعة بأن تيارات الإسلام السياسي التركيبة المناسبة للحالة العربية وهي بقصد تحقيق هدفين في آن واحد وهو ترويض لتيارات الإسلام السياسي والثاني ضرب التطرف الإسلامي وأعطى هذا دعم الإخوان المسلمين في مصر شرعية دولية بجانب شرعية الصناديق خصوصا بعدما أثبت الإخوان نجاحهم في الاختبار الدولي المتمثل في أزمة غزة وكان موقف مرسي فاق كل التوقعات فنجح مرسي خارجيا ولم ينجح محليا ووجدت الولايات المتحدة أن ضابط إيقاع الأكثرية منطلق لترسيخ الديمقراطية في المنطقة العربية وهي ديمقراطية مفصلة بالكامل لفصيل سياسي شمولي يؤسس لمرحلة جديدة من العلاقات ما بين الولايات المتحدة والإسلام السياسي لكن انقلاب الجيش المصري بدعم سعودي أربك الحسابات الأمريكية وحتى حسابات دول إقليمية كتركيا وإيران .

وهناك تحولات جيوستراتيجية في سياق الثورات العربية فهي بين مصالح الولايات المتحدة في المنطقة وبين غرور إيران بقوتها وبين الاستعلاء التركي الذين يحاولون فرض أجندتهم في ظل ثورات الربيع العربي التي لا زالت تعاني التوتر وغموض مستقبلها ولا احد آمن في ظل نظم تعتمد على انعدام الأمن بسبب تسيد أنا رؤية فكر مجموعة من الناس وأخطرهما تقديم منهج الأنا على مصلحة الآخرين باسم الدين أو الحزب أو غيره فيتمزق المجتمع لأن القيادات ترفض النزول من أبراج الوهم والدعم الدولي .

فلا زالت ثورات الربيع العربي تخرج ديمقراطيين يفضلون الأخذ بمنهج الإعدام السياسي للآخر لا الاكتفاء بالإقصاء حتى ولو كانت التضحية باستقرار الوطن

ومستقبله ما دامت تزج هذه المجموعات بالدين لفرض رؤاها على المجتمع وعلى بقية السياسيين ولم تنتج الثورات العربية سوى ديمقراطيين ينتمون فكرا إلى مدارس خمسينات القرن الماضي فلا يزالون بحاجة إلى تعلم معنى القبول بالآخر والتعايش معه لتصل إلى مفهوم فلسفة الديمقراطية المتكامل رغم ما يعتريها من عيوب يعترف بها الغرب ولا يمكن تناول الديمقراطية بمعزل عن قوة الدولة القادرة على إنقاذ قوانينها لحماية مواطنيها وإتاحة قدر أكبر من الحرية لهم .

سايكس بيكو ٢:

دائما ما كانت تنتعش الولايات المتحدة من الأزمات وتنجو مرارا بالسلوك غير المبالي وهو ما يعرض الآخرين للخطر يمتد إلى السياسة الدولية ودائما ما كان العالم يدفع ثمن هذه الحماقة التي ترتكبها الولايات المتحدة ولكن في الفترة الأخيرة أظهرت الولايات المتحدة نفسها بمظهر سئ للغاية نتيجة ارتداد الحماقة على الداخل .

على اثر تلك الحالة للولايات المتحدة التي لا تحسد عليها انسحب أوباما من القيادة في آسيا في قمة أبيك ليهتم بالأزمة في واشنطن مما جعل الصينيين في منتهى السعادة ، بينما ظهر بوتين في صفحات نيويورك تايمز يحذر الأمريكيين من مخاطر الاعتقاد بأنهم استثنائيون .

ويشكل الشرق الأوسط منطقة حيوية بالنسبة لروسيا كما للولايات المتحدة ، وتريد روسيا الاستفادة من الضعف الأمريكي قبل أن تلملم أمريكا نفسها وتستعيد هيمنها مرة أخرى ، فبدأت تتقدم روسيا في منطقة الشرق الأوسط مقابل تراجع الدور الأمريكي ، وسبق أن حاولت موسكو في الماضي وفشلت ووجدت فرصتها اليوم في اللعب بالتوتر الإقليمي في الشرق الأوسط والبحث عن مناطق نفوذ لكن وفق إستراتيجية خاصة بها في تعويض خسائرها التي فقدتها نتيجة الثورات العربية والتي جناها الغرب بمفرده واحتجت موسكو على الغرب في ليبيا بشكل خاص لذلك لن تقبل بمزيد من الخسائر تذهب للغرب .

ومنذ القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر في عام ١٨٠٥ كانت تواجه روسيا المد الفرنسي في زمن نابليون في إطار سياسة توازن القوى فتطمح روسيا بمد نفوذها نحو الجنوب وحلم الوصول للمياه الدافئة والحصول على قاعدة في البحر المتوسط وتم الاتفاق ما بين الإمبراطوريتين في اتفاقية تلست عام ١٨٠٧ بين نابليون والإسكندر الأول وتم تقسيم المناطق بين الإمبراطوريتين ، ولكن السلام الروسي الفرنسي لم يدم طويلا فسرعان ما نكث نابليون العهد وشعر بان جيشه الكبير قادر على قلب موازين القوى السياسية والعسكرية في أوربا فسعى إلى إخراج روسيا من المعادلة السياسية ودخل في صراع طويل مع روسيا حتى هلك الجيش الفرنسي أمام عبقرية كوتوزوف عندما هلك أغلبية الجنود الفرنسيين وهرب نابليون في آخر لحظة من ساحة المعركة في معركة ليبزيغ الشهيرة التي وضعت نهايته الحقيقية واحتل على اثر هذه المعركة الجيش الروسي فرنسا فاضطر نابليون إلى الاستسلام مما فرض الإسكندر الأول احترام روسيا أمام العالم وأصبحت قوة عظمى والقوة الأرضية الأولى مما قاد إلى تحالف فرنسي بريطاني انتهت بهزيمة روسيا عام ١٨٥٦ سميت بحرب القرم ولكن سرعان ما استعاد المارد الروسي توازنه مرة أخرى .

وفي عام ١٩١٦ تم إبرام اتفاقية سرية ما بين بريطانيا وفرنسا سميت باتفاقية سايكس بيكو وهما اسمين لدبلوماسيين انجليزي والآخر فرنسي وتقسيم المنطقة العربية بين الدولتين لحق هذا الاتفاق اتفاق مكمل آخر يسمى وعد بلفور لإقامة وطن قومي لليهود في عام ١٩١٧ وهو نفس العام الذي حدثت فيه الثورة البلشفية في روسيا وفي زمن الحرب العالمية الأولى التي بدأت عام ١٩١٤ .

ولكن الظروف الدولية والإقليمية بعد الأزمة المالية والثورات العربية تبدلت على نحو عميق بينما اتفاقية سايكس بيكو يجب أن يكتب لها شهادة وفاة ويحل محلها اتفاقية جديدة ، ويعتبر اتفاق كيري لافروف بمثابة وفاة لإتفاقية سايكس بيكو وفي نفس الوقت إخراج كلا من البلدين من مأزقه وأتت الاتفاقية ظاهريا حول النووي الإيراني فيما بينهما ومحتواها الحقيقي لم يظهر للعلن

والاتفاقية كذلك تخرج الولايات المتحدة من مأزقها الاقتصادي وتخرج روسيا من قمقمها الهامشي الذي فرض عليها بعد تفكك الاتحاد السوفيتي والتوصل نحو تفاهم مشترك حول قضايا الشرق الوسط المضطرب والمتوتر ولن تستطيع الولايات المتحدة بمفردها أن تضبط هذا التوتر أو لن تسمح لها روسيا في ظل هذا التراجع أن تتصرف بمفردها والمثال على ذلك تعامل الولايات المتحدة مع الأزمة السورية ، وتتأهب الدولتان لتقاسم النفوذ بدلا من التصادم الذي لا يخدم احد الطرفين .

والسؤال هل تجهض الدولتان ثورات الربيع العربي ؟ وهل أوشكت الدول العربية أن تدخل في مرحلة التشظي والتفريخ على شاكلة قطع متناثرة مثلما حدث بعد الحقبة السوفياتية ؟ وهل الثورات العربية أدت إلى نوع من الاختزال الجيوسياسي بين الدولتين مفاده وفاة سايكس بيكو والانتقال لمرحلة جديدة ؟ وما هي المرحلة الجديدة وما هي تفاصيلها ؟.

ولقد مرت المنطقة بحروب أهلية في لبنان في الفترة ما بين عامي ١٩٧٥-١٩٩٠ ثم انتقلت الحرب الأهلية إلى العراق بعد احتلال الولايات المتحدة العراق عام ٢٠٠٣ والآن في سوريا التي تهتز تحت صراع عرقي طائفي وهذه الحرب أطلقت الصراع التاريخي ما بين السنة والشيعة بعد احتلال العراق من قبل الولايات المتحدة عام ٢٠٠٣ وسلمت القيادة للطائفة الشيعية انتقاما من السنة التي ترى الولايات المتحدة أنهم سبب أحداث ١١ سبتمبر بدلا من تسليم السلطة لدولة وطنية وإعادة الحكم الشيعي لتأجيج الصراع الإسلامي بعدما سقطت الدولة الفاطمية عام ١١٧١ من أجل البحث عن توازن قوى إقليمية جديدة وهي طريقة مغايرة للاستعمار البريطاني والفرنسي الذي حدث في بداية القرن العشرين ولكنه لم يستمر واستقلت الدول العربية ، ولكن هذا التقسيم الذي يعاقب المسلمين وليس فقط السنة ومن الصعب أن ينتهي أن ينتهي هذا الانقسام وهذا الاقتتال ولكن كيف يمكن أن تضبطه الدولتان ؟ .

وحتى الفيدرالية في العراق ليست حقيقية بل هي اسمية وقد يحدث في سوريا ما حدث في العراق في جنيف ٢ وبذلك يكون العرب أكثر نجاحا فقد نجح اتفاق الطائف في لبنان ونجحت المبادرة الخليجية في اليمن بشكل نسبي ولولا التدخل الدولي والإقليمي لحققتا الاتفاقيتين نجاحا وتقدما ملموسا .

فالمنطقة مرشحة للانتقال إلى مرحلة تشبه نظام الملل والتي تسمح للمجموعات بدرجة من الاستقلالية والتماسك الديني والعرقي في مقابل الولاء للوطنية والوطن ولكنه يهدد الاستقرار وتنهار بموجبه مؤسسات الدولة من الناحية العملية ، والعراق مثال على ذلك وبالطبع يسير هذا التفكك والانقسام في صالح إسرائيل وتحاول تقنع الولايات المتحدة إسرائيل بهذا الواقع المرير من أجل توقيع اتفاقية الدولتين يجعلها في مأمن مستدام من التهديد الإقليمي بسبب تحوله إلى مجموعات ملية طائفية متخندقة تحارب بعضها بعضا أو على الأقل تحمل هواجس فيما بينها مما يصعب توحدها ضد إسرائيل ، ولكن العقبة الوحيدة التي لم تنجح الولايات المتحدة فيها هي تفكيك قوة الجيش المصري وتقسيم المجتمع المصري فهل تبقى مصر النواة الوحيدة تكون قادرة على التحالف مع السعودية يكون هذا التحالف قادر على الوقوف أمام مثل تلك المخططات ؟ .

هل التوافق النادر بين الحزبين للضغط على البيت الأبيض يفتح الطريق لحل الأزمة السورية؟:

رغم أن النظام السياسي الأميركي لا يعطي مجلسي النواب والشيوخ صلاحيات واسعة في السياسة الخارجية ، فإن الواقع السياسي يعني أن نتائج الانتخابات النصفية للكونغرس الأمريكي ستضغط على قيادة أوباما الداخلية والخارجية.

بعد اكتساح الجمهوريين لمجلسي النواب والشيوخ، ومعروف أن الجمهوريين لن يقبلوا لأوباما أي تنازلات كبيرة للإيرانيين، ومن الممكن أن يقرر الكونغرس فرض المزيد من العقوبات على طهران يحرج الإدارة الأمريكية.

هناك توافق بين الحزبين على مواجهة تنظيم داعش إلى تسليح المعارضة السورية، ويمكن أن يتولى السيناتور الجمهوري جون مكين من أشد منتقدي أوباما رئاسة لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ يمكن أن يستدعي المسؤولين في وزارة الدفاع في جلسات عامة لشرح إستراتيجية الإدارة تجاه سوريا.

بعد مطالب تركيا بإقامة منطقة عازلة شمال سوريا لحماية اللاجئين من قصف النظام السوري، هناك تحركين في سوريا من قبل المبعوث الأمريكي روبنستاين الذي يقول لا يمكن هزيمة داعش نهائيا والتوصل إلى سوريا مستقرة من دون تغيير سياسي في البلاد، وبدأ يؤكد على وحدة سوريا ومصداقية الولايات المتحدة حول التوصل إلى حل يناسب كل شعب سوريا.

ومن جانب آخر يقود مبعوث الأمم المتحدة دي ميستورا مبادرة وقف النار في حلب ويعتبرها ليست بديلا عن الحل السياسي، بل هي حافز له ويذكر دي ميستورا النظام السوري بالقرارين الصادر عن الأمم المتحدة تجاه النظام ٢١٧٨ و٢١٧٠.

ويؤكد أن مبادرته ليست كسابقاتها زمن كوفي أنان والإبراهيمي وهي رسالة للنظام السوري بأن المجتمع الدولي مصمم هذه المرة على الحل السياسي في سوريا من أجل محاربة الإرهاب، تزامن هذا التحرك صول أولى شاحنات الإغاثة إلى حي الوعر في حمص وهو حي محاصر يقطنه ١٥٠ ألف نسمة منذ سنة.

النظام السوري وإيران يصمتان حيال مقتل خمسة مهندسين نووين أحدهم إيراني الجنسية، ومعروف عن النظام أنه يتخلص من الأشخاص عندما يشعر أنهم يهددوا مصالحه، مثلما أقدم على التخلص من خلية الأزمة التي فجرها في اجتماع كبار المسؤولين بينهم آصف شوكت الرجل القوي آنذاك مضحيا ببعض الأشخاص في الاجتماع وهذا قد ينطبق على الخبير الإيراني الذي كان يرافق السوريين الأربعة.

المنطقة العربية تعاني نوعا من الفراغ الاستراتيجي بعد احتلال الولايات المتحدة العراق، تضخم هذا الفراغ بعد ثورات الربيع العربي وانهيار العديد من الدول العربية سوريا وليبيا واليمن ما يشجع العديد من الدول الإقليمية على ملئ هذا الفراغ كجائزة إستراتيجية من خلال جماعة الإخوان المسلمين وداعش، ولكن التحالف السعودي المصري أحبط مثل تلك الآمال.

رغم الأزمة ما بين الغرب وروسيا إلا أن بوتين يريد قلب نظام ما بعد الحرب الباردة خصوصا في أوربا معولا على دول في الاتحاد الأوربي وفي حلف الناتو مثل المجر التي عد رئيسها بوتين بأنه نموذجا سياسيا يحتذى، وشبه رئيس وزراء سلوفاكيا بنشر قوات من حلف الناتو في بلاده بالغزو السوفياتي لعام ١٩٦٨.

انضمت الحكومة التشيكية إلى سلوفاكية والمجر في معارضة العقوبات المفروضة ضد روسيا، وتراجع بولندا سياساتها تجاه روسيا، ولم ينجح أوباما في قيادة جبهة موحدة لعزل بوتين، خصوصا بعدما أعلن رئيس وزراء التشيك بوهوسلاف سوبوتكا بنحو استباقي أن بلاده لا تريد إرسال قوات الناتو إلى بولندا ودول البلطيق كنوع من الردع لروسيا، ورفضت سلوفاكيا مطالب أوباما بزيادة الإنفاق على الدفاع.

اختار الإتحاد الأوربي فيديريكا موغيريني وزيرة الخارجية الإيطالية السابقة خليفة كاثرين أشتون تدير دبلوماسية الاتحاد الأوربي، وكانت فيديريكا تضع صورتها مع صورة الراحل ياسر عرفات في الانترنت حتى عام ٢٠٠٢، وقامت بدراسة مفصلة عن الإسلام وترى أنها حينما زارت الأراضي المحتلة مؤكدة على أهمية قيام الدولة الفلسطينية ، وهناك دول اعترفت بدولة فلسطين مثل السويد وستتوالى الدول.

هناك وفد من المعارضة اتجه إلى موسكو، وقد تكون موسكو واحد بدلا من جنيف ٣ ، ويمكن أن تلعب موسكو دور الوسيط، خصوصا وأن موسكو لديها غطاء عربيا بعد زيارة السيسي، وهناك تعاون بين دول الخليج وروسيا لمواجهة انخفاض أسعار النفط ، وهو اهتمام مشترك وتدرك دول الخليج أهمية موسكو،

خصوصا بعد الاتفاق الذي وقعته طهران مؤخرا على بناء محطتين نوويتين في بوشهر.

وتشترط موسكو على المعارضة بدون جبهة النصرة وداعش أن تقبل التفاوض مع النظام لإزاحة الأسد، فهل يتوقف انحياز أوباما في سوريا وفي النووي الإيراني ضد المصلحة الاستراتيجية العربية؟.

بعد نجاح روسيا في وقف الضربة العسكرية هل تنجح في انتشال الأسد مجددا حفاظا على مصالحها في منطقة الشرق الأوسط:

يجدد الروس لعب دور إنقاذ أوباما من ورطته تجاه الجمهوريين، مثلما أنقذوا أوباما من ورطته عندما قرر توجيه ضربة للنظام السوري بعد ثبوت استخدامه الكيماوي في الغوطة الشرقية ضد المدنيين، مقابل تسليم مخزونه من الأسلحة الكيمائية وتدمير منشآت تصنيعها.

وقف الضربة العسكرية ضد النظام السوري أعطاه فرصة في استقدام قوات أجنبية من حزب الله والنظام الإيراني والمليشيات الشيعية العراقية بحجة الدفاع عن المراقد الشيعية، وحمايتها من التكفيريين، كسرت الحصار الذي كانت تفرضه المعارضة داخل العاصمة وحمص والقلمون.

نجح النظام السوري في فتح المجال أمام القوى الإسلامية المتطرفة أن تتوسع على حساب الجيش السوري الحر حتى تهدد المصالح الغربية، وتهدد الدول العربية وحتى الإيرانية، لكن لم تتوقع إيران أن تنقلب الطاولة عليها في العراق، وتضغط الولايات المتحدة عليها في قبول تغييرات سياسية لصالح جميع القوى السياسية في العراق من أجل مواجهة الإرهاب الذي ضرب العراق نتيجة السياسات التي اتبعها حليف إيران المالكي في العراق وحليفها النظام السوري في سوريا.

يقود نائب وزير الخارجية الروسي بغدانوف من أجل التوصل إلى تفاهمات أولية بين أطراف الصراع في سوريا وحاولت دغدغة عواطف الإسلاميين عن طريق مفاضواتها مع معاذ الخطيب، خصوصا بعد دخول طرف جديد في الصراع وهي القوى المتطرفة، على خلفية إدراك الولايات المتحدة فشل الضربات الجوية ضد داعش ما وضعها أمام تحد حقيقي تجاه نقد الجمهوريين تطلب من إدارة أوباما تغييرا في الإستراتيجية، فهل يقبل أوباما هذه المرة طوق نجاة ثاني الذي يقدمه الروس له هذه المرة، أم أن الضغط الجمهوري ضد أوباما يقف بالمرصاد لتلك المبادرة.

المبادرة الروسية تحاول تغيير قواعد لعبة الصراع في سوريا، تجعل النظام السوري يتحول إلى طرف في الصراع بعد رفض القوى الإقليمية (السعودية وتركيا) والولايات المتحدة ودول أوربية خصوصا فرنسا بأن يكون النظام السوري طرفا في مثل هذا الصراع.

هدف المبادرة الروسية من أجل تشكيل تحالف عسكري بين النظام والمعارضة السورية لمقاتلة داعش لإخراج أوباما من ورطته بعد فشل الضربات الجوية ومن الضغط الجمهوري على أوباما.

تلك المبادرة التي لن يوافق عليها الجمهوريين المسيطرين على المجلسين في الولايات المتحدة، كما أن الدول الإقليمية تركيا والسعودية لن تقبلا بمثل تلك المبادرة التي هي محاولة لإعادة تسويق النظام لواشنطن التي لا تزال في صدد المفاوضات الإيرانية بعد تمديدها ستة أشهر.

لن تنسى الدول الإقليمية دور الروس في وقف الضربة العسكرية التي فكت الحصار عن النظام السوري وأعطته فرصة في ترتيب صفوفه والاستعانة بقوات إيرانية ومن حزب الله والمليشيات الشيعية العراقية تقاتل إلى جانب النظام السوري غيرت من كفة النظام السوري على الأرض.

صلب المبادرة الروسية هي الحرب على الإرهاب التي تهدد السلم الإقليمي والعالمي ومصالح الغرب في المنطقة، من أجل تحقيق اختراق في الموقف الأمريكي،

وهي فرصة من أجل إعادة تأهيل النظام السوري مرة أخرى من أجل أن يستعيد زمام المبادرة وقيادة الصراع على الأرض، وهي فرصة كذلك لفك العزلة التي فرضها الغرب على روسيا، واستبعدها هي وإيران من الحرب على الإرهاب من أجل استعادة دورهما على الساحة الدولية.

واشنطن تقاتل روسيا في أوكرانيا خصوصا بعد تقديم أسلحة نوعية لأوكرانيا، وزيارة مفاجئة للرئيس الفرنسي هولاند إلى موسكو في ٢٠١٤/١٢/٦ ولقاء نظيره بوتين بعد زيارة لكازخستان استمرت يومين، ودعا هولاند بوتين إلى منع إقامة جدران جديدة بين الغرب وروسيا، وموسكو تأمل من باريس استعادة أموالها إن لم تسلمها سفن ميسترال الحربية، وخرج الطرفان بتأييد وقف حمام الدم فورا في شرق أوكرانيا بعد اتهام الغرب بوتين بدعم الانفصاليين عسكريا في شرق اوكرانيا ولم يتم مناقشة أي ملف آخر خصوصا الملف السوري وملف داعش ما يدل على أن الغرب ليس جادا في قبول أي مبادرة روسية بشكل جدي.

أوباما مقتنع بأن سوريا غير جاهزة للحل الآن، لذلك استغرب أعضاء الكونغرس في جلسة استماع للحديث عن الحرب على الإرهاب، عن برنامج الحكومة الأميركية تدريب المعارضة السورية على السلاح، لأنه يبدأ في ربيع العام المقبل وينتهي عام ٢٠١٦، والمبعوث الأممي غير قادر على شرح الفرق بين تجميد القتال ووقفه للمعارضة، خصوصا إذا كان التجميد سيتحول إلى مدخلا يدفع حلب إلى الاستسلام.

أحياء حلب المدمرة باتت مشهدا يويما في المدينة التي يقترح دي ميستورا تجميد القتال فيها، ويدعي أن التوقيت حاليا مهم والنافذة لن تدوم، ويؤكد مبادرته بالعمل بجنيف ١، ولكنه يرفض تقديم خطة مكتوبة للمعارضة.

بينما التقى وزراء خارجية الاتحاد الأوربي للإطلاع على خطة المبعوث الأممي دي مستورا في ٢٠١٤/١٢/١٤ قبيل اجتماع وزراء الخارجية لمناقشة الملفين السوري والعراقي وإستراتيجية مكافحة داعش .

الورقة الأمريكية البريطانية الفرنسية نتاج عمل مشترك مع المعارضة، ولكن لديها مطالب ومخاوف بخصوص تطبيق الخطة التي تتطلب آليات تلزم النظام السوري تطبيق قرار تجميد العمليات العسكرية مع ضمان وجود مراقبين دوليين أو محليين لضبط وقف إطلاق النار، ولكن سبق أن جربت تلك الخطوة، وفشلت ولم يلتزم بها النظام السوري، أي أن حل الأزمة السورية مؤجل إلى أن تنتهي المفاوضات النووية الإيرانية.

الفصل الثاني

التصادم الاستراتيجي في منطقة الشرق الأوسط

التصادم الاستراتيجي الإقليمي في سوريا تحت الرعاية الدولية:

بعد حربين عالميتين في أوربا راح ضحيتها ملايين البشر تمكنت القارة العجوز من تجاوز التباين والخلافات وتضارب المصالح إلى إقامة وحدة اقتصادية أزالت فيها الحدود وأصبح المواطن الأوربي يتنقل بين دول الاتحاد الأوربي بهويته الوطنية دون الحاجة إلى إبراز جواز سفره أو التوجه نحو عمل تأشيرة ، وكذلك السائح لا يحتاج إلا إلى عمل تأشيرة واحدة يتنقل بها داخل كافة الدول الأوربية التي وصل عددها حتى الآن ٢٨ دولة كان آخر دولة انضمت لدول الاتحاد هي دولة لاتفيا من الدول الشرقية التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ .
لكن في المقابل فشل العرب والمسلمين في البحث عن أدوات ووسائل تقودهم للوحدة بل كانت كل الوحدات التي جربوها سببا في الانقسام بين العرب ووسعت من عداوتهم لبعضهم البعض ، بل حتى تركيا التي اتبعت نظرية تصفير المشاكل عادت إلى محاولة إعادة المجد العثماني على أنقاض الثورات العربية على غرار بحث الجماعات الإسلامية العربية عن إحياء دولة الخلافة الإسلامية العالمية ، بينما كانت إيران الأخطر من بين كافة الأطراف الإقليمية التي استفادت من أحداث ١١ سبتمبر واستفادت من احتلال الولايات المتحدة لأفغانستان والعراق من التمدد في الفوضى التي خلقتها الولايات المتحدة في المنطقة .

فوجدت إيران الفرصة مواتية لها في إيقاظ أيديولوجية الإمبراطورية الفارسية التوسعية زمن داريوس منذ ٥٠٠ عام قبل الميلاد رغم أنها دولة إسلامية ورغم أنها تنفي مثل تلك المزاعم ولكن الواقع على الأرض يثبت غير ما تقوله إيران .

وتريد إيران تحقيق النظرة التوسعية التي اتبعها داريوس من التمدد حتى البحر المتوسط بعدما اكتسح العراق وسوريا حتى وصل مصر وسيطر أيضا على اليونان القريبة من الإمبراطورية الرومانية العدو اللدود للإمبراطورية الفارسية في ذلك الوقت ، ولم تتجه إيران كدولة إسلامية إلى تطبيق قول الله سبحانه وتعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) وهو التعارف الثقافي والتعاون الاقتصادي .

فالتصادم الاستراتيجي الإقليمي ليس فقط في سوريا بل كذلك في العراق عندما رد أردوغان على قرار إذا أرسلت إيران قوات للمالكي في حربه على سنة الأنبار بأن تحذو تركيا حذو إيران ، قد يكون توافق سري ما بين الولايات المتحدة وإيران بعدما دعمت الولايات المتحدة نوري المالكي بصواريخ هيل فاير وطائرات درونز التي ستصل في شهر مارس ٢٠١٤ لحربه ضد السنة .

ولقد أضافت ثورات الربيع العربي بجانب الفوضى التي خلقتها الولايات المتحدة نتيجة احتلالها لأفغانستان والعراق باضمحلال الحكومات المركزية وإحلال محلها الصراعات المذهبية والقبلية والإثنية .

فأردوغان يصر على رحيل الأسد وهي نفس مطالب السعودية ولكن رعاة جنيف ٢ الروس والولايات المتحدة تختلف نظرتهم عن تلك الدول الإقليمية ، فالروس مصرون على معادلة إما الإرهاب وإما الأسد وهو ما أكده وزير الإعلام السوري مروان الزعبي في مؤتمر صحفي في ٢٠١٤/١/٧ وسط انقسامات وضغوط بين أطراف الائتلاف السوري هل يتجه إلى جنيف ٢ أم لا ، بينما الأمريكيون يحتاجون لأسد ضعيف لإكمال مهمة استكمال التخلص من الكيماوي السوري ، وكذلك تعاملهم مع إيران رغم عدم توجيه الدعوة إليها في جنيف ٢ ، ولكن الولايات

المتحدة هدفها الأساسي إيقاف إيران عن إنتاج القنبلة النووية وقد تسمح الولايات المتحدة بنفوذ محدود لإيران في المنطقة ويتضح هذا من طلب الولايات المتحدة من إيران أن تقنع بشار الأسد عن التوقف عن الاستمرار في القصف بالبراميل المتفجرة ما يعني أن إيران لها دور كبير في سوريا وهي الناطق الرسمي نيابة عن النظام السوري .

مما جعل أردوغان يراقب الوضع بعد تلك التصريحات ما يعني أن الولايات المتحدة ستعطي إيران دورا أكبر على حساب دول المنطقة الإقليمية ليس فقط في سوريا بل أيضا في العراق ما جعل أردوغان يلجأ إلى التهديد إن أرسلت إيران قوات الباسيج أو فيلق القدس إلى المالكي لدعم حربه ضد السنة بأنه سيحذو حذو إيران لدعم السنة ، بينما السعودية تراقب هي الأخرى الوضع عن كثب وتحاول إعادة الاستقرار في مصر لتكوين تحالف سعودي مصري بجانب محاولة استمالة دولة الباكستان نحو هذا المحور للضغط على الولايات المتحدة ويظهر هذا في تهديد الائتلاف السوري بعدم الذهاب إلى جنيف ٢ أو المطالبة بتأجيله حتى يحصل الائتلاف على ضمانات بتحقيق بنود جنيف ١ بإنشاء هيئة حكم انتقالية تمارس كل الصلاحيات التنفيذية ويمكن أن تضم أعضاء من الحكومة الحالية والمعارضة .

بينما الرعاة الدوليين مثل روسيا لن تفرط في نظام الأسد إلا بعد ترسيخ نفسها في المنطقة ضمن المعادلة الدولية التي برزت بعد الأزمة المالية للولايات المتحدة وأوربا ويجب أن تضمن لها المعادلة الدولية مصالحها الإستراتيجية وضمان بقاء قاعدتها العسكرية في طرطوس التي تعد أهم قواعدها العسكرية في الشرق الأوسط في البحر الأبيض المتوسط ، ومن يقرأ تصريح وزير الدفاع الأمريكي هاغل قبل استقالته بتقوية الدفاع النووي الأمريكي حتى ولو كلف الولايات المتحدة مبالغ عالية من أجل مواجهة لإبقاء الصواريخ الأمريكية في بعض دول منظومة أوربا الشرقية السابقة التي تطالب روسيا بإزالتها ، فجنيف ٢ هو

عبارة عن مقايضات بين الدول الراعية أكثر من كونه مؤتمرا لحل الأزمة السورية وهو ما أدركته المعارضة السورية بتوجيه من السعودية

هل نجحت القوى الدولية في ترك أطراف النزاع في سوريا تحطيم بعضهم البعض خدمة لإسرائيل؟:

اختارت الأمم المتحدة مبعوث ثالث جديد دي مستورا لمباشرة الأزمة في سوريا وفي المنطقة خلفا للإبراهيمي ولكوفي أنان ، وكان من ضمن مجموعة أسماء كانت مرشحة لتولي المهمة ، على رأسهم أمين الجامعة العربية السابق عمرو موسى ، ومنسقة البعثة المشتركة لمنظمة حظر الأسلحة الكيماوية والأمم المتحدة في سوريا سيغرلد كاغ ، ومسؤول العلاقات الخارجية في الاتحاد الأوربي خافير سولانا ، ووزير خارجية تونس السابق كمال مرجان .

الاختيار هو أبلغ رسالة من المجتمع الدولي للتعبير عن كيفية المسار المرسوم في ذهن القوى الدولية التي تتحكم في المشهد في الشرق الأوسط .

فدي مستورا قد ترأس بعثة الأمم المتحدة في أفغانستان بين عامي ٢٠١٠ و ٢٠١١ وفي العراق بين عامي ٢٠٠٧ و ٢٠٠٩ ، وشغل الممثل الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة في جنوب لبنان بين عامي ٢٠٠٣ و ٢٠٠٤ .

فالنجاحات التي حققها دي مستورا في العراق ،بينما يعاني العراق اليوم من انهيار العملية السياسية تماما ووصول العملية السياسية حتى الآن إلى طريق مسدود ، والأسلوب الذي تم به معالجة المناطق المتنازع عليها تم ضمها من قبل الأكراد بحكم الأمر الواقع خوفا من وقوعها في يد الدولة الإسلامية بعدما انسحب جيش المالكي من مواجهة الدولة الإسلامية .

عقد جنيف ١ وتوصلت القوى الدولية إلى الحل السياسي عبر انتقال سلمي للسلطة ، ثم عقد جنيف ٢ في ربيع ٢٠١٤ وتوصلت القوى الدولية إلى أن الحل بالتفاوض غير ممكن والحل العسكري مستحيل ، واستخدم بشار الأسد الكيماوي ، وتراجعت واشنطن عن الضربة العسكرية المحدودة التي قررت القيام

بها لتأديب نظام بشار الأسد ، واستبدلتها بإرسال بعثة للتخلص من الأسلحة الكيماوية.

والمعادلة في سوريا غير متوازنة ، فإيران وروسيا يدعمان نظام بشار الأسد ، بينما المعارضة غير قادرة على حماية المناطق التي حررتها نتيجة استخدام النظام السوري البراميل المتفجرة ، ما يعني أن القوى الدولية تريد ترك أطراف النزاع من تحطيم بعضهم البعض دون تحطيم دول الجوار .

بعد الهجوم المدوي الذي قامت بهد داعش وسيطرت بموجبه على مناطق واسعة من شمال العراق ، وترى القراءة الفرنسية التي تتوافق مع القراءة الأمريكية بأن داعش التي أعلنت الخلافة الإسلامية في مناطق نفوذها بسوريا والعراق ، أي تريد تعزيز سيطرتها على مناطق متواصلة جغرافيا على مجرى نهر الفرات ، الأمر الذي يتيح لها إقامة محور استراتيجي يمكنها من التحرك بحرية ونقل الأسلحة والمعدات والقوات بين سوريا والعراق .

السفير البريطاني في بغداد سايمون كوليس يرى أنه من الضروري معالجة الوضعين في العراق وسوريا معا ، ويرى أن تكون الوحدة السياسية أولوية الساسة العراقيين ، وتوصل السنة في الإجماع على ترشيح سليم الجبوري لتسلم رئاسة البرلمان خلفا للنجيفي بينما يجدد السيستاني الدعوة لحكومة تحظى بقبول وطني وينتقد لغة الخطابات المتشددة وحذر من إراقة دم إنسان برئ .

يجب أن نتذكر أن الولايات المتحدة كانت من المعارضين لاتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦ التي قسمت المنطقة وهناك أمامها خيارات عديدة ، ما يعني أن المنطقة تواجه تغيير جذري في الجغرافيا وفي التحالفات في المنظومة الجيوسياسية .

رؤية الولايات المتحدة المعارضة للاتفاقية سايكس بيكو التي كانت سرية ولم تشارك فيها الولايات المتحدة واعتبرت التقسيم استعماري من قبل بريطانيا وفرنسا، بينما هي كانت تؤمن بحق تقرير المصير .

لذلك فإن الحرب التي تدور في سوريا وفي العراق أسفرت عن تقسيم البلدين ما يجعل واضعي السياسات في أمريكا يتساءلون عن إمكانية إعادة رسم الخطوط أم يتركوا المنطقة تتحول إلى كانتونات أصغر على غرار التقسيم الإداري العرقي أيام الدولة العثمانية ، لكن هناك من يتساءلون عن قوة الهوية الوطنية في لبنان التي عادت بعد حرب أهلية استمرت ١٥ عاما استعادت قوتها بقيادة السعودية في اتفاق الطائف عام ١٩٨٩ ، ويتساءلون عن الهوية الوطنية في سوريا وفي العراق هل تعيد البلدين إلى هويته السابقة ؟ .

وتأييدا لتلك النظرية التي تؤمن بها الولايات المتحدة مغازلة الولايات المتحدة إيران في البحرين خصوصا وأنها مقدمة على توقيع اتفاقية النووي مع إيران للتخلص من السلاح النووي ، عندما قام مساعد وزير الخارجية الأميركية لشؤون الديمقراطية وحقوق الإنسان والعمل مالينوفسكي بالاجتماع مع قادة جمعية الوفاق بعيدا عن أعين الحكومة البحرينية وهو مخالف لكل الأعراف الدبلوماسية الدولية ، وسبق أن شارك مالينوفسكي في مسيرة المعارضة البحرينية عام ٢٠١٢ لذلك قررت البحرين من مالينوفسكي مغادرة البحرين .

ورغم الصراع ما بين السعودية وإيران فلن يقبل البلدين بمثل تلك التقسيمات المطروحة في تلك التساؤلات ، لإعادة النظر في خريطة الشرق الأوسط ، لأن الولايات المتحدة لا تريد أن تبدو وكأنها تحافظ على اتفاقية استعمارية سرية جرت بين فرنسا وبريطانيا كانت غير موافقة عليها .

لذلك حاولت قيادة حل سلمي بين الفلسطينيين والإسرائليين ولكنها فشلت ، ولم تتمكن الولايات المتحدة من تأديب إسرائيل بسبب اللوبي اليهودي القوي في الولايات المتحدة ، وقد تكون الولايات المتحدة تركت إسرائيل في الهجوم على غزة ، رغم تفاوت القوى بين الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني ، ولكن تريد الولايات المتحدة أن تثبت للإسرائيليين باستمرار الوقت من دون حل سيهدد إسرائيل في المستقبل ، وأن الوضع العربي لن يستمر إلى الأبد ، رغم أن الوضع في سوريا

مرشح أن يبقى نحو عشر سنوات مر منها أربع سنوات كما يدور في الدوائر السياسية الأمريكية .

الأكيد أن الولايات المتحدة تقود مرحلة إلغاء كافة الحواجز الاقتصادية في منطقة الشرق الأوسط ، ولكن العرب يرفضون إزالة الحواجز الاقتصادية مع إسرائيل ما دامت إسرائيل تحتل مناطق فلسطينية ، لأن الولايات المتحدة ترى أن إلغاء الحواجز الاقتصادية في منطقة الشرق الأوسط بما فيها إسرائيل يجعله منطقة متكاملة اقتصادية مربحة بشكل مثير للدهشة .

والآن وبعد أربع مرات استخدمت روسيا الفيتو في مجلس الأمن فيما يخص الأزمة السورية ، استطاع مجلس الأمن أن يتوصل إلى التصويت فيما يخص إيصال المساعدات الإنسانية عبر أربعة محاور، حتى تصل المساعدات الإنسانية ل ٢ مليون من المعارضة لم تصل لهم المساعدات الإنسانية في الفترة الماضية وستكون مدة الاتفاقية ل ١٨٠ يوما تجدد عندما تنتهي .

تجد الولايات المتحدة في إعلان الدولة الإسلامية بقيادة الجهاديين ، وإعلان الخلافة هو يخيف الدول المجاورة أكثر مما يخيف الولايات المتحدة ، ونجد أن كل المنظمات الإسلامية رفضت إعطاء شرعية لهذه الدولة ، لذلك فهي لن تقاتل الدولة الإسلامية ، بل تترك المعارضة السورية والشعب العراقي هو من يقاتل الدولة الإسلامية بدعم سعودي ، بينما هي تكتفي بتقديم كافة المساعدات الاستخبارية .

وتركيا وأصبحت المعارضة نتيجة هذه التداعيات قلقة من الحضور من دون الحصول على مبتغاها في حل الأزمة السورية التي أدمت السوريين وشردتهم وأصبحوا بلا مأوى وبلا دولة مستقرة .

أنماط التوافق والصراع بين القوى الإقليمية في الشرق الأوسط:

دخلت منطقة الشرق الأوسط في دائرة مغلقة من التوتر والاحتقان والتي لا يبدو أنها تنتهي في القريب نتيجة الصراعات المفتوحة التي رسمتها الولايات المتحدة.

لم تعد تخضع الصراعات المفتوحة في منطقة الشرق الأوسط للحسابات الضيقة، كنظرية تصفير المشكلات التي ابتكرها داود أغلو عندما كان وزيرا للخارجية وأصبح اليوم رئيس الوزراء التركي ،أو اللجوء إلى الحلول الصفرية بسبب أن تلك الصراعات مرتبطة بمصالح القوى الإقليمية ومصالح الولايات المتحدة والغرب، مما يؤسس لمعادلة جديدة ما تسمى بتوازن الضعف التي تفرض على الدول الإقليمية اللجوء إلى التسويات والتوافقات تحت نظر ورعاية الولايات المتحدة.

تلك المعادلة تمنع من وجود طرف منتصر دون بقية الأطراف، والتي لن تترك طرف مهزوم أيضا، حتى تجعل جميع القوى الإقليمية والأطراف متعادلة حتى تجبرهم نحو التوافق والتسويات، وهي معادلة جديدة دشنتها الولايات المتحدة بعد ثورات الربيع العربي.

المعادلة الجديدة لن تسمح بوجود صراعات صفرية على الأرض والتي تنتهي بهزيمة طرف وانتصار الطرف الآخر، بل يجب أن تترك الصراعات مفتوحة في منطقة الشرق الأوسط حتى تدين جميع القوى والأطراف الإقليمية لهيمنة الولايات المتحدة.

أي أن إستراتيجية الولايات المتحدة في تدشين المعادلة الجديدة تهدف إلى رسم حدود لكل طرف من القوى الإقليمية حتى لا تسمح لهم بتجاوز تلك الحدود المرسومة، والأهم من ذلك بأن تلك المعادلة وتلك الإستراتيجية لا تسمح لأي طرف بحسم أي صراع بمفرده .

يعني ذلك أن تلك الإستراتيجية وتلك المعادلة الجديدة تفرض على القوى الإقليمية وعلى الأطراف التابعة لهم أن يخضعوا إلى التسويات وإلى الحلول الوسطية، وقد تم رصد تطبيق تلك المعادلة وتلك الإستراتيجية في العديد من الملفات في المنطقة، بدأ من الملف النووي بين إيران وبين بقية القوى ٥+١ الذي يتجه نحو التسوية والتوافق ونحو حلول وسطية، أي أن برنامج إيران النووي لم يتوقف لكن لن تستطيع إيران استكمال برنامجها النووي مع إخضاع برنامجها للتفتيش من قبل وكالة الطاقة الذرية.



ويمكن أن تنطبق تلك الإستراتيجية وتلك المعادلة في الملف السوري المعلق، فرغم الضغوط التي يفرضها أردوغان على التحالف الدولي في إسقاط نظام بشار الأسد بسبب اتهام أردوغان الولايات المتحدة بغياب إستراتيجية واضحة في مواجهة داعش، لأنها فوجئت نتيجة الصراعات المفتوحة في منطقة الشرق الأوسط التي خلقتها ورسمتها للمنطقة بخروج داعش وخلقت أمرا واقعا على الأرض.

لذلك نرى مدى التباين بين تركيا والولايات المتحدة حول التوصل إلى توافق لمواجهة مثل هذا التنظيم رغم المظاهرات الكردية التي تضغط على أردوغان، لكن أردوغان يقول إذا لم تكن تلك المشاركة واضحة من أجل إسقاط نظام الأسد، بينما مشاركة تركيا تكون لصالح الأكراد أو لصالح نظام الأسد ،فلن تشارك تركيا ،وهو أول تصادم بين قوة إقليمية وبين المعادلة الجديدة التي رسمتها الولايات المتحدة للمنطقة.

ورغم استبعاد روسيا عن المنطقة بسبب الأزمة الأوكرانية وكانت الولايات المتحدة تتحجج بالموقف الروسي في سوريا ،لكن الولايات المتحدة لن تقبل هي الأخرى بأي حل في سوريا بعد روسيا سوى المقايضة والتوصل إلى تسويات بين القوى الإقليمية، ولن تسمح لأردوغان بالهيمنة على سوريا بمفرده دون بقية الأطراف الأخرى إيران والسعودية.

بينما كانت التسويات واضحة في العراق بين إيران والسعودية برعاية أمريكية، واختيار العبادي من نفس حزب الدعوة ،ولم يخرج المالكي من الحكومة ،بل أصبح نائبا للرئيس ما يعني أن المعادلة كانت عبارة عن تسوية توافقية.

وما يدور في اليمن يعتبره البعض أنه انتصار لصالح إيران ضد السعودية ، ولكن مثل تلك الحسابات تعتبر حسابات ضيقة، بسبب أن الصراعات تتشابك وتتقاطع مع مصالح القوى الإقليمية والدولية.

الصراعات المفتوحة في المنطقة هي نتيجة خلق الولايات المتحدة دول هشة وضعيفة كتسريح الجيش العراقي بعد احتلال العراق من قبل أمريكا، وترك الجيش اللبناني في حالة ضعف ،وانهيار دول مثل سوريا واليمن وليبيا سمح

بإنشاء مليشيات ونشوء دولة موازية كحزب الله في لبنان، وحزب أنصار الله في اليمن، والمليشيات في العراق وفي ليبيا والتنظيمات الجهادية في سوريا.

تحولت تلك الصراعات المفتوحة من نطاقها الداخلي إلى أفق إقليمي أوسع ،وهو ما لم تتوقعه إستراتيجية الولايات المتحدة المعدة للمنطقة ،ولم تكن لدى الولايات المتحدة أي إستراتيجية واضحة للتعامل مع تلك الصراعات المفتوحة العابرة للوطنية.

أي انتقلت مفاتيح حل تلك الصراعات من الأطراف الداخلية إلى القوى الإقليمية الغير قادرة على مواجهتها فرضت صعوبات عديدة وعصية أحيانا على احتمالات التوصل إلى تسويات وتوافق إقليمي برعاية أمريكية بسبب أنها خرجت عن الاستراتيجيات المرسومة والمعدة.

بدأت تواجه أفكار المدرسة الواقعية الأمريكية التي ترسم تلك الاستراتيجيات صعوبات في مواجهة الواقع الجديد الذي فرض نفسه على الأرض في منطقة الشرق الأوسط ،فهل تراجع الولايات المتحدة إستراتيجية توازن القوى بين الدول الإقليمية في الشرق الأوسط التي لا تسمح لأي طرف بأن يحسم أي ملف بمعزل عن الولايات المتحدة خصوصا بعدما دخلت منطقة الشرق الأوسط في دائرة مغلقة من الاضطرابات التي لم تشهد له مثيلا من قبل؟.

ما هو مستقبل الإستراتيجية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط بعد انهيار أنظمة الإسلام السياسي ؟:

قدمت الولايات المتحدة دعمها الكامل لأنظمة الإسلام السياسي (الإخواني) التي خطفت الانتفاضات العربية من الشباب الذي قاد هذه الانتفاضات عبر شبكات الإنترنت الافتراضي ، فكانت عاجزة عن وقف زحف الإخوان إلى السلطة .

نجح الإخوان المسلمون في السيطرة على الحكم بسهولة عبر بوابة الديمقراطية، ولكنهم لم ينجحوا في التمسك بالحكم بعد ذلك.

فقاد الشعب المصري انتفاضة واسعة ضد حكم الإخوان، تدخل الجيش لحماية تلك الانتفاضة الشعبية.

اضطر الجيش في قيادة المرحلة المقبلة، ووجد دعما خليجيا بقيادة السعودية ودولة الإمارات والكويت، هذا الدعم أربك الخطط الأمريكية في المنطقة التي عولت كثيرا على جماعة الإخوان المسلمين كورقة في رسم سياساتها المستقبلية .

بدأت تتضارب السياسات الإستراتيجية ما بين السعودية والولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط .

وتدرك السعودية مدى المضار الذي ألحق احتلال الولايات المتحدة زمن بوش الابن للعراق ، وتم تسليم العراق على طبق من ذهب لإيران ، واتخذت إيران العراق بوابة للتمدد في المنطقة العربية ، من خلال حلفها الاستراتيجي مع النظام السوري ، وأذرعها في المنطقة كحزب الله في لبنان وحماس في فلسطين والحوثيين في اليمن .

وحاولت إيران بعد حكم الإخوان في مصر من الإسراع نحو تشكيل أذرع لها في مصر بعدما فشلت في تشكيلها زمن مبارك، ولكن الشعب المصري تصد لمثل تلك المحاولات زمن حكم محمد مرسي وكادت أن تحدث فتنة بين الشعب المصري .

ولا تزال جماعة الإخوان المسلمين يتوهمون بأن الولايات المتحدة تدعمهم إعلاميا ، وأن قطع المساعدات العسكرية عن مصر قدمت لهم بأنها كانت رسالة قوية على مواصلة مناهضة الجيش المصري ، بل كان توهمهم أكبر عندما توهموا بأن قناة الجزيرة ودفاع القرضاوي عنهم في قطر سيعزز موقفهم ، والأكثر من هذا التوهم كان تعويلهم على أردوغان بأنه سيحقق لهم المعجزات .

لم يستوعب أردوغان حقيقة إيران ، ومعروف عن إيران أنها تنقض على فريستها عندما تجدها في حالة استرخاء أو عندما تدخل في أزمة ، وهو ما فعلته مع دول الخليج بعد احتلال بوش الابن العراق .

رغم العلاقة الجيدة التي أبداها أحمدي نجاد في مكة للملك عبد الله ، ولكن بدلا من الإقدام على علاقات جيدة مع السعودية ومع بقية دول الخليج ، حدث العكس من زيادة الإيغال ومحاصرة السعودية من كل جانب ، وتقوية حزب الله

في لبنان ، وزيادة هيمنتها على العراق ، وتهميش السنة في العراق ومحاصرتهم بالإرهاب .

حاصرت السعودية الإخوان ووضعتهم على لائحة الإرهاب، وحاصرت دولة قطر، وسحبت الدول الخليجية الثلاث سفرائها من الدوحة.

ويحاول أمير قطر البحث عن مخرج لدولته من العزلة التي فرضتها السعودية عليه، عن طريق زيارة دول أفريقية كالسودان وتونس والجزائر، ولن أعتقد أن تقف مثل تلك الدول ضد السعودية، وستستمر عزلة دولة قطر.

ولكن لدى قطر قوة تكمن في الجزيرة تستخدمها كمارد في تهديد الخصم على غرار الولايات المتحدة التي تبث ما تريد ترويجه سلبا أو إيجابا والقدرة على تزييف الواقع وفق أجندات إستراتيجيتها لتشويه سمعة الخصم.

الولايات المتحدة لن تقف في وجه الإخوان، لأنها تحتاجهم في عدد من الملفات ، وخصوصا في إقناع حماس بالموافقة على توقيع اتفاقية مع إسرائيل .

لكن قامت بدلا عنها بريطانيا بإعادة النظر في مواقف الإخوان داخل بريطانيا ، والتأكد من عدم دعمهم مواقف إرهابية ، وهو تحرك سياسي نيابة عن الولايات المتحدة لإرسال رسالة للسعودية بأن المرحلة المقبلة لن تكون داعمة لجماعات الإخوان المسلمين ، ولن تقبل بأن يكون لجماعة الإخوان مقرات لهم يتحركون منها من بريطانيا لتهديد أمن دولة مصر أو بقية الدول العربية .

الانقسام داخل الإدارة الأمريكية عميق جدا ، بل عجزت إدارة أوباما عن السيطرة والتعاون مع مجلسي الكونغرس ، مما يزيدان من مأساة الإستراتيجية الأمريكية المستقبلية .

التردد الأمريكي خلال الفترة الماضية التي حاولت فيها إعادة انتشارها والتحول إلى آسيا جعلها تفقد الكثير من الحلفاء في منطقة الشرق الأوسط مما مكن بوتين من حسم شبه جزيرة القرم الاستراتيجية بالنسبة للأسطول الروسي في البحر الأسود .

ما حدث بعد زيارة أوباما السعودية هو تفاهم وليس تطابق في المواقف ، وأن يعرف كل طرف ماذا يريد الطرف الآخر لأن المصالح مترابطة ومتداخلة ، وأن يصل الطرفان إلى التعاون المشترك ، والحوار يجب أن يكون مفتوح حول العديد من الملفات للتوصل إلى أرضيات مشتركة .

وأن السعودية لن تقبل أن تستمر سوريا واجهة للمشروع الإيراني الإقليمي نتيجة تفاهمات سرية بين واشنطن وطهران ، رغم أن أوباما أكد في الرياض بأن التقارب مع طهران لن يكون على حساب أصدقاء واشنطن الإقليميين .

وترى السعودية أن تجربة الإسلام السياسي انتهت في مصر وفي المنطقة وتم حسمه ، ولا تسمح لأي دولة حتى ولو كانت الولايات المتحدة أن تلعب بمقدرات المنطقة ، ولن تقبل كذلك أن تدعم دول جماعات ليس عليها إجماع ، وتعتبره السعودية تدخلا في شؤون الدول الداخلية أعلنته صراحة .

لقد أدركت السعودية أن الولايات المتحدة لم يعد رصيد لسياساتها من الثقة والمصداقية يمكنها أن تبني عليه في أي قضية ، رغم ذلك تترك السعودية الباب مفتوحا أمام معالجة العديد من الملفات وعلى رأسها الملف السوري الذي لا ينفصل عن الملف الإيراني ، ولا يزال الملف السوري مأساة بلا نهاية .

الفصل الثالث

إحياء القومية الفارسية لتدمير العراق والمنطقة

آثارالحرب الأنجلو – الأمريكية على العراق:

قبل أن تكون المشكلة طائفية فإنها مشكلة شعوبية فارسية قديمة تسديد حسابات وثارات قديمة تبدي احتقارا للعرب كأمة وكثقافة بينما العرب حققوا انتصارات حضارية وتاريخية على الإمبراطورية الفارسية متسلحين بالإسلام العظيم فالمسألة ليست ولاء لآل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم فالأمة العربية أكثر الأمم حبا لأل البت ولكن ليس بالمفاهيم الصفوية .

فمنذ سقوط العهد الفاطمي الشيعي في مصر عام ١١٧١ الذي لا يمتلك مشكلة شعوبية انحسر المذهب الشيعي في أماكن محدودة جدا من العالم الإسلامي إلى أن حولت الدولة الصفوية إيران من المذهب السني إلى المذهب الشيعي ثم حولت الدولة الصفوية إلى دولة توسعية وبادر إسماعيل الصفوي إلى احتلال العراق باعتبار العراق ارث تاريخي وأدخل المنطقة في حروب مدمرة ووقفت الدولة العثمانية أمام هذا التوسع والتمدد فهزم اسماعيل الصفوي على يد السلطان سليم الأول في معركة جالديران عام ١٥١٤ تلتها مواجهات حدودية حتى انهارت الدولة الصفوية ثم جاءت الدولة القاجارية التي استمرت حتى عام ١٩٢٩ ثم حكمت بعد ذلك سلالة بهلوي التي أطاحت بها الثورة الخمينية .

ويعتبر الخميني أن المقامات الشيعية في العراق في النجف وفي كربلاء وسامراء وبغداد محتلة لابد من تحريرها مما أدخل إيران والعراق في حرب طائفية

استمرت من ١٩٨٠عام حتى عام ١٩٨٨ ومعركة أهلية أخرى في لبنان استمرت ما بين عامي ١٩٧٥- ١٩٩٠ التي انتهت باتفاقية الطائف .

وبعد الحرب العالمية الأولى لم تلتزم بريطانيا وفرنسا في اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦ بتقسيم تركة الدولة العثمانية وفق اتفاقية صلح وستفاليا التي وقعت عام ١٦٤٨ بل اتجهت إلى اقتطاع أجزاء من العالم العربي وأعادت تجميعها وفقا لمخططاتهما وطموحاتهما الاستعمارية فمنحت لواء الإسكندرونة لتركيا حتى لا تدخل تركيا الحرب العالمية الثانية ومنحت إيران عربستان حتى لا تسمح لروسيا الوصول إلى المياه الدافئة في الخليج بل منحتها الجزر الثلاث الإماراتية قبل استقلال دولة الإمارات عام ١٩٧١ .

إلى أن جاءت الحرب الأنجلو –أمريكية على العراق وسرحت الجيش الوطني وسلمت العراق لإيران التي كانت تطمح عبر التاريخ في احتلاله وقلبت توازن القوة الإقليمية بين السنة والشيعة لإشعال فتيل الفتنة والحرب في أوقات لاحقة وحولته إلى تنافس شيعي سني ولم تكتف الولايات المتحدة والغرب بهذا التنافس المذهبي بل لديهم مدرسة واقعية يسودها اعتقاد بأن من الأفضل ترك الإسلاميين الشيعة من حزب الله والمتعاطفين مع القاعدة مثل ثوار جبهة النصرة يقاتلون بعضهم بعضا .

وهناك كيانات تتشكل بحسب الأمر الواقع فتركيا تعتزم شراء النفط والغاز من كردستان العراق مما يساهم في تفتيت العراق والتعامل مع أكراد سوريا في شمال شرق سوريا ككتلة واحدة أي إغراء البرزاني بكردستان الموسعة لحماية تركيا نفسها من المد الشيعي وهناك كيان يتشكل في منطقة الجزيرة بين نهري الفرات ودجلة يضم سنة العراق وسوريا والقسم العلوي في شمال شرق سوريا على الساحل الذي يقاتل من أجله حزب الله لربطه بمعاقل الشيعة في وادي البقاع في لبنان مما جعل الجيش الحر يتنبه لمثل تلك التوجهات فسارع إلى إفشال تلك المخططات واستولى على مناطق في اللاذقية في الساحل السوري فالحرب في سوريا حرب طائفية لا حدود لها في أجواء مسممة بالطائفية .

فالمنطقة تقف أمام تحديات سياسية واقتصادية واجتماعية وهي شبيهة بالأحداث التي حدثت في دول أوربا الشرقية والبلقان في التسعينات بعد انهيار الإتحاد السوفيتي .

آثار تسليم العراق لإيران مقايضة للملف النووي ... وقفت إيران حائلا أمام تشكيل جيش وطني:

واشنطن لم تكن راغبة في التأثير على الساسة العراقيين ، وروجت منذ الاحتلال بأن الشيعة هم أغلبية ، بينما السنة والأكراد أقلية ، حتى تمكن الأغلبية الشيعية وفق الديمقراطية الأمريكية المستوردة التي تخشى حكام السنة السابقين التي جعلت العراق يواجه تفككيا محتملا .

اكتفت أمريكا بمساعدة المالكي في الصعود إلى السلطة ، واكتفت بتسليم العراق لإيران لإدارة دفة الحكم وفق أجنداتها مقابل التنازل عن التوصل إلى سلاح نووي .

ورغم خسارة المالكي في انتخابات ٢٠١٠ ب٨٩ مقعد مقابل ٩١ لعلاوي ، ولكن بدعم إيران والولايات المتحدة للمالكي تسلم السلطة ، وأصبح أكثر تسلطا وأكثر تبعية لإيران من ذي قبل ، بل أصبح ينفذ أوامر قاسم سليماني الرئيس الفعلي للعراق دون أي تردد أو مراجعة .

ونفذ المالكي في ولايته الثانية قصقصة أجنحة زعماء السنة المدعومين من السعودية من أجل بسط هيمنة كاملة لإيران ، ولم تعاتب الولايات المتحدة المالكي على تراجعه عن التزاماته التي قطعها على نفسه ، بسبب انشغالها بالملف النووي حتى لا تتعكر أجواء الاستعداد للمفاوضات النووية .

بل اتجهت أمريكا إلى رفض مذكرة علي الخضيري بعد استقالته الذي عمل فترة طويلة مستشارا لعدد من السفراء الأمريكيين في بغداد الذي حذر الولايات المتحدة من دعمها المطلق للمالكي سيؤدي به إلى ديكتاتورية وتجدد الحرب الأهلية ، مما يفتح الباب إلى هيمنة إيرانية مطلقة .

فرسم العراق لم تكن واقعية بعد احتلاله من قبل الولايات المتحدة التي كانت مرتبطة بالمصالح والرغبات ما بين الولايات المتحدة وإيران .

وقفت إيران أمام رغبات واشنطن في بناء جيش عراقي جديد الذي سرحه بول بريمر بعد تسلمه حكم العراق بعد الاحتلال قبل تسليمه للعراقيين ، بل اكتفت إيران بالسماح للمالكي بإنشاء قيادات للعمليات تتجنب المنظومة العسكرية التقليدية التي أصرت عليها واشنطن على أن تشمل السنة والأكراد .

وفي الفترة الثانية من ولاية المالكي شغل منصبي وزير الدفاع والداخلية وعين له موالين في مناصب عسكرية رفيعة ، وفشلت الولايات المتحدة بقصد أو بغير قصد السعي لتعزيز الجيش العراقي .

بحلول عام ٢٠٠٩ أسس المالكي وحدة خاصة للجيش تعمل مباشرة بأوامر مكتبه العسكري وهي المسؤولة عن ارتكاب تجاوزات عندما تم اعتقال ٤٠٠ سني عام ٢٠١٠ في الموصل ، وواجه المالكي على اثر تلك التجاوزات من قبل حقوق الإنسان تنديدات ، لكن المالكي حمل مسؤولية تلك التجاوزات بعثيين سابقين في الجيش العراقي .

بدأت قصقصة أجنحة الزعماء السنة المؤيدين من السعودية لإقصاء السعودية عن الشأن العراقي ، ويصبح العراق تحت الحماية الإيرانية بالكامل ، فبعد أربعة أيام فقط من خروج القوات الأمريكية من العراق صدرت أوامر باعتقال نائب الرئيس طارق الهاشمي أبرز زعيم سني مدعوما من السعودية ، واتهامه بالإرهاب ، فهرب إلى كردستان ، ثم إلى تركيا ، بعد صدور حكما بالإعدام عليه غيابيا .

واستمر السيناريو ، وامتد إلى زعيم سني بارز آخر وهو وزير المالية العيساوي الذي يحظى بشعبية بمزاعم أن له صلات بمسلحين في ديسمبر ٢٠١٢ مما أثار احتجاجات في الأنبار مسقط رأسه حتى استقالته في مارس ٢٠١٣ .

وكان الهدف الاستراتيجي الأمريكي في العراق تجفيف منابع تمويل قوى السنة الثائرة وتدمير العتاد الوفير الذي غنمه من انهيار الجيش العراقي ، ولكن

سياسات إيران والمالكي أثارت السنة في العراق ، ولم تجد حلول سياسية ، فاتجهت إلى الحلول العسكرية ، واستثمرت اجتياح العراق في ظل غياب جيش وطني ، فتمكنت من تدمير ثلاث فرق تدميرا كاملا في الشمال ، وإعطاب وتحييد ثلاث فرق في الوسط ، وهذا يعني أن نحو نصف الجيش العراقي المؤلف من ١٤ فرقة بات خارج السيطرة وخارج القدرة العملياتية في ميدان القتال .

الجميع يسمي الثورا بداعش رغم أن نسبتهم فقط ١٥ - ٢٠ في المائة حسب التقرير الأمريكي ، فإن الثوار السنة يستخدمون حرب الجبهات المتعددة ويراهنون على سعة الأرض من أجل إنهاك بقية الجيش .

عبء جديد يضاف إلى إيران بعد تدخلها في سوريا ، ولكن سيطرة إيران عبر الفوضى في المنطقة ، وهناك شيعة عراقيين فطنوا لمثل هذا السيناريو الذي يدمر بلادهم ، من أمثال المرجع الشيعي الصرخي الحسني في كربلاء الذي رفض فتوى السيستاني في تجييش الشيعة لمواجهة السنة ، فبدأت مليشيات المالكي بأمر من قاسم سليماني بأن تقاتل المرجع ، وقتل في المواجه أربعة من أنصار المرجع الصرخي والمواجهات لا زالت قائمة .

فغياب تكوين جيش وطني ، كان السبب في اجتياح العراق من الجماعات السنية ، وكان يمكن أن يحمي الجيش الوطني العراق من هيمنة إيران ، وتسلط المالكي ، جيش على غرار الجيش في مصر الذي أوقف انجرار مصر نحو حرب أهلية بدعم سعودي خليجي ، بينما إيران حاولت انتزاع البحرين على غرار الجزر الإماراتية ، وحاولت تكرار سيناريو حزب الله في اليمن بتكوين مليشيات موازية للجيش ، لذلك تحرص السعودية على إزالة آثار التدمير الذي تتبعه إيران في الدول العربية من أجل فقط بسط نفوذها .

العراق ما بين لعبة التقسيم والوحدة:

أقام البريطانيون العراق عام ١٩٢١ ليكون منطقة عازلة ضد كل من تركيا وروسيا، وجلب البريطانيون له ملكا من الخارج فيصل بن الحسين بن علي الشريف المولود في مكة وجلب معه نخبة حاكمة، حكمت العراق إلى أن تم

الانقلاب على الحكم الملكي على يد العسكر بقيادة عبد الكريم قاسم ،وبدأ العراق مرحلة جديدة من الملكية الدستورية إلى جمهورية.

العراق بوابة العالم العربي الشرقية يمتلك ١٠ في المائة من احتياطيات النفط مطمع للعديد من القوى الإقليمية والدولية ،فالولايات المتحدة تنافس الاتحاد السوفيتي منذ زمن الحرب الباردة على العراق ،ولكن بعد الحرب الباردة أصبح العراق فرصة سائغة للولايات المتحدة ،فلم تكتف الولايات المتحدة بالهيمنة على العراق بعد العقوبات التي أرهقت العراق وجعلته دولة ضعيفة جدا، ورفضت الولايات المتحدة كل العروض التي عرضها صدام حسين على الولايات المتحدة من أولوية عقود النفط والبنية التحتية للكهرباء المتهالكة في العراق نتيجة العقوبات المفروضة عليه فترة طويلة منذ الحرب الخليجية عام ١٩٩١ ،لكن أصرت الولايات المتحدة على غزو العراق ولم تترك إيران الولايات المتحدة تتمتع بالغنيمة بمفردها وأصرت على مشاركتها.

بينما كان هم إسرائيل الوحيد هو إزالة أي قوة كانت تهددها في المنطقة وعلى رأسها العراق ،كما هي تريد إضعاف كافة القوى في المنطقة بما فيها إيران ،لكن تغيرت كثير من المعادلات بعد قيام ما يسمى بثورات الربيع العربي ،تركت الولايات المتحدة الجميع يقاتل الجميع خصوصا في سوريا ،قد يكون مفيدا لحليفتها إسرائيل من أجل التوصل إلى حل القضية الفلسطينية التي تتذرع بها إسرائيل في كل مناسبة.

لكن فشلت الولايات المتحدة في تحقيق تلك الغاية ،وفي نفس الوقت انهارت المنطقة ،ولم يستفد أحد من قتال الجميع مع الجميع لكن استفادت الولايات المتحدة أنهم يستنجدون بها في إنقاذهم ،كذلك أصبحت مصالح الولايات المتحدة مهددة في المنطقة .

ودخلت أزمة جديدة بين الولايات المتحدة وروسيا حول أوكرانيا فتضخمت الأزمات وتعددت ،وأصبح هناك ضغط على أوباما في الولايات المتحدة بعد تراجع الدور الروسي في المنطقة نتيجة محاصرته وفرض عقوبات ، والضغط على الدور

الإيراني، يمكن أن تحقق الولايات المتحدة عدد من المصالح في المنطقة وإعادة تموضعها بشكل أفضل.

أظهر الفشل في الموصل أن المشكلة العراقية تكمن في كون الدولة ما تزال تعاني الضعف والفوضى بما لا يمكنها من مواجهة الخصوم في الداخل بسبب الدكتاتورية التي أقامها الطائفي المالكي بدعم إيراني شبيهة بدكتاتورية صدام حسين ،وأراد المالكي قبل إسقاطه أن يحقق أحلام من يدعون إلى تفكيك العراق على الأقل إلى ثلاث دويلات صغيرة شيعية وسنية وكردية ،رغم دكتاتوريته صدام حسين لم يكن العراق مهدد إلى التفكك ، بل حافظ على وحدة العراق طيلة حكمه حتى تم غزو العراق على يد الولايات المتحدة.

رغم أن التخلص من صدام حسين كانت فرصة للتخلص من العقوبات التي أضعفت العراق والتخلص من ديكتاتوريته، ولكن سلمت الولايات المتحدة العراق للطائفيين، وكان أبرزهم نوري المالكي الذي أقام دكتاتورية طائفية جديدة جعلت العراق يتجه نحو التفكيك.

فالحجة بأن العراق قابل للتقسيم ساذجة، فجميع الدول الوطنية هي من تقسيم الاستعمار، اتفقت الكتل البرلمانية والقوى السياسية على تكليف حيدر العبادي ،لكنها مختلفة حول توزيع المناصب والحقائب الوزارية نتيجة تدني مستوى الوعي الحزبي والثقافي.

رحبت الولايات المتحدة ودول المنطقة بالتغيير في العراق في ظل سيطرة داعش على ٢٠ في المائة من أراضي العراق، بينما البعض يراها تداول كراسي ،ولا تزال الأنانية الحزبية مهيمنة ومسيطرة.

يعاني العبادي من حصار طائفي، ما يعني أن ساسة العراق وقياداته لم يستوعبوا حجم الأزمة في العراق ،ويبدون أمام شعب العراق أنهم يسعون للتكسب على حساب أزمة الشعب العراقي، وأصبحت كل وجوه الأزمة في الحكومة الجديدة ،يمكن أن نعذر العبادي بأنه أراد الانحناء للعاصفة.

إياد علاوي وأسامة النجيفي ونوري المالكي نواب لرئيس الجمهورية فؤاد معصوم، وحسب تصريح الرئيس العراقي بأنه ليس بحاجة إلى ثلاثة نواب، وخصوصا المالكي وجه من وجوه الأزمة في العراق ،ما يعني أن الأزمة السياسية والطائفية في العراق كبيرة ومتجذرة ،وأن الجميع قلق على المصالح الشخصية والطائفية والحزبية الضيقة وليس أحد منهم قلق على العراق الوطن ،في حين كان يحتاج العراق إلى حكومة وحدة وطنية من أجل بناء وحدة العراق من خلال التنوع ،وليس من خلال التجانس ،وانتهى الوقت من التعامل مع بعض المحافظات على أنهم من الدرجة الثانية بينما ينبغي السعي نحو وحدة تلبي الاحتياجات الإستراتيجية لدولة مزقتها الحرب والطائفية، وليس حكومة تتشكل على اعتبارات تكتيكية أو ناتجة عن مساومات لم تترك مجالا للجيل الجديد.

لكن التغيير الجديد يمكن أن يقلل من الاستقطاب والجنون ،ما يعطي فرصة لإعادة المراجعة وإعادة النظر في الحروب الطائفية والتقسيمية التي تشنها إيران منذ سنوات، وسقوط ثلاثين ألف قتيل في عهد المالكي ما استطاعت أجهزة الأمن تلافيها بعد إتباع المالكي سنة من سبقه من صدام حسين والقذافي وبشار الأسد تسبب في زوال الوطن وتهديد وحدته ، وترك للجنرال قاسم سليماني يسيطر على العراق أمنا وعسكريا وسياسيا داخليا وخارجيا ويتصرف بموارد العراق في تمويل عمليات حزب الله في سوريا ودعم الحوثيين في اليمن ودعم المعارضة في البحرين وفي جهات عديدة.

أمام العبادي تحديات كبيرة ،فيما يتعلق باختيار وزيري الدفاع والداخلية ، وتسريح المليشيات الطائفية وتشكيل جيش وطني ، وبعد زيارة كيري بغداد ولقائه بالعبادي دعمت واشنطن تشكيل حرس وطني من أبناء المحافظات ال ١٨ لمواجهة داعش ،بينما رفض الأكراد انضمام البشمركة إلى الحرس الوطني،وأمام العراق فتح صفحة جديدة في علاقات العراق مع محيطه العربي.

يحسب للولايات المتحدة بعد أزمة الموصل أن قدمت الحل السياسي على الحل العسكري على عكس قاسم سليماني المسؤول الإيراني الأول في العراق عن تقديم

الحل العسكري على الحل السياسي وإصراره على الولاية الثالثة للمالكي، لكن تصلب الموقف الداخلي في العراق ضد المالكي بدعم أمريكي وإقليمي أسقطا المالكي وقاسم سليماني وانصاعت القيادة الإيرانية للموقف الجديد.

رغم أن العبادي من البيت الشيعي ولكنه ليس من الأسماء التابعة لإيران، بل كان من الأسماء المستبعدة ،لكن علي شمخاني شجع القيادة الإيرانية على القبول بالعبادي دون الحل الوسط بالنسبة لإيران ،لأن العبادي لم يعرف عنه التعاون مع المليشيات المسلحة التي شكلتها إيران لدى سائر الأطراف الشيعية في العراق منذ عام ٢٠٠٤ .

لعل القيادة الإيرانية تحسن وضعها في المعادلة العراقية الجديدة حتى لا تصطدم مع المرجعية الشيعية في النجف التي تولت التغيير الجديد.

وهناك تغير في السياسة الإيرانية خصوصا عندما قال روحاني أنه سئم الجبناء والمتطرفين الذين يهربون من التحديات الداخلية إلى الحروب الخارجية بحجة صون التشيع من التكفيريين وحماية العتبات والمزارات ،ويدرك روحاني أن الحرس القديم يربط بين الملفين النووي والنفوذ ،بينما هو يريد انفراجة في مفاوضات النووي وفك الحصار.

انعكاسات ودلالات الاتفاق النووي الإيراني مع واشنطن على أمن المنطقة العربية:

كانت المؤامرات على الكعبة المشرفة قديمة قبل مقدم الرسالة المحمدية وقصها علينا القران الكريم في سورة الفيل حينما اتى أبرهة الحبشة إلى مكة لتدمير الكعبة لتحويل وجهة الحج إلى الحبشة ، وأخذت المؤامرات فيما بعد أشكالا عدة خصوصا بعدما أعلى الشيعة من مقامات وأضرحة أئمة الشيعة ويفضل بعض أئمة الشيعة هذه المقامات والأضرحة وخصوصا قبر الحسين رضي الله عنه على الذي يحج بالبيت الحرام .

ويستعيد القوميون أمجاد الإمبراطورية الفارسية كلما حانت الفرصة ، ونلحظه تاريخيا في التحالف الذي أبرم ما بين الدولة الصفوية في عهد الشاه إسماعيل

والبرتغاليين في عهد القائد البرتغالي البوكيرك وكانت بنود التحالف ضد الدولة العثمانية السنية وتوزيع الأدوار بين الجانبين ، فدور الدولة الصفوية أن تسيطر على البحرين والقطيف لتمهيد الطريق إلى مكة والمدينة بينما يحاصر البرتغاليون جزيرة العرب من البحر الأحمر ومن بحر عدن واليمن للإنقضاض على مكة والمدينة المنورة عام ١٥٨٧ انتقاما من هزيمة الدولة العثمانية الدولة الصفوية في معركة جالديران عام ١٥١٤ وقضت الدولة العثمانية على المماليك في بلاد الشام حلفاء الدولة الصفوية في معركة مرج دابق وتمكنت الدولة الصفوية من اشغال الدولة العثمانية مما أعاق استمرارها في التقدم في أوربا بعد محاصرة النمسا عام ١٥٢٩ وقد يكون انتقاما من سقوط دولة فارس في عهد الفاروق عمر بن الخطاب في معركة القادسية .

فالخلفية التاريخية والمصالح تتحركان جنبا إلى جنب ، وما الاتفاق النووي الإيراني مع الغرب الذي جاء نتيجة معاناة الولايات المتحدة من إرهاق داخلي نتيجة ازمة اقتصادية ، وكذلك جاء الاتفاق نتيجة معاناة إيران من إرهاق من العقوبات الاقتصادية الدولية ، فجاء الاتفاق في اتفاق تهدئة وليس في اتفاق حسم ، ثم تدرس التجربة وعلى ضوئها سيتم أخذ المواقف النهائية لذلك ستستمر حالة القلق والتوتر في المرحلة المقبلة التي حددت بمدة ستة أشهر وستكون تداعيها وانعكاساتها على المنطقة غير واضحة .

ولقد واجه هذا الاتفاق ردود فعل صحفية وعاطفية بعيدة كل البعد عن رسم الاستراتيجيات ، مثل ردود الفعل بأن هذا الاتفاق هو طعن في الظهر لدول الخليج من حلفاء تاريخيين ومثل ردود فعل أخرى تدعي بأنه تحالف الفرس مع الرومان وغيرها من ردود الفعل الأخرى التي لا تسمن ولا تغني من جوع وهي فقط للاستهلاك الإعلامي والصحفي ، ولم يعي مثل هؤلاء بأن الغرب يتعاملون مع دول الهامش او الأطراف أو الوكلاء أو الحلفاء بتسميات كثيرة منها ما هو دبلوماسي ومنها ما هو استراتيجي وينظر الغرب وخصوصا الولايات المتحدة إلى هذه الدول ضمن استراتجياتها بأنها يجب أن تمسك بجميع خيوط المنطقة أو

بجميع خيوط الملفات الساخنة بحسب أولوياتها فترخي خيط وتشد خيط آخر ما تسمى بلعبة الحبال .

ولكن الثورات العربية أربكت المشهد الجيوستراتيجي في المنطقة ، وأرادت إيران توسيع نفوذها عبر الثورات خصوصا في البحرين وفي اليمن ، ولكنها فوجئت بالثورة تمتد في سوريا الحليف الاستراتيجي لها في المنطقة كمعبر إلى أفريقيا في مصر خصوصا ، وفي المقابل أرادت تركيا أن تقود محور إخواني مقابل محور إيران ، وهذا المحور الإخواني هو بالتحالف مع دولة قطر في مصر وليبيا وتونس وحتى المغرب والأردن وحتى في دول الخليج وهو ما أغضب خصوصا السعودية ودولة الإمارات ، وفي سوريا وهو ما قاد إلى صراع مع إيران الحليف الاستراتيجي لدمشق ونالت تركيا لقاء تشكيل هذا المحور الجديد تأييد الولايات المتحدة لرسم خريطة جديدة للمنطقة ، ولكن الجيش المصري بدعم سعودي إماراتي حطم الآمال التركية الأمريكية .

فالاتفاق النووي الإيراني مع الغرب يعيق قيام تحالف إيراني روسي صيني يمكن روسيا الوصول إلى مياه الخليج حيث المصالح الحيوية للولايات المتحدة ، كما يعترف الاتفاق بعدم سعي الولايات المتحدة نحو تغيير النظام الداخلي في إيران وطلب مساعدة إيران في قيام قواعد أمريكية في أفغانستان ، ولكن تبقى نقطة الخلاف الجوهرية بين الجانبين وهو الاعتراف بالنفوذ الإيراني في المنطقة خصوصا في البحرين وفي اليمن وفي سوريا والعراق ولكن الولايات المتحدة لم تقدم موافقة صريحة لإيران ولكنها ستغض الطرف عن التواجد الإيراني في المنطقة .

فالعلاقات المصرية التركية في أردأ أحوالها ، بينما تغازل تركيا الدور الإيراني للوصول إلى حلول توافقية في سوريا بعدما أدركت أن الدور الغربي يريد محاصرة وتوريط تركيا في المستنقع السوري لإضعاف قوة اقتصاد تركيا المتنامي ، وتوثيق تركيا علاقاتها مع روسيا بعدما توترت العلاقات في الفترة الأخيرة نتيجة اختلاف الرؤى حول الأزمة السورية ، لكن أثبت الروس أن لديهم دهاء قل نظيره في نشل أوباما من التورط في ضربة عسكرية قد تفضي إلى فوضى في المنطقة واختزال

الأزمة السورية في الكيماوي السوري الذي يصب التخلص منه في مصلحة الأمن الإسرائيلي فقط وترك حل الأزمة السورية إلى أجل حتى تنضج اللعبة السياسية بين جميع الأطراف الدولية .

بينما اتجهت دول الخليج الحائرة والقلقة رغم أن الاتفاق من عدمه لا يفيد شيئا لدول منطقة الخليج سوى أهمية لجوء دول الخليج إلى البحث عن استراتيجيات متماسكة كتعزيز وحدة دول الخليج لمواجهة هذه التحديات بدلا من مواجهتها فرادى ، وبدأت تتجه دول الخليج إلى تأكيد حرصها على تعزيز الشراكة الإستراتيجية مع المغرب والأردن التي عانت في الفترة الماضية من صمت مطبق ، والآن تعود مرة أخرى إلى السطح ، ما يعني أن استراتيجيات دول المنطقة هي عبارة عن ردات فعل وليست فعل.

آثار الصراع الأمريكي الإيراني في العراق على العراق والمنطقة:

استيلاء العشائر السنية وداعش على بلدات كبيرة في شمال العراق وشرقه ، ورغم التطورات في العراق في غاية الأهمية بالنسبة لطهران وأمنها القومي ، كما ومن المهم أن تقوض الولايات المتحدة تنظيم داعش قبل الإطاحة حكومة المالكي أي أن الطرفين يواجهان معا تحديات مواجهة داعش .

فشلت إيران في الحصول على تدخل من قبل الولايات المتحدة في العراق ، واكتفى أوباما بإرسال مستشارين عسكريين ، وفي نفس الوقت اتهمت واشنطن إيران بأنها أمدت حكومة المالكي بطائرات من دون طيار ومعدات عسكرية ، لكن إيران كانت حذرة من مثل اتهام الولايات المتحدة لها في التدخل في العراق ، على الأقل بشكل معلن ، فأعلنت على لسان المتحدثة باسم وزارة الخارجية الإيرانية مرضية أفخم قائلة بأن القوات الإيرانية والقائد قاسم سليماني لم يكن لهما وجود في العراق وهو نفي ينافي الحقيقة والواقع .

ويبدو أن كلا الطرفين وحتى السعودية حذرون من التعاون فيما بينهم في العراق ، خصوصا في ظل الإشارات التي ترسلها إيران المتضاربة التي لا تطمئن الولايات

المتحدة ، وكذلك في التردد الأمريكي في سوريا ما يجعلها تحجم عن التدخل في العراق حتى لا تغضب السعودية بسبب ترددها في التدخل في سوريا .

ومن المرجح أن كلا من الولايات المتحدة وإيران الحريصتين على التوصل إلى اتفاق قبل ٢٠ يوليو ٢٠١٤ ، لكنهما يدركان الصعوبات التي قد يواجهانها ، وفي حال فشل المحادثات ستتيح الفرصة للمحافظين في كلا البلدين المعارضين التي تهدد المباحثات في المستقبل ، وفشل المحادثات يعطي إيران الفرصة في تصنيع قنبلة نووية ، فأصبحت الخيارات أمام الطرفين محدودة وضيقة .

لأن إيران في ظل حكومة روحاني حريصة على تحسين الاقتصاد الإيراني والمساعدة في رفع العقوبات التي أضرت بالاقتصاد الإيراني في الفترة الماضية ، وإخراج إيران من عزلتها السياسية والاندماج السياسي في المجتمع الدولي .

وفشل المحادثات بالنسبة لأمريكا يقودها إلى الحرب وهو ما يرفضه أوباما ، ولكنها ستكون فرصة للمحافظين بعد نهاية فترة أوباما في التوجه نحو الحرب .

لذلك تغض إدارة أوباما عن جوانب غامضة في البرنامج النووي التي حيرت المفاوضين الغربيين ، ولكن أوباما لا يريد المحاسبة التاريخية الشاملة ، ورغم أن الاتفاقية التي ستبرم وسط حالة من الشكوك الكبيرة الثائرة حول مقدار العمل المطلوب انجازه مع إيران قبل أن تكون مستعدة لتحويل الوقود المجهز لصنع القنابل الذي بحوزتها إلى سلاح فعلي .

ومع بدء جولة جديدة من المفاوضات النووية بين إيران و٥+١ في فيينا بتاريخ ٢٠١٤/٧/٢ شارك في المباحثات ١٥ من كبار موظفي وزارتي الخارجية والخزانة الأميركيتين وهي الجولة السادسة التي قد تستغرق ٢٠ يوما .

لكن إيران فشلت حتى الآن في انتزاع اعتراف أميركي بالمجال الحيوي الإيراني والتسليم بمصالحها في الإقليم ، بل رفضت الولايات المتحدة مناقشة الأزمة العراقية على هامش تلك الاجتماعات ، وتنسيق موقفهما عبر تعاون وثيق في العراق ، لأن ما يهم الولايات المتحدة هو وقف تدخل إيران في الصراعات الإقليمية .



أحداث العراق كانت مفزعة لكلا الطرفين إيران والولايات المتحدة ولبقية الأطراف الأخرى في المنطقة ما عدا نظام الأسد والمالكي ، وكما قال وزير خارجية إيران ظريف أن التوصل لاتفاق لنقوم بعمل بارز يسجل في التاريخ ينهي تلك الأزمة التي أشغلتنا وألهتنا عن التصدي معا للتحديات المشتركة .

لذلك ستكون الولايات المتحدة ملتزمة بالحرص والحذر من التعامل مع الأزمة العراقية والسورية حتى يتوصل الفريقان إلى اتفاق ، وتتجه الولايات المتحدة نحو التعامل مع قضايا المنطقة خطوة خطوة دون تعجل وهو ما يجعل المسار المفترض لأزمات المنطقة متوقف لأجل وتبقى الصراعات مفتوحة .

الفصل الرابع

مصير الدولة الحديثة بعدما تآكلت في الشرق الأوسط

العالم العربي ما بين الاستبداد والإرهاب:

حلم الثورات العربية التي بدأت نهاية عام ٢٠١٠ وبداية عام ٢٠١٢ بأن الثورات ستجلب معها الديمقراطية القائمة على التعددية ،والتي تحقق الحرية والمساواة تحل محل الاستبداد.

تبخرت آمال الثورات العربية عندما ورطها المجتمع الغربي الديمقراطي في مستنقع الإرهاب، بل حتى الدولة الاستبدادية القائمة تبخرت وانهارت وتفتت ،وأوضح مثال على ذلك سوريا التي تلاعب بها المجتمع الدولي ،وجعل الدول الإقليمية تتصارع على سوريا ،وتعمد الانقسام حول سوريا مراهنة على تقاسم المصالح والنفوذ على سوريا استعدادا لمرحلة جديدة أوجدت فراغا ملأه الإرهاب.

أصبح العرب قلقين من تلاعب السياسة الأمريكية بالمنطقة ،خصوصا بعدما نجحت في استبعاد روسيا ،وبدأ تنافس أوربي أمريكي على المنطقة رغم اشتراكهم في حلف واحد الناتو.

انتقلت المنطقة فعلا من مرحلة الغموض البناء التي بشر بها كيسنجر في سبعينات القرن الماضي إلى زمن الفوضى الخلاقة التي هددت بها كوندليزا رايس الدول العربية زمن بوش الابن.

يعتقد البعض أن ما يدور في المنطقة تخبط السياسة الأمريكية ، بينما هي ترتيبات واستراتيجيات مدروسة مسبقا ،يمكن قراءة رؤية كيسنجر في كتابه (

النظام العالمي الجديد شراكة بين أمريكا والصين) يرى كيسنجر في الكتاب بأن دول الشرق الأوسط قد تآكلت من الإهمال ، وسادت فيها الصراعات الطائفية والعرقية (بالطبع الصراعات التي زرعتها أمريكا بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣) ، واعترف كيسنجر أن تلك الصراعات بسبب قوى خارجية ولكنه لم يقل الولايات المتحدة وإيران ،ولم يذكر كيسنجر كلمة واحدة عن أهمية الحرية والديمقراطية .

تجمع الولايات المتحدة اليوم بين إستراتيجية الغموض البناء التي تعتمد على الخداع والتي تقرأ على وجهين ،وهي إستراتيجية تستخدمها الولايات المتحدة الآن في قيادة تحالف دولي في محاربة الإرهاب لمجموعات لا تزيد عن عشرة آلاف أو عشرين ألفا يمكن القضاء عليهم بكل سهولة من الجو بسبب أن الولايات المتحدة تركت فراغا في سوريا ملأه الإرهاب وهم لا يمتلكون حواضن بشرية مثلما تملك الثورة السورية يمكن أن تحميهم من استهداف النظام ، وكذلك حماس وحزب الله الذين يحاربان من أرضه ولديه بنية تحتية قتالية معدة للقتال تحميه من القصف الجوي بالطائرات بسبب اختلال موازين القوى.

تدعي الولايات المتحدة أن تكلفة القضاء علي الجماعات الإرهابية يبلغ ٥٠٠ مليار دولار صرح بتلك التكلفة وزير الدفاع الأميركي في الكونغرس، وهي بذلك تبتز دول النفط التي ستدفع نسبة كبيرة أغلبها دول النفط لدعم الاقتصاد الأمريكي المنهار مستثمرة استبعاد روسيا وركون صيني ، وحاولت الولايات المتحدة استبعاد حتى الدول الأوربية حليفتها في الناتو ولكن شاركت فرنسا بضربات جوية لتحصل على نصيبها من التكلفة ،وهو ما جعل تركيا تستثمر ال٥٠ رهينة تراجعها عن إعلان مشاركتها في التحالف الدولي حتى لا تشارك في دفع جزء من التكاليف.

لن تدفع دول الخليج أي تكاليف إذا لم تشمل تلك الضربات النظام السوري وإنهاء الأزمة السورية التي تركتها الولايات المتحدة حاضنة للإرهاب وحاضنة للصراعات وتصنيع داعش التي ضخمتها الاستخبارات الأمريكية لإخافة دول

الشرق الأوسط بينما هي في الحقيقة فقاعة لا تمتلك مقومات الصمود بسبب أنها لا تمتلك بيئة تحتية للقتال.

مما يثبت أن الولايات المتحدة تتلاعب بمنطقة الشرق الأوسط دورها الحاسم والواضح في إثارة كييف في أوكرانيا وتحفيزها في مواجهة موسكو حرصا منها على المصالح الغربية أمام توسع الدب الروسي خصوصا وان الولايات المتحدة مقبلة على توقيع اتفاقية تجارة حرة مع الاتحاد الأوربي.

لم يظهر حتى الآن عالما ما بعد أمريكا ،وكما تنبأ كيسنجر إنه لن يكون هناك عالم متعدد الأقطاب يعمل معا على إعادة التوازن لعالم مختل ومضطرب ، بل تنبأ كيسنجر بأن يكون نظام عالمي جديد سيكون شراكة بين أمريكا والصين.

لا يزال لدى البعض آمال في استنساخ نظاما تعدديا جديدا في منطقة الشرق الأوسط على غرار الموجود في العالم الغربي ،بينما يصدر إلينا الغرب ديمقراطية مشوهة ومستنسخة من نموذج تعددي طائفي وعرقي مثلما الموجود في لبنان ،وتم تطبيقه في العراق وقد يتم تطبيقه في سوريا المستقبل وفي دول أخرى.

لكن مصر أفلتت بعدما أفشلت من أن تكون دولة تستورد مثل هذه الديمقراطية المشوهة والمستنسخة من لبنان أو العراق .

رغم أن البعض يندد بعودة الاستبداد إلى مصر ، لكنه قد يكون أفضل من النظام التعددي المشوه في لبنان والعراق الذي أعاق أي تقدم اقتصادي ،بسبب أن الكيانات كان همها الوحيد تقوية كياناتها على حساب الوطن ، هذا إذا لم تكن تصرف تلك الكيانات على الميليشيات التي تحميها من بقية الكيانات الأخرى مما أدخلها في صراعات والأغلبية تسيطر على الأقلية ، والأقلية تستقوي بالخارج ضد الأغلبية ، حتى لا يكون

آثار تآكل الدولة الحديثة في الشرق الأوسط على مستقبل المنطقة:

منذ نهاية الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي صارت أمريكا تقود العالم بمفردها، وترى أن السيطرة على منطقة الشرق الأوسط يمكنها من قيادة العالم، لكن نتيجة السياسات التي انتهجتها الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط صار العالم من دون نظام مستقر.

ترى الولايات المتحدة أن بغداد ودمشق والقاهرة مراكز جيواستراتيجية تحيط بدول الخليج وخصوصا السعودية التي يوجد فيها الحرمين الشريفين ومركز احتياطيات النفط، وترى أن الهيمنة على تلك المراكز وتدميرها بنفس الأدوات التي دمرت المنطقة عبر التاريخ.

بعد انهيار الحكم العثماني أعادت بريطانيا حلم الحروب الصليبية إلى المنطقة، ولكن هذه المرة بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين حتى يبدأ الصراع بين أتباع الديانتين، وبالطبع فإن الغرب يدركون أن من الصعب حسم الحروب الصليبية دون مشاركة مصر أي إشغال مصر بالأزمة الفلسطينية بل وإشغال كافة الدول العربية.

بعد أن تسلمت الولايات المتحدة قيادة العالم لم تكتف بذلك بل أعادت قراءة التاريخ الإسلامي، من أجل أن تفتقر المنطقة إلى الاستمرارية والتجانس الجغرافي والسياسي، وتجعله مدنا متناثرة غير مرتبطة بفكر موحد ولا يشعر بهوية مشتركة، وتجعل الجميع لا تربط بعضهم بعضا سوى روابط هشة حتى تفرض عليهم الاستعانة والاستغاثة بالولايات المتحدة.

وسبق أن تنافسا وزيران زمن الدولة الفاطمية هما شاور وضرغام، تمكن ضرغام من أن يحاصر شاور بعد تحالفه مع الصليبيين، رغم أن مصر لم تكن صيدا سهلا للصليبيين، فاستعان الخليفة الفاطمي بالسلطان نور الدين محمود في الشام، وأرسل له السلطان نور الدين أخيه أسد الدين شيركوه وبصحبته ابن أخيه صلاح الدين لتخليص مصر من الصليبيين عام ١١٦٧.

تم تولية صلاح الدين رئيسا لوزراء مصر بعد وفاة عمه أسد الدين، وأعاد مصر لعباءة الخلافة العباسية في العراق واستعادتها إلى أهل السنة، ورغم مرور أكثر من ٢٦٩ عام على حكم الفاطميين فلم يتشيع من المصريين سوى عدد قليل جدا.

وحد صلاح الدين مصر وبلاد الشام بعد موت عمه نور الدين، وأول عمل قام به تصفية المليشيات التي كانت قائمة في ذلك الوقت من أجل تثبيت أركان تثبيت أركان الدولة المركزية المصرية وعلى رأسهم مليشيات الأرمن والصقالبة والزنج التي دخل معها في صراع مرير إلى أن قضى عليها.

من أهم قراراته استبدال قضاة الدولة الفاطمية إلى قضاة ينتمون للمذهب الشافعي وهي خطوة أراحت المصريين لأن هذا الشعب لم يكن شيعي الهوى في أي وقت من تاريخه، وجعل الأزهر الشريف منبرا للعالم السني وليس للشيعي كما كان مقصودا من إنشائه، قبل أن يحرر القدس من براثن الصليبيين في معركة حطين عام ١١٨٧ واستطاع أن يوحد مصر والشام والحجاز وتهامة واليمن في ظل الراية العباسية.

التقطت الولايات المتحدة إشارة الصراع المذهبي بين السنة والشيعة من التاريخ الإسلامي لإحيائه في المنطقة واللعب على هذا الوتر من أجل تقسيم المنطقة بأيدي أهل المنطقة نفسها وهو يؤدي تلقائيا إلى إحياء التشدد ودعم جماعات الإسلام السياسي لفتح الباب على مصراعيه أمام ظهور مفاهيم وفرق جديدة تتمحور أغلبها حول رؤية مفهوم الشرعية في نظام الحكم الإسلامي مثلما خرجت جماعة الخوارج من مجرد أفكار غير منظورة إلى فريق سياسي ديني متطرف.

دعم الغرب الثورة الخمينية عام ١٩٧٩ وهي نفس السنة التي احتل فيها الاتحاد السوفيتي أفغانستان، وبطريقة مزدوجة دعم الغرب صدام حسين في الدخول في حرب مع إيران بحجة وقف امتداد الثورة الخمينية في المنطقة العربية، وفي نفس الوقت دعمت الولايات المتحدة المجاهدين لإخراج الاتحاد السوفيتي من أفغانستان.



وهي نفس الجماعات الجهادية التي تسمى بالقاعد ارتدت على الولايات المتحدة وقامت بأحداث ١١ سبتمبر، إلى أن قامت الولايات المتحدة بغزو أفغانستان بسبب رفض خروج القاعدة من أفغانستان، ومن ثم غزو العراق من قبل الولايات المتحدة عام ٢٠٠٣ تحت ذرائع امتلاك العراق أسلحة كيماوية بدعم إيران وشيعة العراق وأكراد العراق الذين ارتكب صدام حسين في حقهم مجزرة حلبجة بالكيماوي.

والآن يستثمر أوباما شعرة مفاوضات الملف النووي الإيراني بين إيران والسعودية وصراعهما في سوريا، بعدما ثار الشعب السوري على نظام الأسد، ولم تشفع لهم حتى استخدام النظام الكيماوي ضدهم، بل ظلت الولايات المتحدة تلعب على الطرفين، ولن تسمح لأي منهما تحقيق مكاسب على حساب الطرف الآخر، من اجل ترك المنطقة في صراع مستمر دون حسم الصراع لصالح أحد الطرفين.

فعندما تريد الولايات المتحدة الضغط على إيران تترك الجماعات المتشددة تنمو وتتوسع مثل داعش التي اقتحمت الموصل، وتريد التمدد في المنطقة، ما جعل أوباما يخاطب خامنئ سرا لبحث التنسيق في مواجهة داعش ضمن مقايضات حول الملف النووي، وبالفعل شارك قاسم سليماني في تحرير آمرلي وجرف الصخر من داعش من أجل استعادة سمعة إيران كمخلص للشيعة من خطر داعش لاستعادة ولاء شيعة العراق لإيران بعد انزعاج شيعة العراق من التدخل الإيراني في العراق وتدمير النسيج الاجتماعي نتيجة دعمها مليشيات شيعية تقتل على الهوية.

عندما تجد الولايات المتحدة أن السعودية بدأت تتمرد وتؤجج المجتمع العالمي تجاه سياساتها في المنطقة، اتجهت نحو الضغط على إيران، مثلما نجح علي شمخاني رئيس الأمن القومي الإيراني في الإطاحة بنوري المالكي من منصبه، وهو شخصية سياسية يمسك العصا من النصف ما بين الرئيس روحاني والمرشد خامنئ ويعول عليه في إدارة الأزمة مع السعودية مستقبلا.

لم تكتف أمريكا بذلك بل في الجانب الآخر دعمت الجيش السوري الحر وجعلته يحرر اللواء ١١٢ وهو أكبر لواء لجيش النظام في جنوب البلاد في نفس اليوم الذي تتفاوض فيه إيران حول الملف النووي مع الدول الست في عمان ٢٠١٤/١١/٩ من أجل الضغط على إيران للتوصل إلى حل حول الملف النووي وهو المكسب الوحيد الذي يمكن أن يحققه أوباما في الربع الأخير من ولايته، وبعد نهاية الاجتماع وصفت الولايات المتحدة المفاوضات بأنها جرت في أجواء إيجابية، ولكن لا تزال هناك فجوة كبيرة بين الجانبين.

بسبب شعرة الملف النووي، سمحت الولايات المتحدة لإيران بالتمدد في المنطقة حتى تآكلت دول الشرق الأوسط من الإهمال وسادت فيها الصراعات الطائفية والعرقية، نتيجة تدخل قوى خارجية مثل إيران وروسيا لزيادة حدة الصراعات الإقليمية.

وبدأت المراجع الدينية في المنطقة تعي مثل تلك التدخلات التي تهدف إلى تدمير الدولة الحديثة وجعلها تتآكل عن طريق اللعب على وتر التقسيم المذهبي والعرقي والطائفي لتقسيم وتفتيت المنطقة حتى لا يبقى أثر للدولة الحديثة، سوى الاسم، ولكن في الحقيقة تكون الدولة الحديثة قد انهارت.

العديد من المراجع الدينية في العراق بدأت تطالب الحكومة الجديدة بالانفتاح على السعودية كونها تشكل العمق الاستراتيجي للعراق، وبدأت تلك المراجع تقيم اتصالات بجميع المدارس الفكرية في العراق والأزهر ولبنان والسعودية لمحاصرة هذا الصراع الذي تقوده وتؤججه الولايات المتحدة في المنطقة.

لكن لا زالت إيران في غيبوبة حتى الآن وتصر على تنفيذ أجنداتها عبر الولايات المتحدة من خلال شعرة الملف النووي، رغم أن عمان ترغب في رعاية تقريب وجهات النظر بين السعودية وإيران، وكلا الدولتين شركاء في جغرافيا واحدة.

لدى تلك الدول أي أمل في استنساخ ديمقراطية تعددية وطنية وحرة ومستقلة التي تتزامن مع تطبيق التقدم الاقتصادي.

محاولة السعودية استعادة الهويات الوطنية التي أنهكتها الحرب:

عارضت الولايات المتحدة الاتفاقية السرية بين بريطانيا وفرنسا التي بموجبها وضعت خطة لتقسيم الإمبراطورية العثمانية عقب الحرب العالمية الأولى (اتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦) وطالبت بدلا من ذلك تطبيق مبدأ حق تقرير المصير.

هذه الاتفاقية بدأت تنهار منذ غزو الولايات المتحدة العراق وسلمته لإيران على طبق من ذهب، واليوم بعد الثورات العربية دخلت المنطقة حروب طاحنة في سوريا والعراق أسفرت عن تقسيم تلك البلدان بحكم أمر الواقع ،مما فتح الباب أمام إعادة رسم الخطوط ،بل الأخطر من ذلك بدأت تساؤلات تظهر للعلن هل تترك المنطقة تتحول إلى كانتونات أصغر مثل نظام التقسيم الإداري المتماسك عرقيا ما يسمى بنظام يتس أيام زمن العهد العثماني؟.

لكن هناك نموذجا آخر يمكن أن يحتذى، فقد كان لبنان مقسم فعليا أثناء الحرب الأهلية التي واجهتها والتي دامت لمدة ١٥ عاما ، ولكن الهوية الوطنية اللبنانية أثبتت تماسكها وقوتها أمام أي تقسيم محتمل واستطاعت برعاية السعودية أن تستعيد الهوية الوطنية اللبنانية في اتفاق الطائف عام ١٩٨٩.

فهل تتمكن السعودية من رعاية الهوية العراقية والسورية وإنقاذهما من الثعلب الإيراني المتربص بالمنطقة العربية، كما ترعي مصر هي الأخرى استعادة الهوية الليبية من الانهيار والتقسيم بعد ٤١٠٠ طلعة نفذها الناتو لصالح الشعب الليبي ضد القذافي؟.

يبدو أن العراق باختيار العبادي حدث ضمن اتفاق أمريكي سعودي وضغط شعبي عراقي بجميع المكونات وخصوصا من قبل المرجعية الشيعية العراقية فرض على إيران أعاد للعراق تماسكه بعدما اتجه نحو التقسيم والتفتيت تحت الرعاية الإيرانية ولا يزال يصارع العودة نحو استعادة الهوية الوطنية.

باعتراف أوباما أمام وسائل الإعلام العالمية قال بأن إيران كانت السبب في انهيار العراق وسوريا ،بالطبع لم تكن الولايات المتحدة بريئة من تلك التهمة وهي التي سلمت العراق لإيران ،وتركت سوريا ساحة حرب بالوكالة، حتى أصبحت الساحة السورية حاضنة نشأت فيها الدولة الإسلامية (داعش) قد تكون جميع الدول ساهمت بشكل أو بآخر في نشأة الجماعات المتطرفة، بعدما امتنعت الولايات المتحدة عن دعم المعارضة السورية المعتدلة قد يكون الحق للولايات المتحدة بعدما وجدت الأسلحة تذهب لجبهة النصرة.

يبدو أن تركيا تشترط مشاركتها في الجبهة العالمية لمحاربة داعش وهي ترى أن الأولوية يجب أن تكون في إسقاط نظام الأسد، وهي تسعى في إنشاء منطقة انتقالية تحميها منطقة حظر جوي لحماية اللاجئين بعيدا عن الأراضي التركية ،بينما الأكراد يشكون في النوايا التركية ويعتقدون أن تلك المنطقة تحرمهم من تقرير المصير، بينما تركيا قلقة من تسليح الأكراد مما يشجعهم على الاستقلال مما يهدد وحدة الأراضي السورية ،لذلك تنوي هي التدخل المباشر لمحاربة داعش لتفويت الفرصة على الولايات المتحدة من تقسيم سوريا.

ومشاركة السعودية ودولة الإمارات والأردن وقطر والبحرين في الطلعات الجوية في العراق وفي سوريا المقدر عدد تلك الطلعات قبل بداية أكتوبر ٢٠١٤ بنحو ٥٣٠٠ طلعة منها ٤٠٠ طلعة للسعودية وبقية الدول العربية المشاركة معها تكلفة تلك الطلعات قدر نحو مليار دولار بخلاف تكلفة المستشارين العسكريين في العراق يعني ذلك أن السعودية تشارك في رسم خريطة الشرق الأوسط المستقبلية وهي تشارك تركيا في الحفاظ على الهوية الوطنية لسوريا كما للعراق.

وبدأت الولايات المتحدة تؤمن بأن الضربات الجوية بمفردها لن تقود إلى نهاية داعش، فأرسلت قوة تدخل سريع مكونة من ٢٣٠٠ فرد مقرها في الكويت، وبدأت تدعم البشمركة بقوات أمريكية على الأرض لمجابهة داعش ومحاصرتهم.

صياغة الشرق الأوسط الجديد ما بين الديمقراطية الدينية وهي ديمقراطية عابرة للحدود السياسية تخطى حراكها الجمعي التوافق الفكري سواء كانت

جماعة الولي الفقيه أو جماعة الإخوان المسلمين التي أزيحت في مصر غير مرغوبة في المنطقة.

إيران تتحرك على أساس أن تكون لها كلمة الفصل في السياسات الإقليمية في إطار تأمين المصالح الوطنية والخطوط التي رسمها مرشد الثورة ، وما نحتاج إليه في مجال السياسة قدر أقل من الديمقراطية وليس أكثر لأن وجود ديمقراطية بغير تقدم اقتصادي يفضي إلى موت الديمقراطية ولا يعني ذلك فسح المجال أمام الطغاة والفاسدين.

تطبيق الديمقراطية في مجتمعات منقسمة يثير النعرات القومية والنزاع العرقي والحروب ذاتها ، والكثير لا يعرف أن هناك صنفان من الديمقراطية أحدهما ليبرالي والآخر غير ليبرالي ، ثمة خلط كبير بينهما ،رغم أنهما نشأ منفصلين عن بعضهما عبر قرون طويلة ،حيث الحرية والاستقرار أولا ثم الديمقراطية ،ولا ينكر أحد أن ميزة الديمقراطية التخلص من المعارضين عبر الشعب بالانتخابات بدلا من التخلص منهم بالأسلوب الأمني.

أيضا الديمقراطية ليست مرادفا للحكم الرشيد وكذلك للحكومة الجيدة، وقد يتم ترجيح القانون على الديمقراطية لأن الديمقراطية تستدعي من الشعوب المزيد من الوعي العالمي، يبقى الحفاظ على الهوية الوطنية مطلبا والاعتماد عليها لعودة الاستقرار إلى العراق وسوريا وليبيا واليمن.

السعودية معنية بصناعة الدولة ونقلها من غريزة الصراع إلى ثقافة السلم والتفويض، وقد أكد الفيلسوف توماس هوبز مؤسس الفلسفة السياسية الحديثة في القرن السابع عشر الميلادي على عدم تفتيت السلطة والعمل بجهد من طرف أفراد المجتمع على تجميعها، وأكد على تلك النظرة الفلاسفة الذين أتوا من بعده مثل جون لوك وجان جاك روسو، لأن فكرة التعاقد الاجتماعي يجب أن تؤكد على ترميم السلطة وتعديلها.

نشأت ملامح فكرة أن السياسة صناعة ليست جاهزة بل تبنى وتشيد من قبل الإنسان، نقضت الفكر القديم الذي يصور الإنسان بأنه كائن اجتماعي بالطبع يتصور الدولة على أساس التفاوض والتعاقد بين أفراد الشعب.
لدى السعودية سياسة متبصرة طويلة الأمد وهي التي تحقق عوائد ضخمة لمنطقة الشرق الأوسط حتى لا تستمر في المنطقة في الانزلاق نحو الركود والفوضى على عكس السياسات قصيرة الأمد التي تنطوي على تكاليف باهظة الثمن.

تحالف المصير المشترك بين مصر والسعودية كنواة قوة عربية:

فشلت كل التنبؤات وكل المراهنات على أن تلحق مصر بسوريا والعراق ، أو على الأقل بالسودان ، لكن المصير المشترك بين مصر ودول الخليج العربية ، جعل دول الخليج بقيادة السعودية ترمي كل ثقلها لتحجيم المراهنات الخارجية سواء أكانت إقليمية أو عالمية وفك أسر مصر من المراهنات وتحريرها من الاستهداف .
لقد أدركت السعودية أن إيران والغرب يلعبان على وتر الحركات الإسلامية منذ زمن وخصوصا في زمن الثورات العربية ، والانقسام المذهبي ، والديني ، والعرقي .

لكن عبرت مصر المرحلة بثلاثة مكونات أساسية ، ساهمت في وقف لعب وعبث إيران والغرب في المنطقة وخصوصا في قلب العروبة القلب العربي الاستراتيجي ، وهم جيش مصري الموحد والفاعل الذي يسمى بالدولة العميقة وبالمؤسسة القوية والباقية التي تمكنت من إسقاط محمد مرسي بسبب أنه لم يتمكن من التفاعل والتقارب مع تلك المؤسسة ، وثورة شعبية خرجت مناهضة لحكم جماعة الإخوان الإقصائية الذي قسم المجتمع المصري ، ودعم إقليمي بقيادة السعودية .

استبق الملك عبد الله بن عبد العزيز تنصيب الرئيس المشير السيسي رئيسا لمصر ، بتوجيه رسالة حازمة وحاسمة لا لبس فيها كعادة الملك عبد الله للدول الإقليمية والعالمية وجماعة الإخوان المسلمين في آن واحد .

وبذلك وضع الملك عبد الله خارطة طريق واضحة لمواجهة الإرهاب في المرحلة المقبلة حتى أن البعض بدأ يلعب بالألفاظ بأن مصر تابعة للسعودية ، ولكنهم لم يدركوا ويفهموا أنه امتداد للدعم التاريخي حتى تتمكن مصر من استعادة الأمن والاستقرار.

والخطوة الأخرى المهمة هي ترقية الاقتصاد المصري الذي تأثر بالثورات خلال السنوا ت الثلاث التي مرت على مصر ، على اثر تلك الرسالة استسلمت جميع الأطراف الرئيسية الخارجية ، خصوصا الولايات المتحدة التي استجابت لرسالة الملك عبد الله وأعلنت فورا الاعتراف بالرئيس الجديد .

في أول حدث من نوعه تشهده مصر ولأول مرة منذ عقود شهدت مصر عند تنصيب المشير السيسي أكبر تجمع لممثلي دول العالم بالقاهرة للمشاركة في مراسم تنصيب السيسي رئيسا لمصر ، وكان على رأس المشاركين ملوك ورؤساء وكان أمير الكويت في مقدمة الحضور وولي عهد السعودية نيابة عن خادم الحرمين الشريفين وولي عهد دولة الإمارات وملك البحرين ، وحتى قطرت الدولة التي كانت تقود المواجهة ضد مصر استجابت لدعوة الملك عبد الله وفضلت عدم التغريد خارج السرب ، وشارك سفير قطر بالمشاركة ، كما شاركت الجزائر والمغرب بوفدين كبيرين وهما من الدول العربية الكبيرة والمستقرة المساندة لمصر ، مما أعطت تلك المشاركات وتلك الوفود شرعية قوية للنظام الجديد في مصر .

لم يجد التحالف الوطني لدعم الشرعية سوى الاجتماع في اسطنبول لمعارضة تنصيب السيسي ، ولكن ركز السيسي في خطابه على التصالح لتضييق الفجوة بين الشعب المصري التي تسبب فيها الإخوان ، ودعا إلى تطبيق العدالة الاجتماعية ، والعيش المشترك ولكنه أستثنى من أجرم وارتكب الدم في حق الشعب المصري .

ويتأهب الرئيس المصري الجديد المنتخب لممارسة عمله ، والإعلان عن أسماء مساعديه للشؤون المدنية والاقتصادية ، والانتهاء من آخر استحقاقات خارطة المستقبل بإجراء الانتخابات البرلمانية خلال الشهرين المقبلين .

لم تتوقف السعودية على الدعم السياسي ومساندة مصر أمنيا ، بل اتجهت إلى ترجمة مواقفها بالدعم الاقتصادي حتى تتمكن مصر من تأكيد مسيرتها المستقبلية وتفويت الفرصة على الأطراف المعادية لاستثمار نقاط الضعف التي تعاني منها مصر نتيجة انكماش الوضع الاقتصادي بعد ثلاث سنوات من الثورات في مصر .

هناك دعم مباشر من دولة الإمارات عن طريق تنفيذ مشاريع وبرامج تنموية مباشرة يلمسها الشعب المصري ، ولن يتوقف هذا الدعم على دولة الإمارات بل هناك دعوة للملك عبد الله بإقامة مؤتمر اقتصادي لدول المانحين لمصر على غرار دول المانحين لدولة اليمن ، وستكون دول الخليج خصوصا السعودية ودولة الإمارات والكويت أشقاء مصر على رأس الدول المانحة لمصر لإخراج مصر من النفق المظلم .

تريد السعودية استعادة محور عربي يمثل نواة عمل عربي لمواجهة التحديات التي تحيك بالمنطقة ، والتي تصر على بث الفوضى الخلاقة ، خصوصا بعدما سقطت فكرة الترويج لموجة ثالثة من الثورة العنيفة من أجل أن يستعيد الإخوان السلطة بدعم قطري وتركي .

وتصبح مصر تابعة لتركيا مثلما أصبح العراق وسوريا تابعان لإيران ، لتفتيت المنطقة العربية حتى تتمزق ما بين المحورين الإيراني والتركي ، وتصبح السعودية ودول الخليج تحت الحماية الأمريكية الغربية ، ومسخ الهوية العربية بالكامل من على الخارطة .

مصر عبرت وستمضي نحو صفحة أخرى في تاريخ المنطقة ، واستعادت من خلالها هويتها التي كادت أن تفقدها ، وعد يوم ترسيم المشير السيسي يوما فاصلا بين الفوضى والاستقرار ، وعبور مصر إلى بر الدولة والاستقرار .

إحياء التحالفات الاقتصادية في العالم العربي للتحرر من محدودية التجارة الإقليمية نتيجة الصراع السائد في المنطقة:

فشلت الدول العربية في تحقيق منطقة التجارة الحرة الكبرى ، خصوصا بعدما ضربت الثورات العربية عدد كبير من الدول العربية ، لأن منطقة التجارة الحرة تقود نحو التكامل الاقتصادي العربي ،والذي لا يزال مرهون باستمرار القرار السياسي والاقتصادي والقدرة على التخطيط لإرساء قواعد التقارب الاقتصادي .
فيما تنمو التجارة الخارجية للدول العربية ، والتي ارتفعت نسبتها من الناتج المحلي الإجمالي من ٦٥ في المائة في المتوسط خلال العقد الأخير من القرن الماضي إلى ٨٥ في المائة خلال الفترة بين عامي ٢٠٠٠ و ٢٠٠٧ ثم إلى نحو ٩٢ في المائة خلال السنوات الأخيرة بين عامي ٢٠٠٩ و ٢٠١٢ .
تقدر قيمة تجارة السلع والخدمات العربية نحو ٢,٥ تريليون دولار بحصة ٥ في المائة من التجارة العالمية وبنسبة ٩٤ في المائة من الناتج المحلي العربي عام ٢٠١٢ ، وتستحوذ التجارة السلعية على ٨٥ في المائة من الإجمالي ، تستحوذ ٧ دول على نسبة ٨٠ في المائة من الإجمالي ، وهي السعودية ، الإمارات ، قطر ، العراق ، الكويت ، الجزائر ، ومصر .
وحجم التجارة الخدمية العربية تقدر بنحو ٣٤٦,٥ مليار دولار ، والمنطقة العربية في مجموعها مستورد صافي للخدمات من العالم بوجود عجز صافي قدره ١١٩,٩ مليار دولار عام ٢٠١٢ .
وقدر حجم التجارة العربية البينية من السلع بنحو ١٠٥ مليار دولار ، تمثل ١٠ في المائة من إجمالي التجارة العربية وهي مرتفعة من ٧٧,٧ مليار دولار عام ٢٠١٠ ، منها نحو ٤٣,٧ في المائة تجارة بينية خليجية ، كما تستحوذ كل من السعودية والإمارات على نحو ٤٨,٥ في المائة من إجمالي الصادرات العربية البينية ، وعلى ٢٥,٧ في المائة من إجمالي الواردات العربية البينية .

وحلت السعودية في المرتبة الأولى عربيا في مساهمتها بالناتج المحلي الإجمالي العربي ب ٧٤٦ مليار دولار وفقا لدراسة المؤسسة العربية لضمان الاستثمار في النشاط الاقتصادي للسعودية أسهم ب ٢٦,٥ في المائة من الناتج المحلي العربي عام ٢٠١٣ الأمر الذي يضعها في المرتبة الأولى على المستوى العربي ، في حين تأتي دولة الإمارات ثانيا بناتج محلي إجمالي بنحو ٣٩٩ مليار دولار أي أكثر من نصف الاقتصاد السعودي ، أي أن الاقتصادين السعودي والإماراتي يشكلان ٤٣ في المائة من إجمالي الناتج المحلي العربي البالغ ٢,٦٥٩ تريليون دولار عام ٢٠١٢ .
فيما بلغ حجم الاقتصاد الخليجي ١,٦ تريليون دولار يمثل ٦٠ في المائة من حجم الاقتصاد العربي ورغم ذلك فإن التجارة الخليجية البينية متواضعة ونمت في عام ٢٠١٣ بنحو ٥,٥ في المائة لتبلغ ٩٣ مليار دولار وهي أقل من نسبة التجارة البينية العربية ، بسبب أن التبادل في التجارة العربية يدخل فيها النفط والغاز مما يرفع النسبة ، بينما بين دول الخليج فهي منتجات غير نفطية ، أي تصل نسبة التجارة إلى أقل من ٦ في المائة من إجمالي الناتج المحلي الخليجي ، وكان نصيب السعودية من التبادل التجاري مع دول الخليج نحو ٣٩ مليار دولار نصفه مع دولة الإمارات .
وتحاول دول الخليج الإسراع في تنفيذ مشروع سكة الحديد المشترك ، وتحاول السعودية فتح خط بحري بين السعودية والمغرب لخدمة استثمارات بينية ب ١١٠ مليارات دولار لرفع نسبة التبادل التجاري بين دول الخليج والمغرب من النسبة الحالية البالغة ٤ في المائة فقط مع السعودية من إجمالي الصادرات المغربية التي تقدر بأكثر من ٢٠٠ مليار درهم من أجل مضاعفتها إلى ثلاث مرات من غير صادرات السياحة والزراعة والخدمات .
وتسعى دول الخليج والمغرب إلى تكون تجارة وتحالفات استراتيجية من خلال إقامة على مستوى المنطقتين ، مما يفتح آفاق جديدة من التعاون من أجل تقوية الروابط التجارية بين المنطقتين لتجاوز كافة القيود التي تمنع ارتفاع التبادل التجاري .

الفصل الخامس

السياسات الدولية والإقليمية المحرضة للصراع والإرهاب

الأسباب المباشرة والرئيسية التي أدت إلى ظهور داعش والمتطرفين في المنطقة:

بعد غزو الولايات المتحدة العراق عام ٢٠٠٣ سرحت الجيش العراقي ومكنت الشيعة من تسنم زمام الحكم بحجة أنهم الأغلبية ، ومكنت الشيعة من الهيمنة على العراق عبر تشكيل مليشيات شيعية تحت هيمنة إيران على غرار مليشية حزب الله المسلح في لبنان.

وقفت مثل تلك المليشيات أمام تكوين جيش عراقي وطني قادر على حماية العراق، وهو ما يعتبر انتقام إيران من العراق الذي قاتل الجيش العراقي إيران مدة ثمانية أعوام، وهي فرصة للولايات المتحدة لإضعاف المنطقة وجعلها منطقة هشة خدمة لحليفتها إسرائيل، لكن لم تتوقع الولايات المتحدة أن التطرف والتشدد أخطر على إسرائيل من تلك الجيوش.

لذلك اتجهت مراكز البحوث في الولايات المتحدة لوضع الخطط لحصر صراع التشدد والتطرف بين المكونين الإسلاميين، بدلا من توجيهه نحو إسرائيل خصوصا بعدما بدأت المجابهة بين المليشيات الشيعية التي كونتها إيران في العراق انتقاما من السنة التي من الطبيعي أن ترفض الخنوع للمكون الشيعي، الذي يريد أن يفرض هيمنته على السنة بدعم إيراني وبديمقراطية طائفية مفصلة، خصوصا بعدما قدم بول بريمر خدمة لإيران وللشيعة تسريح الجيش العراقي

من أجل إحياء الخلاف المذهبي التاريخي إيذانا لصراع مستقبلي بين المكونين الإسلاميين الشيعة والسنة في المنطقة وليس فقط في العراق .

أصبحت مدينة الموصل عاصمة محافظة نينوي مركزا للقاعدة بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، ومركزا لقادة بعثيين وعسكريين تم تسريحهم من الجيش، وبعد عامين من تولي المالكي السلطة ٢٠٠٨ تنبه لتلك المنطقة وأراد أن يطوعها لإرادته وإعادة سلطته عليها بدلا من تدشين حوار سياسي.

استمرارا لسياساته الطائفية التي ترسمها إيران له، وأصبح له عدوين في المنطقة هما السنة والأكراد فبدأ بحملة تطهير جيش الموصل من الضباط الأكراد من فرقتي الجيش الموجودتين في الموصل وعين قادة شيعة مقربين منه استعدوا الأكراد والسنة.

ووقع اختياره في عام ٢٠١١ على اللواء مهدي الغراوي سبق أن اتهمه الأمريكيون في عام ٢٠٠٤ بممارسة القتل والتعذيب خارج القانون عندما كان مدير كتائب الشرطة كواجهة للمليشيات الشيعية التي ألقت عليها مسؤولية قتل المئات من الناس أغلبهم من السنة.

وضغط الأمريكيون على المالكي عام ٢٠٠٦ عندما تسلم السلطة لوقف القتل وصرف الغراوي من الخدمة ومحاكمته بتهمة القتل والتعذيب ، ولكن المالكي لم يحاكم الغراوي بل كلفه بمهمة أخرى حتى أن السفير الأمريكي كروكر تبادل الصياح مع المالكي بسبب الغراوي عام ٢٠١٠ واتهم المالكي بالفشل اليائس.

وبعد انتفاض ثوار المحافظات السنية نتيجة تهميش المالكي للسنة وممارسة القتل والاعتقال والتعذيب ضد العشائر السنية تحت غطاء محاربة التطرف ، ومع تنامي شعور السنة بخيبة الأمل إزاء الحكم الطائفي للمالكي، وعندما لم يستجيب المالكي لمطالب العشائر السنية.

استثمروا الفراغ الأمني والسياسي في سوريا، وتشكلت الدولة الإسلامية من المتطرفين والمتشددين تحت قيادة قادة عسكريين بعثيين تم تسريحهم من

الجيش العراقي ليس شرطا أنهم يؤمنون بنفس الأيديولوجية التي يؤمن بها المتشددين.

وهؤلاء القادة شاركوا في الحرب العراقية الإيرانية ويمتلكون خبرة عسكرية استثمروا الشباب المتحمس والذي تم تغذيته بكره الشيعة الذين يحاربون السنة تنفيذا لأجندة إيران في الهيمنة على السنة وبسط مذهبهم الذين يرون فيه أنه مذهب رافضي مناقض للإسلام ويقتلون السنة في العراق وفي سوريا بل يتواجد جيش لإيرلن ومستشارين عسكريين في العراق وفي سوريا ،مما مكنهم من تجنيد المتشددين والمتحمسين لقتال الشيعة الذين استباحوا دماء السنة في سوريا وفي العراق برعاية استخبارات إقليمية ودولية.

استثمر قادة داعش تهالك الجيش العراقي وبدأوا هجومهم لمدينة الموصل ثاني أكبر مدن العراق قبل السادس من يونيو ٢٠١٤ وأدى هذا الهجوم إلى سقوط أربع فرق عراقية وأسر ومقتل آلاف الجنود العراقيين من الشيعة انتقاما من التطهير المذهبي والقتل على الهوية الذي قادته المليشيات الشيعية في الفترة الماضية بدعم من إيران والمالكي.

هذا الهجوم كان كافيا لإزاحة المالكي الذي ينفذ أوامر إيران وفشل في قيادة البلاد ، ورحب بداعش السنة في الموصل الغاضبين من الحكم الطائفي للمالكي ومن الغراوي المعادي للسنة وسبق أن أتهمه محافظ نينوي أثيل النجيفي بالفساد.

انضمت الخلايا النائمة في الموصل إلى المقاتلين التي كانت تقدر أعداهم ب١٠٠ عربة تقل ما لا يقل عن ٤٠٠ مقاتل في تنسيق مسبق، واستولوا على عربات عسكرية وأسلحة عبرت الموصل من سوريا بل انضم كثير من الجنود السنة إلى المقاتلين في حين هرب عدد كبير من الخدمة خصوصا من الجنود الشيعة في التاسع من يونيو ٢٠١٤ .

الهجمات التي يشنها داعش في العراق وفي سوريا وأخيرا في عرسال في شرق البقاع يسمونها غزوات، فهاجموا عرسال منطلقين من جرودها ومن مناطق القلمون السوري للانتقام من حزب الله الذي يقاتل في سوريا بجانب النظام

السوري خدمة للأهداف الإيرانية بهدف الزحف نحو مناطق الهرمل وعكار للوصول إلى طرابلس شمال لبنان الواقعة على البحر المتوسط بهدف الحصول على منفذ بحري لدولة الخلافة الإسلامية الناشئة.

ويسيطرون في سوريا على الرقة بالكامل وهي عاصمة الدولة الإسلامية وعلى كامل أرياف دير الزور المنطقة التي تضم حقول النفط والغاز وهي تتصل بالمناطق التي سيطر عليها التنظيم في العراق وأزال السواتر الترابية معلنا بذلك تدمير حدود سايكس بيكو.

هجوم التنظيم امتد إلى كوباني بهدف السيطرة عليها وطرد مقاتلي وحدات حماية الشعب الكردي لفتح الباب أمام تسهيل تدفق المقاتلين الجانب المنطقة الوحيدة التي كانت تمول الدولة الإسلامية بالمقاتلين من تركيا، لذلك هناك ضغوط من المجتمع الدولي على تركيا لمنع تسرب المقاتلين الأجانب من تركيا إلى التنظيم.

كما يريد التنظيم فصل كوباني عن المناطق الكردية في سوريا في الحسكة والقامشلي لإفشال المشروع الكردي للإدارة الذاتية التي أعلن عنها حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي، وهي أهداف تخدم الأهداف التركية والعربية في الحفاظ على وحدة الأراضي السورية والعراقية.

وهو السبب الرئيسي الذي جعل تركيا ترفض مهاجمة داعش، وتمنع تسرب الأكراد للانضمام إلى المقاتلين الأكراد في كوباني، والآن وافقت تركيا تحت ضغط المجتمع الدولي بانضمام مقاتلين لاجئين سوريين من الأراضي السورية لمحاربة داعش في كوباني لكنها تمنع توافد أكراد من تركيا أو من شمال العراق.

الدولة الإسلامية ليست جاذبية أيديولوجية فقط بل لتعزيز الانتماء إلى المشروع الكبير الذي يتبناه التنظيم بإقامة الخلافة الإسلامية، لكن الضربات الجوية لن تقضي على التنظيم بل تحد من قدرته على التوسع جغرافيا.

ترفض تركي القضاء علي التنظيم إذا لم يرتبط بنهاية النظام السوري، وتسوية الأزمة السورية التي تركتها الولايات المتحدة معلقة ضمن معادلة لا غلاب ولا

مغلوب، فوجدت تركيا فرصة في الضغط على الولايات المتحدة بممارسة نفس الاستراتيجة الذي تمارسها الولايات المتحدة إذا لم تشرع في إنهاء الأزمة السورية.

المعادلة والاستراتيجيات ستتغير في الشرق الأوسط، لذلك نرى هناك تصعيد من جانب إيران في اليمن، وتهديد للولايات المتحدة في إشعال حرب جديدة في الشرق الأوسط عن طريق ذراعها حزب الله مع إسرائيل.

وفي المقابل صرحت الولايات المتحدة بأنه لا يوجد تمديد في المفاوضات حول الملف النووي الإيراني وهي رسائل لإيران بأن الولايات المتحدة ستشدد العقوبات على إيران في حالة تراجعت إيران عن التعهدات التي التزمت بها في جولات المفاوضات السابقة ما جعل ظريف وزير الخارجية الإيراني يعلن بأن المفاوضات النووية صعبة ولكنها تحرز تقدما.

من توظيف التقسيم المذهبي إلى توظيف تقسيم الإسلام ما بين معتدل ومتشدد لزيادة الصراع والمواجهة بين أبناء المنطقة:

صحيح أن هولاكو استطاع القضاء على الخلافة العباسية المتهالكة في القرن الثالث عشر الميلادي لكنه فوجئ بجبهة قوية تحيط به من جانبين هما الدولة المملوكية في مصر من الغرب درة التاج الإسلامي ومن الشمال الشرقي القبائل الذهبية المغولية المسلمة التي ينتمي إليها مما اضطر هولاكو إلى التقهقر والتراجع والانكفاء في إيران وتكوين دولة تسمى الإلكخانة ولكنه لم يكتف بهذا التقهقر بل اتجه إلى تشكيل حلف مع العدو اللدود للمسلمين والتحالف مع ممالك غربية في أوربا وكان لبابا الفاتيكان دور في هذا التوجه لمواجهة الحلف الإسلامي المصري مع القبائل الذهبية المغولية ومن أجل إنجاح هذا الحلف باعتبار أن زوجته مسيحية ففتح هولاكو بلاد فارس بأكملها أمام التبشير المسيحي .

وكانت ساحة الصراع بين الحلفين في العراق واستطاع التحالف بين إيران المغولية والممالك الأوربية في عام ١٢٦٩ التوجه لغزو شمال بلاد الشام بسبب أنه شهد تحركا عسكريا مصريا في عهد السلطان الظاهر بيبرس لكنه بسبب الصمود المصري درة التاج الإسلامي فشل هذا الحلف في تحقيق انتصار في هذه المنطقة .

وفي عام ١٣١٠ تولى حكم الإلكخانة في إيران أولجاتيو الذي اعتنق المذهب السني في بدايته تماشيا مع سيادة المذهب السني في إيران في ذلك الوقت ولكنه تحول إلى المذهب الشيعي وفتح المجال امام النفوذ الشيعي لكن أعاد ابنه بعد وفاته الملقب بأبي سعيد اعتناقه المذهب السني وأعاد نفوذ أهل السنة في إيران ووضع حد للخلافات مع مصر وتم التحالف فيما بين الدولتين وإخراج الصليبيين من بلاد الشام .

ورغم أن الصراعات الشديدة في ذلك الوقت قادت إلى أنهاك البلاد المسلمة إلا أن الصليبيين أدركوا أن توظيف التقسيم المذهبي بين المسلمين الوسيلة الأجدى والأنفع لإضعاف المسلمين وحاولوا العودة إلى بلاد الشام ولكن كانت الخلافة العثمانية التي استمرت ستة قرون سدا منيعا أمام عودة الصليبيين مرة أخرى إلى بلاد الشام ووقفت سدا منيعا في نفس الوقت الذي كان يلعب على وتره الصليبيين أمام تمدد الدولة الصفوية خصوصا حول مطامعها في استعادة العراق إلى أن هزمت تركيا في الحرب العالمية الأولى وانهارت الخلافة العثمانية ومنذ ذلك اليوم وحتى الآن دخلت المنطقة عصر الدولة الوطنية وفق تقسيم سايكس بيكو عام ١٩١٦ وتقسيمها بين بريطانيا وفرنسا إلى أن خرج الاستعمار من البلاد العربية وتم تسليمها لحكومات عسكرية انقلابية وأصبحت إسرائيل واقعا جديدا لم تتمكن الدول الوطنية التي يحكمها عسكريون انقلابيين بتحرير فلسطين حتى تدخلت الولايات المتحدة بعد أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ وأقدمت على غزو دولتين هما أفغانستان عام ٢٠٠١ والعراق عام ٢٠٠٣ وتسليم العراق لإيران بعدما يئست تاريخيا في الحصول على موطئ قدم في العراق وذلك بعد تسريح

الجيش الوطني لتضمن التحول الطائفي الجديد بعد ذلك سمحت بتشكل حلف شيعي يقابل حلف سني لكن الأزمة المالية التي ضربت الغرب ودخلت المنطقة العربية في عصر ثورات الشعوب ضد حكامها الانقلابيين التي على إثرها دخلت المنطقة عصر جديد من المرحلة الانتقالية المضطربة وبدأ يتصدع المحور الشيعي نتيجة أحداث وتحولات.

وبالطبع عاد خوف الغرب من عودة المنطقة إلى عصر ذهبي جديد تقوده الشعوب هذه المرة على أنقاض الأنظمة العربية الشمولية يهدد الوجود الإسرائيلي ولا زال هذا التحول تحت التشكل والتبلور وسيأخذ وقتا طويلا ولا زالت معالم المرحلة المقبلة غير واضحة المعالم وفضلت الولايات المتحدة التوجه نحو تقسيم المسلمين ما بين معتدلين وإرهابيين بعد اضمحلال المد الشيعي لصالح المذهب السني وفشل المخطط الأمريكي واللجوء لمخطط جديد.

رغم أن القتال في سوريا لا يزال يأخذ منحى مذهبيا وطائفيا فيقاتل إلى جانب النظام في سوريا عناصر من كتائب أبي الفضل العباس الذي اتى من العراق وعناصر من حزب الله الذي اتى من لبنان ضد قوات الجيش الحر إلا أن الولايات المتحدة تدرك أن الكفة ستميل لطرف المذهب السني بحكم حجم الدول السنية في المنطقة التي تدعم الجيش الحر وتحاول الولايات المتحدة أن تحافظ على هذا التوازن ولكنه لن يستمر إلى النهاية فلجأت الولايات المتحدة إلى التقسيم الجديد ما بين الإسلام المعتدل والإسلام المتشدد تحت اسم (مكافحة الإرهاب) .

فالهيمنة والطغيان لا يتم إلا بعد أن يتم تقسيم الشعوب إلى شيع وأحزاب لذلك ذكر الله سبحانه وتعالى عن فرعون في كتابه الكريم فقال (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا) لذلك أمر الله المسلمين الاعتصام بحبل الله (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وأمر رسوله الكريم بالتبرؤ من المسلمين حينما يتحولوا إلى شيعا (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ) وفي حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (سألت ربي ثلاثا سألته ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألته أن لا يهلك أمتي بالسنة

فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها) حديث تفرد به مسلم وفي قول الله سبحانه وتعالى (أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) وهي أحد أنواع العذاب التي يعذب بها الله سبحانه وتعالى عباده حينما ينحرفوا عن منهج الله سبحانه وتعالى بسبب ذنوبهم .

اختزال الأزمة السورية في ملف الأسلحة الكيماوية :

لو أراد أوباما توجيه ضربات عقابية ضد النظام السوري بعد هجوم النظام السوري بالأسلحة الكيماوية على إحدى الضواحي الشرقية من دمشق لإيقاف زحف المعارضة إلى العاصمة التي يعتبرها النظام السوري الخط الأحمر والذي يعجل في اسقاط دمشق وإذا ما سقطت دمشق فإن النظام السوري سيسقط أو يتلاشى على أقل تقدير ، لكن لجوء أوباما لخطوة مفاجئة بالطلب من الكونغرس أن يعطيه تفويضا بالإجراء العسكري ومن يقرأ رد كيري على مراسل من شبكة سي بي إس حول ما إذا كان لدى نظام الأسد شئ ليعمله لإيقاف هجوم الولايات المتحدة كان رد كيري بأن الأسد بإمكانه تسليم كل قطعة من دون استثناء من أسلحته الكيماوية إلى المجتمع الدولي التقطت روسيا مثل تلك التصريحات وتقدمت روسيا بعد أربع ساعات من رد كيري على هذا السؤال بمبادرة روسية التي أوقفت حربا في اللحظات الأخيرة وكانت انقاذا لأوباما المتردد وعلق الضربات الأمريكية وحتى تصويت الكونغرس .

وفي الحقيقية هو اقتراح من بوتين في اجتماع قمة العشرين حينما اجتمع بوتين واوباما في زاوية من قصر قسطنطين في بطرسبرج في ٢٠١٣/٩/٦ في الجلسة الأخيرة وتبادلا الحديث وطرح بوتين على أوباما سؤالا واحدا وهو لماذا لا نعمل على خطة مشتركة لدفع سوريا على وضع أسلحتها الكيماوية تحت السيطرة الدولية سبق أن طرحها بوتين على أوباما في قمة العشرين التي عقدت في المكسيك عام ٢٠١٢ لكن كانت الولايات المتحدة تنظر إلى مثل تلك الطروحات بعين الريبة والشك قد تكون الولايات المتحدة قبلت بمثل هذا الطرح الآن بعد توريط النظام السوري أو تورطه في استخدام الأسلحة الكيماوية التي ستفرض على المجتمع

الدولي معاقبة النظام السوري أي أن يرضخ لمطالب المجتمع الدولي والجلوس على طاولة المفاوضات ما كان يمكن أن يحدث مثل ذلك قبل استخدام الأسلحة الكيماوية وبدأت الأمم المتحدة تنشر تقريرها وأثبتت وجود أجزاء من الصواريخ ما يدل على أن النظام السوري هو من استخدم الكيماوي وليس المعارضة كما تدعي روسيا .

طبعا في خطاب أوباما للأمة الأمريكية في يوم ٢٠١٣/٩/١٠ حينما قال متبخترا إن العسكرية الأمريكية لا تحدث جروحا طفيفة رغم الحديث المستمر في الدبلوماسية الأمريكية عن ضربة محدودة جدا ولكن بعد المبادرة الروسية الذي يشعر بوتين بأنه يعزز دور روسيا بوصفها صانعة للسلام في الشرق الأوسط بعدما كانت روسيا وراء المأساة في سوريا ، ولكن السؤال بعد هذه المبادرة التي نجحت بسبب بعض العمليات السحرية الجيوسياسية فهل يعني هذا أن نظام الأسد سيحاسب فقط على قتل ١٥٠٠ بالكيماوي ولا يحاسب على قتل ١٠٠ ألف سوري وكأنه اعطاء رخصة لكل دكتاتور بقتل شعبه من دون أن يستخدم كيماوي أو نووي كخط أحمر وكأن قتل الشعوب من دون استخدام هذين السلاحين مسموح .

ولقد نجحت الولايات المتحدة في تحقيق تفريغ المنطقة العربية من كافة قوى الردع لصالح إسرائيل مستثمرة الصراع في سوريا لأن سوريا كانت بحوزتها أسلحة كيماوية لا يعترف النظام بوجودها لمواجهة مخزون إسرائيل من الرؤوس الحربية النووية التي لا يعترف بوجودها الإسرائيليون لكن النظام السوري استخدم هذه الأسلحة ضد شعبه بدلا من الغرض الأساسي لوجود مثل هذه الأسلحة من أجل توازن قوى الردع مع إسرائيل .

وبالطبع فإن إسرائيل فرحة بمثل هذا التوصل إلى مثل تلك الاتفاقية التي لم تكن تحلم بها إسرائيل من قبل وبالطبع تطالب إسرائيل الولايات المتحدة بربط هذا النجاح بوقف التسلح الإيراني وأن يقرأ الإيرانيون تفكيك الأسلحة السورية

الحليف الرئيسي للنظام السوري في المنطقة وطالبت إسرائيل أن تنسحب الإجراءات في سوريا على إيران في وقت لاحق .

وبالطبع فإن تركيا والسعودية والمعارضة السورية غير راضين عن المبادرة الروسية المتعلقة بالسلاح الكيماوي بل تطالب بحلول سياسية لوقف عمليات القتل اليومي وكان المجتمع الدولي المتمثل في الولايات المتحدة وروسيا اختزل الأزمة السورية في الملف الكيماوي السوري على غرار الملف النووي الإيراني .

والتركيز في ملف الأزمة السورية في الوقت الحالي حول ملف السلاح الكيماوي الذي تمكن وزيري البلدين الولايات المتحدة وروسيا في التوصل إلى اتفاق في جنيف للتخلص من الأسلحة الكيماوية السورية وتنص الخطة على إمكانية صدور قرار دولي تحت البند السابع من ميثاق الأمم المتحدة الذي يجيز إلى استخدام القوة في حال لم تف دمشق بتعهداتها اذ يعرض الرئيس السوري ما لديه من أسلحة في غضون أسبوع على أن يجري التخلص منها كاملة بحلول منتصف عام ٢٠١٤ وهي ضغوط في مقابل أخرى .

تداعيات استخدام الكيماوي على مسار المشهد في المنطقة:

دخلت الأزمة السورية مرحلة إلى تحول صراع سياسي - ديني شامل يستدرج معظم دول ومجتمعات المنطقة بأسرها واستمر الاصطفاف الدولي في المؤسسة الدولية وانقسم المجتمع الدولي ما بين توفير روسيا والصين للنظام السوري الغطاء في المحافل الدولية وفشل مجلس الأمن في دعو بشار الأسد إلى تسهيل تمرير المساعدات للعالقين في أحياء حمص القديمة المحاصرين منذ أكثر من سنة بينما كانت تسعى الدول الغربية إلى تقديم الدم المعنوي للمعارضة فقط في المقابل يجد النظام السوري الدعم المباشر من قبل إيران وأذرعها في لبنان وفي العراق .

بينما كانت تنتظر الولايات المتحدة إلى تداعي قوات النظام السوري وبالفعل لم يتبق لديه سوى ٢٠ طائرة وانشقاق ٤٠ كتيبة عسكرية وانضمامها للجيش الحر حتى أن النظام السوري بدأ يعتمد على اللجان الشعبية والشبيحة من المناطق العلوية المؤيدة له بل هناك أيضا تداعي للدول الداعمة لنظام بشار الأسد

فإيران تعيش حالة انهيار اقتصادي وعزلة دولية وتحاول الخروج من هذا المأزق بعد انتخاب روحاني الذي بدأ يعالج التداعيات السابقة مما انعكس على دعم إيران المباشر لنظام بشار الأسد وكذلك الضغط الذي بدأ يواجهه حزب الله في لبنان والذي بدأ يتحول التهديد لحزب الله إلى تهديد وجودي والتعايش مع بقية المكونات داخل لبنان ولا يمكن أن يضحي حزب الله بمثل هذا الحق .

وتسبب هذا التهديد في سقوط حكومة حزب الله برئاسة ميقاتي السني ولم ينجح لبنان في التوصل حتى الان إلى حكومة وحدة وطنية التي يدعو لها حزب الله ويحاول الفرقاء الآخرين في لبنان استبعاد حزب الله من الحكومة المستقبلية والتوجه نحو تشكيل حكومة كفاءات غير حزبية وهو ما يرفضه حزب الله أي أن حزب الله بدأ يحاصر في الداخل الذي أثر على دعمه المباشر الذي أعلنه حزب الله لنظام بشار الأسد .

وللخروج من المأزق الذي تورط فيه حزب الله فبدأ يعلن حزب الله أنه يقاتل التكفيرين في سوريا خدمة لإسرائيل من أجل البقاء خصوصا بعدما وضعت أوربا الجناح العسكري لحزب الله على لائحة الإرهاب وكذلك محاصرة دول الخليج استثمارات حزب الله تحت اسماء مستعارة في دول الخليج .

فما يجري الآن في سوريا ليس تفتيشا على أسلحة كيماوية بل تحقيق لتقديم الأدلة على استخدام السلاح الكيماوي بينما الجهة المنفذة معروفة ولم يطلب من اللجنة المكلفة بالتحقيق بتحديد الجهة المنفذة .

وهناك تداعيات دولية إذ تصرح فرنسا بأنه لا يمكن السكوت هذه المرة أو تمرير موقف كهذا من دون رد واضح ، وتدرك أوربا أنها لن تكون قادرة هي القيام بأي عمل عسكري ضد نظام بشار الأسد بمعزل عن الولايات المتحدة بينما الولايات المتحدة قادرة على القيام بعمل عسكري خارج مجلس الأمن ولكنها كانت تنتظر الفرصة المواتية للقيام بمثل هذا العمل حتى تعتمد على مبررات كافية .

وفي الحقيقة فإن الفرصة التي كانت تنتظرها الولايات المتحدة قد أتت كمبرر للقيام بأي عمل عسكري خارج مجلس الأمن خصوصا في ظل تداعي قوات نظام

بشار الأسد وكذلك تهاوي حزب الله وتخلف إيران عن دعم نظام بشار الأسد بعدما استنفذت كل ما لديها والتوجه نحو الداخل لذلك فإن تصريح إيران بأنها لن تسمح بعمل عسكري ضد نظام بشار الأسد باعتباره خط أحمر ما هو إلا عبارة عن تصريحات إعلامية بينما يعتبر اتصال لافروف وزير خارجية روسيا بنظيره الأمريكي كيري الذي يرفض أي ضربة عسكرية خارج مجلس الأمن لأن لافروف متأكد من الضربة العسكرية الأمريكية التي يمكن أن تحدث في خلال أسبوعين ويذكر لافروف الولايات المتحد بالحل السلمي في جنيف والذي كانت تصر عليه روسيا بضرورة قيادة بشار الأسد المرحلة المقبلة حتى نهاية فترته في ٢٠١٤ بينما ترفض الولايات المتحدة والدول الإقليمية التي ترعى المعارضة وهي فرصة لتنازل روسيا عن هذه المطالب مستقبلا بعد العمليات الجراحية التي يمكن أن تقوم بها الولايات المتحدة .

ومن المؤكد أن تقوم الولايات المتحدة بضربة عسكرية جراحية التي بدأت بوصول أسلحة للمعارضة وصلت من تركيا بسبب ان المنطقة بدأت تدخل مرحلة متقدمة من الاستقطابات وتحضيرا لمسرح السباق نحو السيارات المتفجرة من بيروت إلى بغداد بسبب وقوف نوري المالكي بجانب بشار الأسد ضد مقاتلة السنة والذي بدأ الأخير يراجع سياساته فالكل بدأ يتخلى عن الدعم الحقيقي عن نظام بشار الأسد قد يكون الدعم الإعلامي مستمرا وهي الأسباب التي أجبرت نظام بشار الأسد على الإقدام في استخدام السلاح الكيماوي وهو مؤشر على تداعي قواته وتداعي دعم حلفائه فلم يجد بديلا سوى استخدام الكيماوي وسوف يستخدمه مستقبلا إن لم تدعم روسيا وإيران نظامه بالأسلحة.

واستخدام السلاح الكيماوي هو ليس فقط إحراج لنظامه بل إحراج لروسيا وإيران واليوم هناك ٣٧ دولة تناقش الخيارات البديلة ولكن فما شكل هذا الرد بعد تشكيك الولايات المتحدة في نتائج التحقيق التي ستخرج بها بعثة الأمم المتحدة بعد زوال الأدلة ويبدو أن الولايات المتحدة قد اتخذت القرار بعد اتصال أوباما بنظرائه وحلفائه بدأ بالأمين العام للأمم المتحدة وفي بريطانيا وفرنسا

وكندا وروسيا وأعلنت تركيا انضمامها لأي حلف يتشكل ضد نظام بشار الأسد ي وروسيا ستكون عنصرا صغيرا في ظل الصراع الأمني بينما إيران ستكون عنصرا أصغر .

تداعيات الإستراتيجية الأمريكية في التردد أو القيادة من الخلف على الأزمة السورية:

لا شك أن هناك عاملان أساسيان يتحكمان في رسم الاستراتيجيات أولها نهاية فكرة أن العالم العربي كان آمنا في أيدي طغاة على شعوبهم طيعين للولايات المتحدة خصوصا بعد انكشاف فوضى ما بعد ثورات الربيع العربي إذا جاز لنا استعمال هذا المصطلح والعامل الآخر هو الأزمات المالية المتوالية التي ضربت العالم الغربي بسبب هذه الأزمات المالية اضطرت إدارة أوباما إلى تغيير إستراتيجيتها يراها البعض تراجع استراتيجي وتخلص أوباما من اعتبار القيادة الأمريكية للعالم شكل من أشكال الغطرسة بل اتجه إلى اعتماد سياسة القيادة من الخلف التي تتوازى مع الانتظار من الخلف وان كان البعض يعد مثل تلك الإستراتيجية هي خطوة نحو الخروج من الباب الخلفي .

في ظل هذا الفراغ الاستراتيجي الأمريكي في المنطقة وفي ظل انقسام وضعف عربي يسمح بقوى انتهازية ما يسمى بمحور الممانعة إيران وحزب الله إضافة إلى تدخل روسيا كلاعب رئيسي ضامن في خلق واقع على الأرض لصالح هذا المحور مما جعل الأخضر الإبراهيمي يصاب بحالة من التشاؤم ويصف الحالة السورية بحالة الصوملة أي تنافس أمراء الحرب الذي يقود إلى كارثة حقيقية ومزيد من الدمار وتحويل المواجهات المسلحة إلى حرب أهلية سواء اتفقنا مع تشاؤم الأخضر الإبراهيمي أو اختلفنا مع تشاؤمه فان الواقع على الأرض في ظل تلك السياسات الدولية جعلت الأخضر الإبراهيمي يتوصل إلى قناعة في ظل إستراتيجية الولايات المتحدة الجديدة إلى اعتبار أن الحل هو في موسكو .

والحقيقة أن إستراتيجية الولايات المتحدة هي التي سمحت لروسيا أن تلعب مثل هذا الدور في سوريا حتى أصبح لافروف وزير خارجية روسيا وكأنه وزير خارجية سوريا يتحدث نيابة عن سوريا ويؤكد بان الأسد يرفض الاستقالة ومن غير الممكن إقناعه بمثل هذه الاستقالة أي أن روسيا تستثمر هذا الفراغ الاستراتيجي نتيجة خلل استراتيجي أصاب النظام العالمي .

فلا يزال النظام السوري يحاصر حمص منذ سبعة أشهر فلم يتمكن من اقتحامها ولم يتمكن الثوار من القضاء على المطارات العسكرية التي تقلع منها الطائرات التي تضرب الثوار والمدن ورغم أن الدول الإقليمية تركيا ودول الخليج بقيادة السعودية قدموا الثمن لكلا القوتين المتصارعتين الولايات المتحدة وروسيا إلا أن الوضع لا يزال غامضا ولا تزال سوريا مهددة بأن تهوي إلى قاع سحيق ومن فترة لأخرى نجد حسن نصر الله يخرج من قمقمه ويتبجح بتصريحات كيدية وينصح بضرورة التوصل إلى حل سياسي ويبني قراءته على الواقع على الأرض رغم انه يدرك بان نظام بشار الأسد قد انتهى.

فإذا كانت الولايات المتحدة قد احتلت العراق بثمن غالي جدا وفرغته وجردته من كافة القوى ومنذ أن احتلت العراق وحتى اليوم لا يزال العراق رغم وراداته النفطية لم يتمكن من تامين الحاجات الأساسية للعراقيين وتريد الولايات المتحدة لسوريا أن تصل إلى نقطة معينة من تجريد القوى وهجرة العقول وتدمير كافة البنى التحتية من دون دفع أي ثمن مثل الذي دفعته في العراق كما أنها تريد اختبار الإخوان المسلمين وترويضها حتى يسمح الإخوان بمشاركة بقية فئات المجتمع لان أمريكا لا تريد لحكومة إخوانية تحيط بإسرائيل من الجانبين من مصر ومن سوريا .

والأكثر إيلاما ذلك التدهور السريع في الأوضاع الإنسانية في سوريا والعديد من التقارير تثبت بان ٧٠ في المائة من المساعدات الأجنبية تصل إلى سوريا تنتهي إلى المناطق الخاضعة لسيطرة بشار الأسد ومن قاموا بزيارات إلى حلب لم يروا أي أثرا لمساعدات أجنبية بل إن السوريين لم يكونوا على أدراك بان هناك مساعدات

إنسانية تدخل إلى سوريا هذا الفشل في نقل المساعدات إلى الشعب السوري يزيد من المعاناة وهو ما سيرفع تكلفة الحرب على الشعب السوري وتعتبر كارثة أخلاقية وإستراتيجية يجب أن يتحملها المجتمع الدولي لذلك ينبغي على الدول الإقليمية القيام بدور فعال خصوصا تركيا ودول الخليج بقيادة السعودية لاستعادة إدارة الأزمة باعتبار أن الولايات المتحدة غائبة عن المشهد وتتولى إدارة المشهد روسيا وإيران .

لماذا استبعدت الضربة العسكرية بعد استخدام النظام السوري الكيماوي كخط احمر في القانون الدولي:

عول النظام السوري وإيران وروسيا على تردد أوباما طيلة أكثر من عامين نتيجة توجيه اهتمامه بآسيا ، بل إن موقف أوباما الذي اتخذ قراره بالضربة العسكرية الذي جاء ضربة قاصفة لروسيا ولإيران وللنظام السوري المتهالك أصلا ، ولكن غزو أمريكا للعراق عام ٢٠٠٣ الذي تمت معارضته بنسبة ٩٩ في المائة بينما النسبة التي تؤيد الضربة العسكرية في سوريا ٨٧ في المائة ، ورغم تلك النسبة العالية فإن أوباما يشدد على الجهد الدولي وحتى الآن هناك عشرة دول ستشترك في الضربة العسكرية على النظام السوري حسب تصريح وزير الخارجية الأمريكي .

وهناك اليوم مواقف جهات عدة تتعلق بالضربة العسكرية على النظام السوري بدأ بموقف الدول الغربية المتحالف مع تركيا ودول الخليج وموقف إيران وموقف روسيا ولكن يبدو أن أوباما بدأ يحاصر بوتين الذي كان يستعرض عضلاته في الفترة الماضية خصوصا بعدما ألغى أوباما لقاء حول جنيف ٢ بين القوتين وألغى اجتماعا ثنائيا في قمة العشرين بينه وبين بوتين في بطرسبرج ، وبدأ بوتين يراوغ بعد الضربات المتوالية التي تلقاها بوتين من أوباما الذي تظاهر بالتردد والذي أعلن عن توجيه ضربة للنظام السوري الذي استخدم الكيماوي ضد شعبه

مخالفا برتوكول عام ١٩٢٥ الذي حرم استخدام الأسلحة الكيماوية في الحروب وضد الإنسانية.

ولم يصبح أمام بوتين سوى المراوغة فقال بوتين أن الروس غير مستعدين للذهاب بعيدا في العملية الانتحارية التي يقوم بها الأسد ، بعدما أدرك بوتين أن الضربة العسكرية للنظام السوري قادمة لا محالة وليست الولايات المتحدة هي التي بحاجة إلى موقف بوتين بل بوتين هو الذي بحاجة إلى الاصطفاف إلى جانب المجتمع الدولي خصوصا وأن بوتين يريد إنجاح قمة العشرين التي يحضرها زعماء العالم ورغم تلك المواقف المراوغة فإن بوتين يعترف بأنه قد تخلى عن نظام الأسد مبكرا وهو خرج مهزوما ولم يحقق شيئا مما كان يطمح إليه في الفترة الماضية ولكنها كانت على جثث ودماء السوريين .

بينما إيران الطرف المقصود من هذه الضربة فيما استخدمت النووي الإيراني حتى ترضخ إيران في المفاوضات القادمة وتتخلى عن الاستمرار في برنامجها النووي للأغراض العسكرية وقد يكون استخدام الكيماوي تحت نظر إيران كبروفة واختبار للردود العالمية على استخدام الكيماوي وبالطبع فإن الضربة العسكرية هي أيضا رسالة موجهة لإيران ، لذلك كانت ردة فعل إيران عبر ضجيج وشوشرة غير واضحة المعالم لتشتيت الانتباه كعادتها في مثل تلك الظروف وبدأت تنتهج إيران سياسة التركيز على تقوية خط دفاعها الأول وسلاحها الرادع حزب الله في لبنان لأن حزب الله إذا سقط سقطت قوة الردع الإيراني خصوصا بعدما فقد حزب الله من قواته الفاعلة في سوريا وسوف يصبح حزب الله بعد سقوط النظام السوري تحت الحصار من قبل النظم المعارضة لإيران في المنطقة .

وبدأت تذكر إيران بالمقاومة وأن قضيتها الأساسية هي فلسطين منذ ٣٤ سنة كما صرح بذلك السفير الإيراني في لبنان غضنفر ركن أبادي ، ومن أجل بقاء إيران في سوريا بدأت تهدد إيران على لسان رئيس الحرس الثوري الإيراني محمد علي جعفري حينما قال بأن الحرب على سوريا ستتسبب في تدمير إسرائيل وزاد

على هذا التصريح رئيس أركان القوات المسلحة الإيرانية الجنرال حسن فيروزي أبادي حينما قال إن الهجوم الأمريكي على سوريا المحتمل سيشعل الغرب وإسرائيل تصريحات إعلامية متوالية لم يلق لها بالا الغرب ، في حين أن النظام السوري والإيراني لم يردا على الغارات الإسرائيلية على سوريا .

وفي الحقيقة أن إيران ليست قلقة على سوريا قلب هذا الهلال الشيعي الذي أنشأته بعد غزو الولايات المتحدة للعراق ولكن خشيتها على انهيار قوة حزب الله باعتبار أن لبنان سيصبح المعقل الوحيد المتبقي لإيران في المنطقة وقد يستهدف الحزب بعد سقوط قلب الهلال الشيعي في سوريا لذلك هناك خطط إستراتيجية لتقوية قدرات حزب الله في لبنان فهل تتنبه دول المنطقة الفاعلة والمؤثرة في المعادلة الإقليمية لمثل تلك التحركات ؟ .

ماذا حققت الولايات المتحدة من صفقة الأسلحة الكيماوية:

عندما تصف الولايات المتحدة بأن استخدام الأسلحة الكيماوية في سوريا بالفحش الأخلاقي على لسان كيري وزير الخارجية الأمريكي ولكن السؤال المنطقي الذي يسأله كل إنسان على وجه البسيطة هل قتل أكثر من ١٠٠ ألف سوري على يد النظام السوري لا يرقى إلى الفحش الأخلاقي ؟ سؤال يجب الإجابة عليه وإن كانت الإجابة عليه معروفة وكثير من المقالات استرسلت حول الإجابة على هذا السؤال وحتى لا ندخل في التكرار .

وبعد تردد أوباما حول الأزمة السورية لأكثر من عامين ، وبعد استخدام السلاح الكيماوي الذي يتجاوز الخط الحمر الخط الذي رسمه أوباما لنفسه ولكن كان تحركه بعد هذا الاستخدام تحركا بهامش ضيق جدا وبمبادرة ضيقة جدا أيضا ما يعني أن الحرب ما بين النظام السوري وما بين شعبه طرحت جانبا وحصر الأزمة في صفقة السلاح الكيماوي وإذا ما تمت الصفقة فإنه ستتخلى الولايات المتحدة عن المطالبة بتنحي الأسد تكون عندها قد انتصرت روسيا وإيران قد

تقبل الولايات المتحدة إذا ما ربطته بمفاوضات النووي الإيراني ولكن بحسب المصالح الأمريكية تريد الولايات المتحدة الحد من طموح الدور الإقليمي الإيراني .
وهناك كثير من السياسيين يتساءلون عن ماهية الإستراتيجية التي يتبعها أوباما وهل هو ذاهب إلى خلخلة المعادلة بين النظام السوري والمعارضة ؟ أم أن الضربة العسكرية هي من أجل الحد من قدرة النظام السوري وإجباره الذهاب إلى جنيف ٢ قبل المقترح الروسي ؟ ويرى آخرون أن الموقف الأمريكي يسير في محورين الأول ماذا يفعل بالسلاح الكيماوي والثاني كيف يتم تفعيل الحل السياسي ؟ والبعض الآخر يتساءل أين أوباما ذاهب ؟ وكيف تتفادى الولايات المتحدة الإحراج ؟ بينما البعض الآخر يعتقد أن أوباما نجح في إستراتيجية تبني الضربة العسكرية على النظام السوري وآتت أكلها وجعلت روسيا تقدم على مبادرة صفقة الأسلحة الكيماوية ويجب أن يستمر أوباما في مواصلة الضغوط على النظام السوري وروسيا وإيران والمهمة في سوريا ليست كما المهمة في العراق ولم يكن أوباما ذاهب لاحتلال سوريا بل المطلوب هو خلق حظر جوي وقلب موازين القوى على الأرض لإفساح المجال أمام خلق ديمقراطية توافقية وأوباما تحدث في السويد عن القيم الإنسانية وحقوق الإنسان وليس فقط حول استخدام الكيماوي ويتحدث أوباما بخطاب أمام الشعب الأمريكي بأن ما يدور في سوريا يهدد الأمن القومي الأمريكي .
وتدرك روسيا بأن الضربة العسكرية رغم الإعلان عنها بأنها محدودة إلا أنها ستقضي على النظام السوري فاتجهت روسيا إلى تقديم مبادرة صفقة للأسلحة الكيماوية وطرحها على مجلس الأمن لإصدار بيان رئاسي وكادت تعقد جلسة مجلس الأمن مساء الثلاثاء ١٠ / ٩ / ٢٠١٣ إلا أن فرنسا استبقت روسيا بقرار حازم بدعم بريطاني رغم أنه لا يمثل موقف الإتحاد الأوربي لأن فرنسا طالبت الذهاب في اتجاهين الأول إجرائي للتحكم في الأسلحة الكيماوية والآخر عقابي وتحديد عقوبات إجرائية في حالة لم يسلم النظام السوري الأسلحة بموجب الفصل السابع من فصول الأمم المتحدة في مجلس الأمن .

وفوتت فرنسا على روسيا والنظام السوري شراء الوقت لأن روسيا لا تريد إدانة النظام السوري ولا عقابه هنا محط الخلاف فأجلت الجلسة إلى أجل باتت الجلسة المقبلة في مهب الريح وتتجه الأنظار إلى الاجتماع المرتقب ما بين وزيري خارجية الولايات المتحدة وروسيا ولا زالت العقبات والعقبات كبيرة .

ويرى الغرب أن المبادرة الروسية ليست واضحة ولكن لا يريد الغرب غلق الأبواب وسيعطي أوباما للدبلوماسية وقتا كافيا قبل الحديث عن الضربة العسكرية رغم أنها لا زالت قائمة .

ويريد الغرب أن يصدر قرار من مجلس الأمن يقيد الأمور ويعطي إجابة واضحة وفورية ويضعون التدمير الكامل والفوري للأسلحة الكيماوية من أجل ضمان أمن إسرائيل وإصدار قرار من مجلس الأمن يفند ويحدد وفق جدول زمني محدد ، ويريد الفرنسيون محاكمة كل مسؤول عن استخدام السلاح الكيماوي كما يتساءل الغرب هل روسيا قادرة على الضغط على نظام بشار الأسد ؟ فلا يزال الصراع ما بين الغرب وروسيا قائما فمن ينتصر أخيرا ؟ أم أن المواقف الدولية بدأت تتجه نحو التقارب ويسعى الطرفان لمصالحه على غرار ما حدث للأسلحة الكيماوية في العراق ؟ فلا زالت المواقف حتى الآن غير واضحة ولكن الأيام المقبلة ستكشف عن المواقف الحقيقية والغرب لن يقصي الضربة العسكرية إلا إذا حصل على تنازلات كبيرة من روسيا ولكن الشيطان يكمن في التفاصيل الدقيقة .

الحراك الحالي هو نتيجة استخدام السلاح الكيماوي في سوريا وليس نتيجة امتلاك الكيماوي ولكن الحديث انتقل من العقاب إلى المخزونات ما يعتبر نوع من التراجع رغم أن الخلافات ما بين الولايات المتحدة وروسيا عميقة وتريد الولايات المتحدة آلية سريعة للعودة إلى الأمم المتحدة لمحاسبة دمشق في حالة عدم الامتثال لمطالب المجتمع الدولي ورغم أن الولايات المتحدة لا تريد العمل العسكري ولكنها حذرة من المبادرة الروسية التي لا تحمل جدية وهو صلب الإشكال بين الدولتين خصوصا وأن النظام السوري يمتلك نحو ألف طن من المواد الكيماوية .

إن عدم تراجع أوباما عن موقف الولايات المتحدة بشن ضربة عسكرية على النظام السوري في قمة سان بطرسبرغ وبهذا الاستعراض للقوة أكسبه قدرا من المصداقية التي افتقدها خلال الأزمة السورية ، لكن المبادرة الروسية أنقذت أوباما الذي ظل يرفض التدخل في سوريا ، وأبد الروس الرقابة الدولية على الأسلحة الكيماوية لكن السؤال الصادم الم يكن الروس والولايات المتحدة وإسرائيل كانوا يتحدثون في الفترة الماضية عن الرقابة على الأسلحة الكيماوية في سوريا وأنها تحت السيطرة ؟ ولماذا لم يضرب المجتمع الدولي النظام السوري حينما اتجه نحو استخدام هذه الأسلحة ضد شعبه مثلما ضربت إسرائيل قوافل محملة بأسلحة قد يكون منها أسلحة كيماوية كانت متجه لحزب الله من سوريا ؟ فهل ورط الغرب وروسيا مجتمعين النظام السوري في استخدام السلاح الكيماوي مثلما ورط الغرب صدام حسين حينما أبدوا موافقتهم أو التظاهر بالسكوت على غزو الكويت وضم الكويت إلى العراق ؟ أي أن النظام الدولي نجح في توريط النظام السوري ووضعه في الفخ ومعه النظام الإيراني أيضا .

إذا الأزمة ليست أزمة نظام مجتمع دولي ولا أزمة نظام مجلس الأمن وأزمة استخدام روسيا والصين الفيتو ثلاث مرات ، أنها في الحقيقة دراما كانت تدار على مسرح وكان المسرح هي سوريا ، وإنهاء القوة الكيماوية المتبقية وتفكيكها وإزالتها من على الأراضي السورية بعدما قضى الغرب على الأسلحة الكيماوية في العراق وفي ليبيا حتى تصبح المنطقة خالية تماما من الأسلحة الكيماوية يتبقى السلاح النووي الإيراني الذي يهدد أمن إسرائيل وسيتعامل معه الغرب بخطوات مدروسة عن طريق الحصار والضغط الاقتصادي الذي بدأ يؤتي أكله .

فالخطوة التالية هي إحياء محادثات جنيف ٢ دون حدوث فجوة فوضوية على غرار ما حدث في العراق لأن سوريا ليست كالعراق بسبب أنها تقع بجوار إسرائيل لذلك لن يقبل المجتمع الدولي بانهيار بقايا الجيش وبقايا مؤسسات الدولة ولن يبقى بشار الأسد بعد اتهامه باستخدام السلاح الكيماوي بعدما كانت إيران تضغط على روسيا بضرورة التنازل عن شرط بقاء الأسد ولكن بعد استخدامه

السلاح الكيماوي سيعطي روسيا والولايات المتحدة المبرر في التخلص من هذا الشرط كمبرر أخلاقي ولن يبقى بشار الأسد وسيرحل ولكن كيف يرحل فهو غير معروف حتى الآن لأن لا روسيا ولا إيران ستقبل بلجوء الأسد إليهما .

بينما النقطة الأخرى التي تواجهها الولايات المتحدة وروسيا في كيفية التخلص من الجهاديين الذين استخدموا منذ البداية في إضعاف النظام السوري بل تعتبر الولايات المتحدة التخلص من الجهاديين مقدم على مطلب تنحي الأسد وقد يربط الغرب تخلي إيران عن النووي الإيراني بالحصول على مقعد في جنيف باعتبار أن إيران جزء من الحل وجزء من المشكلة السورية وقد تقبل تركيا بوجود مقعد لإيران في جنيف ولكن سترفض دول الخليج تواجد إيران ما يعتبر منظومة أمنية جديدة للمنطقة .

وبذلك يكون المجتمع الدولي بقيادة الولايات المتحدة وروسيا قد أجلتا ضربتين عسكريتين الأولى على إيران والثانية على النظام السوري وهذا يعني أن الضربتين لا زالتا على جدول المجتمع الدولي إلا إذا تمت تسويات مقابل تفادي هاتين الضربتين فكيف نجح المجتمع الدولي في توريط النظامين ؟ فهل النظامين الأمريكي والروسي متحالفين رغم تظاهرهما بالاختلاف ؟ أو على الأقل تضارب المصالح بينهما ومحاولة التوصل إلى تفاهم وتقاسم للمصالح بحسب حجم الدولتين ومكانتهما العالمية ؟ .

سوريا في قلب مجالات النفوذ:

صممت سلسلة الأساليب المستخدمة ضد سوريا الكبرى للسيطرة على الدولة الحديثة، وتهشيم الدولة الوطنية الجامع لكل الشعب لتتناسب مع بلقنة سوريا بإقامة دويلات تحكمها الأقليات سواء الدينية أو العرقية.

لحظة فارقة عندما يظهر الأسطول الصيني في البحر الأبيض المتوسط في قلب الحضارة الأوروبية في العام المقبل ٢٠١٥ لإجراء تمارين مشتركة مع الروس، أعلن عن تلك التمارين المشتركة في بكين قبل نهاية شهر نوفمبر ٢٠١٤.

تلك التمرينات تبعث برسائل للغرب مفادها أنه استطاع الناتو القيام بدوريات قرب حدودهما، فإن البلدين يستطيعان القيام بدوريات مماثلة في قلب حلف الناتو، لإعادة ترتيب أوسع للشؤون العالمية يقوم على مبدأ النفوذ.

حتى وقت قريب اعتمدت الصين بشكل أساسي على قوتها الاقتصادية لتوسيع نفوذها في أنحاء آسيا، لكن الصين اليوم أكثر حزما حول المسائل الأمنية خصوصا بعدما أصرت الصين على الطائرات الأجنبية أثناء مرورها فوق بحر الصين الجنوبي أن تعرف بنفسها للسلطات الصينية.

ضمن المسائل البراغماتية يفترض أن يؤمن الغرب ولمصلحة السلام العالمي أن تمنح روسيا والصين مجالات نفوذ بشكل هادئ، لكن الصراع بين روسيا والغرب تركز حول أوكرانيا، الجديد أن تسعى إيران لمشاركة الصين وروسيا حول مجالات النفوذ، ولكن أوباما كان مترددا بينما إسرائيل ترفض مشاركة إيران وكذلك تشاركها دول الخليج بقوة.

مشكلة إدارة أوباما متناقضة خصوصا عندما أراد الخروج من الشرق الأوسط والتوجه إلى آسيا، وفي نفس الوقت وقف أوباما ضد مجالات النفوذ واصطدم مع روسيا في أوكرانيا بسبب أنه خشي طموحات القيصر، وبدأت تصر واشنطن على حق الديمقراطيات المستقلة في اختيار تحالفاتها.

كل الخلاف يدور أساسا حول القوة، بينما الحديث في واشنطن يدور حول المبادئ كغطاء لرفض فكرة مجال النفوذ لروسيا والصين، ولا زالت واشنطن تصر على مبدأ مونرو في عام ١٨٢٣ الذي أعلنت فيه أمريكا نيتها إبقاء الأجانب بعيدين عن نصف الكرة الغربي الذي توجد فيه الولايات المتحدة.

لكن يصر الروس بأن الولايات المتحدة لم تلتزم فقط بمبدأ مونرو بل تدخلت عسكريا في جزيرة جرينادا وبنما وهاييتي وفي العراق وفي أفغانستان ومن قبل في فيتنام والآن في سوريا التي أصبحت في قلب مجال النفوذ بين القوى المتصارعة.

ورفض الجمهوريون فكرة أوباما الخروج من منطقة الشرق الأوسط بل انقلب عليه الجمهوريين وسيطروا على المجلسين، وضغطوا على أوباما بالعودة مرة

أخرى للشرق الأوسط من خلال الحروب الدينية التي تقودها الولايات المتحدة بطرق ذكية.

لكن أراد أوباما أن يحقق رغبة الجمهوريين في العودة للمنطقة بتطبيق استراتيجية جديدة عودة برغبة شعوب المنطقة، ولكن لابد من العودة التحالف مع الجماعات الدينية، ساهم نظام بشار الأسد في تحقيق تلك الغاية بعد انسحاب النظام من غالبية الأراضي السورية، ورفضت الولايات المتحدة تسليح المعارضة، ولعبت على وتر الخلاف الإقليمي بين السعودية وتركيا على جماعة الإخوان المسلمين أخر دعم المعارضة السورية، ترك فراغا ظهرت فيه جماعات مسلحة في أرخبيل جهادي ممتد من الجنوب الغربي وحتى الشمال الشرقي، وكان من أبرز الجماعات الجهادية داعش.

أقامت الولايات المتحدة تحالفات متناقضة لمحاربة داعش، لذلك أوهمت الجميع أن الضربات الجوية لم تتمكن من القضاء على داعش، مما جعل العراق يطلب من الولايات المتحدة العودة إلى تسليح الأكراد والسنة لمحاربة داعش بعدما كانت ترفض الحكومة العراقية بمساندة إيران برفض توقيع أي اتفاقية أمنية أو بقاء أي قوات أمريكية في العراق.

أراد الجمهوريين أن تنتشر القوات الأمريكية ضمن مجال النفوذ، فهناك قوات أمريكية في اليابان وكوريا الجنوبية وقواعد بحرية وجوية في البحرين وقطر وقواعد الناتو في كل أوربا، ويريد الجمهوريون عودة القوات الأمريكية التي من أجلها زهقت أرواح الأمريكيين ودفع مبالغ باهظة لأفغانستان وللعراق، والهيمنة الكاملة على سوريا المستقبل، بينما ترفضه روسيا والصين مع سكون إيراني حتى لا تفسد المفاوضات النووية بين الطرفين.

بعد عودة الجمهوريين إلى المجلسين، بدأت ترفض الولايات المتحدة مجالات النفوذ، ولكنها ترى على لسان وزير خارجيتها جون كيري بأن عصر عقيدة مونرو أصبحت ميته، أي أن الولايات المتحدة ترى أن التحالفات الجديدة قائمة بين شركاء راغبين في تلك التحالفات.

بدأت روسيا تطلق مبدأ سيناترا وهي فكرة داعية إلى أن كل الشعوب تستطيع العمل على طريقتها الخاصة، وأن الولايات المتحدة التي ترى بأن منطقة النفوذ المبنية على القبول، وتلك المبنية على التهديد والقوة، فيها إشارات متناقضة.

ضمن تلك الصراعات حول فكرة مجالات النفوذ، فإن سوريا تبقى ضمن أهم منطقة نفوذ لأمريكا، ولن تسمح الولايات المتحدة بتدخل روسي في حل الأزمة السورية، لذلك نجد أن النظام السوري يبلغ موسكو رفضه تشكيل هيئة حكم انتقالية وهو الحليف له، ولكن النظام السوري يدرك حقيقة مجالات النفوذ ما يفتح الباب أن النظام السوري حليف قوي لأمريكا رغم أنه في الظاهر حليف لروسيا وإيران، وسيكون شريكا في الحكومة المقبلة.

الفصل السادس

توظيف ورقة الإرهاب كسلاح في تحقيق أجندات جيوسياسية

سلاح ورقة الإرهاب:

تحول أوباما عن محاربة الإرهاب في عهد بوش الابن الذي كلف الولايات المتحدة في بعض التقديرات وصلت إلى تريليوني دولار هذا عدا عن أعداد القتلى التي مني بها الجيش الأمريكي في حروب خارجية ليست دفاعا عن الوطن وهي حروب بعيدة عن أراضي الوطن .

استخدم أوباما استراتيجية أخرى وجديدة في محاربة الإرهاب ولكن هذه المرة باستخدام الإرهاب ورقة وسلاح لمحاربة الإرهاب نفسه من دون التدخل عسكريا على الأرض مثلما كان سائدا في عهد بوش.

جاء احتلال داعش مدن مهمة في العراق خصوصا الموصل وتكريت وسهل نينوي وأصبح على مشارف أربيل حتى أخذ الغرور لجماعة داعش وأتباعها بأنه حان الوقت للإعلان عن دولة الخلافة الإسلامية الحلم الذي يراود كثير من أصحاب التيارات والجماعات الإسلامية ، وستمتد داعش في كافة المنطقة العربية وستطال المنطقة الأوربية القريبة من المنطقة العربية على غرار الفتوحات الإسلامية مما يدلل على قراءتها المتواضعة للمشهد السياسي.

هناك رسائل عديدة أراد أوباما أن يرسلها للمنطقة ،وهي أن الإرهاب السني هو أخطر من الإرهاب الإسرائيلي في غزة ، وأخطر من الإرهاب الشيعي ومن إرهاب الإخوان وهي رسالة خاصة موجهة للسعودية بشكل خاص التي تتزعم العالم

الإسلامي وعليها أن تغير مواقفها المتصلبة حول العديد من القضايا الإقليمية لأن الولايات المتحدة أرادت استخدام الإخوان ورقة في محاربة الإرهاب ولكن وقفت السعودية حائلا أمام استخدام هذه الورقة وفهمت السعودية المشهد بشكل آخر بأن الولايات المتحدة ستستخدم محور الإخوان الذي يمكن أن يلتقيا بمحور إيران ويحاصران السعودية لتقليص أهمية دورها هي ومصر .

وثانيا يريد أوباما أن يهدد الشيعة الذين هم الآخرون أخذهم الغرور بعد تسليم بوش الابن العراق لإيران، وسلمت إيران السلطة للشيعة العرب في العراق ،ولكن اشترطت أن تظل العراق ذات تبعية كاملة لإيران ،وأن تكون القيادة الحقيقية لإيران ، وبالفعل كان الحاكم الفعلي للعراق قاسم سليماني وليس المالكي وكل السياسات الخاطئة تحملها المالكي رغم أن القرار ليس بيديه ، والتي استمرت في إقصاء بقية المكونات في العراق من سنة وكرد.

كما أن الغرب ترك الإرهاب يتمدد في منطقة الشرق الأوسط ، وجاءت انتصاراتها التي ألهبت حماس جميع المتطرفين في جميع أنحاء العالم مما أمكن حصر أسماؤهم أو سمح لهم بأن ينضموا إلى القتال مع داعش في منطقة الشرق الأوسط ما يجعلهم تحت طائلة المحاسبة والمراقبة بعد عودتهم بينما بعدما كانوا خلايا نائمة وغير معروفة أو لا يمكن الوصول إليهم.

أي أن أوباما استخدم سلاح الإرهاب ورقة لتأديب المنطقة وورقة لحصر الإرهاب في العالم المتقدم ، وإرسال عدة رسائل للجميع من دون أن يكلف الولايات المتحدة بتدخل عسكري ميداني واسع ، أو تحميل الولايات المتحدة تكاليف باهظة في محاربة الإرهاب كما كان من قبل .

والدليل على ذلك حينما دخلت داعش الموصل دخلت بآلاف السيارات من طراز واحد وهي ليست نتيجة صفقات فردية أو تهريب بل هي نتيجة صفقات استخباراتية كبيرة وسمح لهم أوباما بالتدريب في سوريا بعدما جعلها بيئة مهيأة لهم للتدريب بعد امتناعه عن دعم الجيش السوري الحر بأسلحة نوعية ،واستمر فترة طويلة يراوغ حول تسليح الجيش السوري الحر ،وفي نفس الوقت

لم يسمح للنظام السوري أن تفوق قوته قوة الجيش السوري الحر ،بحيث تبقى المعادلة متكافئة دون انتصار طرف على طرف ،والدماء التي تسيل ليست ذات أهمية في صلب إستراتيجية أوباما (وهذه المادة جيدة للذين يؤمنون بنظرية المؤامرة).

ورقة الإرهاب التي تركها أوباما تتمدد والتي حققت له تحولا كبيرا في العراق، وأجبرت المرجعية الشيعية العراقية على قيادة مرحلة تغيير في رئيس الوزراء العراقي ،واختيار العبادي بدلا عن المالكي ،ووافقت إيران مكرهة على هذا التغيير ، وستستمر ورقة الإرهاب ورقة تهديد حتى تتمكن الحكومة الجديدة بقيادة العبادي من تشكيل حكومة وحدة وطنية يشارك فيها الجميع بمنأى عن القرار الإيراني كما كان سابقا ، ولم يعد هناك تعاون أميركي إيراني في العراق كما كان سابقا عندما ضغطت إيران على الولايات المتحدة في إبقاء المالكي لولاية ثانية.

هدف أوباما أن تتعاون السعودية وإيران في حل مشكلات المنطقة وعلى الأخص الأزمة السورية بدلا من إصرار السعودية على أن يكون الحل وفق جنيف ١ وإصرار إيران أن يكون الحل وفق جنيف ٢ وأن يبحثا عن صيغة توافقية بدلا من استمرار الصراع الذي يهدد دولهم .

لأن لدى أوباما مهمات أكبر وأولويات أكثر أهمية من مشاكل الشرق الأوسط من أجل أن يتجه إلى تنشيط الاقتصاد الأمريكي لمواجهة المارد الصيني ،حتى لا تضيع الفرص ويضيع الوقت.

تلك الإستراتيجية التي اتبعها أوباما واجه معارضة شديدة داخل الولايات المتحدة ضد الاستمرار بالنأي عن النفس لأمد أطول حتى لا ينهار الشرق الأوسط وحينها تصبح المعالجات عصية على الحل.

تلك الضغوط على أوباما كانت من قبل جون ماكين الذي اتهم أوباما بأنه لا يملك إستراتيجية محددة لمكافحة الإرهاب ، ومن قبل هيلاري كلينتون المرشحة للرئاسة المقبلة التي حملت أوباما مسؤولية ترك الفراغ في سوريا والذي ملأه الجهاديون .

عندها وافق مجلس الأمن بالإجماع على مواجهة داعش وجبهة النصرة بناء على البند السابع ، ولكن تلك الموافقة تراهن على جهود دول خصوصا بعدما تلقي مجلس الأمن دعما ماليا سعوديا لمواجهة الإرهاب وهي رسالة سعودية لمجلس الأمن بان دور مجلس الأمن غائب.

وأيا يكن قرار مجلس الأمن ،فإن عينه على دول الجوار للعراق وسوريا يقصد بتلك الدول السعودية وإيران وتركيا ومصر وهي الدول الأساسية في المنطقة والتي يمكن أن تقود المرحلة تحت رعاية ودعم المجتمع الدولي في محاربة الإرهاب.

بالتزامن مع قرار مجلس الأمن تدخلت الولايات المتحدة بالضربات الجوية بعدما فوجئت الولايات المتحدة بتمدد دولة داعش التي خالفت السياسات التي رسمتها له ، مما ينفي تباكي وسائل الإعلام الأمريكية على الأقليات في شمال العراق ، مما يؤكد زيف تلك الادعاءات ، لأن هناك أقليات أخرى في سوريا تركوا لمصيرهم المحتوم.

قدمت السعودية دعما لمكافحة التطرف عالميا ، وفي الجانب الآخر دعا خادم الحرمين الشريفين إلى إنشاء مركز لمكافحة التطرف الذي سبق أن دعا له قبل أكثر من عشرة أعوام ، ولكن الدول الكبرى لم تستجب لمثل تلك الدعوة من أجل البحث عن سبل تجفيف منابع الإرهاب وقطع دابره.

لكن الأهم في مواجهة الإرهاب هي مواجهة الأفكار التي تدعو إلى نمو ظاهرة التطرف في طور نشأتها ، وأثناء تطورها ، وتحديد الآليات الفكرية التي تدحضها بعد استشراف الخطر المستقبلي لهذا التطرف لتصحيح المسار الخاطئ .

لذلك وجه خادم الحرمين كلمته للداخل إلى علماء السعودية وإلى علماء العالم الإسلامي بتحمل مسؤوليتهم في مواجهة فكر التطرف وفق منظور الإسلام.

منشأ التطرف عادة يبدأ كردة فعل على السياسات الخاطئة سواء المحلية أو العالمية، مثلما يدور في سوريا وفي العراق التي تتحول مثل تلك الدول إلى بيئات

تفريخ للإرهاب وللإرهابيين بعد تنامي الغضب والكراهية على ما يدور في المنطقة
.

فترسو سفينة الجهاديين عند مرفأ الإيمان والأديان والمذاهب والأصوليات بوصفه المطلق الوحيد لديهم يمكن أن ينجيهم مما هم فيه من غضب وكراهية مثلما يلجأ الإنسان عند العاصفة إلى أقرب مرفأ، ومرفأهم الدين للبحث فيه عن إنقاذهم بأقصر وأسرع الطرق.

فلا يكفي مواجهة الإرهاب أمنيا ،بل يجب مواجهة الإرهاب كفكر مجرد لتوجيه الغضب نحو الوجهة الصحيحة يتولاها العلماء ، وليس يتولاها ممن ليسوا أهلا لمواجهة مثل تلك الأزمات التي تفوق قدراتهم ،وقد حذرنا الله في كيفية التعامل مع فقه الأزمات ،ويجب عدم ترك المعالجة لكل أحد ،لأنها مسائل أمنية تخص مجتمع بأكمله ومن الخطورة ترك هذا الأمن لأفراد وجماعات (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم لاتبعتم الشيطان إلا قليلا).

وينبه الله سبحانه وتعالى بأن هناك جماعات ذات أجندة خفية ، يمكن أن تقود جماعات مؤمنة فيها طيش وخفة يحققون لها أجندات على أيديهم لإرباك الأمن الإسلامي وتفكيكه على يد جماعات من المسلمين لا يقدرون حقيقة أمن الأمة بحجج الجهاد في سبيل الله أو الاستجابة في نصرة المظلومين، والتي هي من مسائل الحرب وأسرارها وهي لا يمكن أن تدرك حقيقتها ومفاهيمها ،لذلك نهى الله سبحانه وتعالى في الآية أن ينشغل العامة في السياسة ،فإنه يضرها ولا ينفعها ،وسبب أساسي في تفريخ ظاهرة الإرهاب الذي يضر الأمة والدولة .

لماذا تصطف الولايات المتحدة إلى جانب حركات الإسلام السياسي؟:

عرفت أوربا في القرن السابع عشر حروب دينية سياسية، أي أن الدين كان يستخدم سلاحا لخدمة أهداف سياسية، ولم يعاني المسلمون من مثل تلك الحروب الدينية سوى أنهم عانوا من الخوارج على مر العصور تمت مواجهتهم في كافة العصور.

تستدعي الولايات المتحدة مثل تلك الحروب الدينية في منطقة الشرق الأوسط التي تشهد صراعات، نتيجة بناء الغرب علاقاته مع حركات متشددة خوفا من امتداد الإرهاب إلى أراضيه.

سبق أن استخدم ميتران حق النقض الفيتو عام ١٩٨٤ ضد خطة أمريكية لعمل مشترك بين مجموعة الدول الصناعية السبع ضد الإرهاب الدولي، لأن ميتران رئيس فرنسا كان واقعيا في مطالبته في معالجة الإرهاب في ذلك الوقت، أكد موقفه في اجتماعه بنائب الرئيس الأمريكي الراحل رونالد ريغان مع بوش الأب، وقال ميتران لبوش الأب أن السبيل الوحيد إلى التعامل مع خطر الإرهاب هو معالجة المظالم التي تسببت فيها السياسات الغربية ولكن الولايات المتحدة لم تلق بالا لتلك النصيحة.

رفضت تركيا المشاركة في محاربة داعش، بينما يترك النظام السوري يقتل شعبه بالكيماوي، وقتل أكثر من ٢٠٠ ألف سوري.

بينما دخلت دول الخليج في حلف مع الولايات المتحدة لمحاربة داعش، ولكن الولايات المتحدة لم تصطف إلى جانب دول الخليج وتقر قوائم الإرهاب التي تهدد دول المنطقة بل تعقد الولايات المتحدة لقاءات سرية مع العديد من المليشيات التي وضعتها دول الخليج في قوائمها.

فيما نجحت مصر بدعم خليجي في رفض الخارج بكل مبادراته وارتضت الحل الوطني بتدخل الجيش رغم وجود معارضة شديدة من أنصار الشرعية التي تعتبر ما قام به الجيش بدعم شعبي انقلابا على الشرعية.

راهنت الولايات المتحدة على المليشيات الشيعية في مقاتلة داعش، ونجدها أقرت الحشد الشعبي الشيعي لمحاربة داعش، وتسليح الأكراد والعشائر السنية، بدلا من تسليح الجيش العراقي، والذي يمكن أن ينتج عنه أمراء حرب الذين يمكن أن يقلقوا الحكومة العراقية مستقبلا ويفرضون أجندتهم بسبب أنهم أقوى من الدولة مثل المليشيات التي تتقاتل في ليبيا.

مثل تلك التصرفات ليست غريبة على الولايات المتحدة التي دعمت الهمجية الإسرائيلية طيلة ٤٠ عاما، واستخدمت أكثر من ٢٤ فيتو لصالح إسرائيل في مجابهة أمم الأرض قاطبة، ضاربة بلواء الديمقراطية التي تتبجح بها في كل مناسبة وفي كل تدخل عرض الحائط.

أصبحت أمريكا مثيرة للاهتمام خصوصا في عصر أوباما في ظل ضبابية الرؤية وانعدام الإستراتيجية في الشرق الأوسط، حتى روج الجمهوريون صورة أوباما صاحب التدابير الفاشلة، ومن ثم كان التسونامي الجمهوري نتيجة طبيعية لغضبة الرأي العام على أوباما من أجل أن تعود أمريكا مرة أخرى جديدة إلى أن تأخذ مكانتها الحقيقية في عيون العالم.

يرفض العالم بأن ما يقوم به داعش مواجهة بين الأديان، بينما هو استلاب لروح الأديان، وإلباس الصراع السياسي ثوب الأديان، وما يدور في العراق في جوهره يبين لنا أن المسألة ليست صراعا دينيا، بل صراع حول الثروة والسيطرة على العراق كموقع استراتيجي لمحاصرة إيران وضمان عدم وصول روسيا إلى الخليج.

لذلك أعد الصراع بعناية بأنه صراع حرب مع الإرهاب، وهذا لا يعني إنكار حقيقة وجود الإرهاب، لكن الفوضى وتلاشي قوة الدول أوجد بيئات جاهزة لنشوء ونمو وتمدد الإرهاب.

حروب الشرق الأوسط كانت وراء ظهور الحركات الدينية المتطرفة، فإلى جانب سعي الولايات المتحدة إلى بسط هيمنتها على المنطقة، ولكن لديها أفكار سلبية مسبقة حول المسلمين في أمريكا وفي أوربا بعدما بنى الأمريكيون رؤاهم في التشكيك العميق تجاه ولاء المسلمين الأمريكيين وانتمائهم للدولة التي يعيشون

فيها، ويعتقدون أن قرارات أي مسلم ستتأثر بتوجهاته الدينية إن تولى منصبا سياسيا رفيعافي الولايات المتحدة أو في أوربا ، ما يجعلهم في حالة قلق من أن يلعبوا دورا فاعلا مستقبلا في الحياة السياسية الأمريكية، ولا يقل مثل هذا الشعور في أوربا بل هو أكبر قلقا خصوصا من قبل الفئات اليمنية.

الخوف من الإسلام جعلهم يستهدفون المسلمين، خصوصا بعدما قلصت العولمة العالم التي أذابت الحدود، بل لا تعترف بها مثلما لا تعترف بها الدولة الإسلامية، سهلت للناس الالتجاء للأديان كمرفأ يلجأون إليه وقت العاصفة.

فما كان على الولايات المتحدة إلا أن تلجأ إلى إشعال الحرائق في الشرق الأوسط عن طريق استعارة الحروب الدينية في العصور الوسطى في أوربا ونقلها إلى الشرق الأوسط لتبديد مثل هذا القلق، وفي نفس الوقت تحقيق إستراتيجية الهيمنة على منطقة الشرق الأوسط ضمن صراع النفوذ بين القوى العالمية.

هل تركت الولايات المتحدة داعش تنمو انتقاما للإخوان؟:

بعدما أقدمت الولايات المتحدة على قتل أسامة بن لادن إيذانا بنهاية الحرب التي كانت تقودها على الإرهاب ،التي دشنها بوش وكلفت الولايات المتحدة فاتورة هائلة قدرت بتريليوني دولار بخلاف أعداد القتلى.

أجبرت القوات الأمريكية على الهروب من المنطقة معترفة بخسارتها الحرب ،ولكنها لم تعلن ذلك علانية ،بعدما كانت قوات الصحوة تحميها في العراق ،ومن قبل استعانت بمكونات في أفغانستان وفي العراق عند غزو هذين البلدين.

قدم كولن باول عندما كان وزيرا للدفاع في تقريره للولايات المتحدة بأن مصدر الإرهاب في المنطقة هو في بقاء نظم الحكم المستبدة ،ومنذ ذلك الوقت بدأت تبحث الولايات المتحدة عن بديل لهذه الأنظمة تكون قادرة على اجتثاث الإرهاب في المنطقة.

أصبحت هذه الظاهرة مكان دراسة مستفيضة من خلال العديد من مراكز الأبحاث في الولايات المتحدة ،والتي كانت تنصحها بالبحث عن تيار إسلامي

معتدل يتولى مهمة القضاء على الإرهاب من خلال امتصاص تشددهم ومن خلال المشاركة.

رأت الولايات المتحدة في الإخوان المسلمين أو ما يسمى بتيارات الإسلام السياسي خصوصا بعد تقييم نجاح حزب العدالة والتنمية في تركيا ذو الأصول الإسلامية ومدى قدرته على التصالح مع الحداثة.

قدمت جماعة الإخوان المسلمين في مصر على أنهم التيار القادر على التعامل في عالم السياسة ببراجماتية ،وهو القادر على توحيد صفوف التيارات الإسلامية المتشددة التي يخرج منها الإرهاب ،ولكنه كان تبسيط لا يمكن القبول به.

استطاع حزب العدالة والتنمية في المغرب أن يتعايش وأن يتقاسم السلطة مع النظام الملكي ، وكذلك في تونس تمكن حزب النهضة من التنازل لبقية التيارات في سبيل التعايش بين جميع المكونات وقدم نموذجا جديدا .

بينما فشل حزب العدالة والتنمية في مصر من الاستمرار في الحكم ،بعدما رفض الاستجابة لنصيحة أردوغان بأن تقبل الجماعة التعامل مع بقية الكيانات التي يتكون منها المجتمع المصري من خلال العلمانية التي طبقتها تركيا ونجحت فيها .

سبق أن خاضت جماعة الإخوان المسلمين جدلية في زمن الرئيس محمد حسني حول العلاقة بين العلمانية والإسلام ، ولم تتمكن جماعة الإخوان من التوصل إلى مخرجات وتوصيات متوازنة تتماشى مع الواقع ومع سماحة الدين الإسلامي تستفيد منها بعد تسلمها السلطة.

وكما وصل حزب العدالة والتنمية ذراع الإخوان المسلمين في مصر بالتصويت الشعبي، انقلب كذلك الشعب المصري على الحزب وأزاحه من الحكم ،مما أربك استراتيجيات الولايات المتحدة التي كانت تنحا نحو رسم خريطة جديدة للمنطقة ، وتعلن عندها الولايات المتحدة عن وفاة تقسيم محوري الاعتدال والممانعة الذي ابتكرته في الفترة الماضية بعد زمن الحرب الباردة.

محور الإخوان المسلمين في مصر الذي كان يلتقي مع زميله في تركيا ، ولكن من أكبر الأخطاء السياسية التي ارتكبها حزب العدالة والتنمية في مصر، توجهه نحو مغازلة إيران الذي أغضب الجيش المصري ،وأغضب السعودية جعلهما يتحالفان فيما بعد ضد حزب العدالة والتنمية بمناصرة الشعب المصري الذي انتفض ضد حزب العدالة والتنمية .

بذلك انتهى ربيعا إخوانيا أمريكيا ، وبه خسرت الولايات المتحدة حليف قديم ومحوري في المنطقة ،وبدأت مرحلة جديدة من العلاقات المصرية مع روسيا بعدما اتسمت علاقات روسيا بفتور مع حكومة الإخوان.

التحالف السعودي المصري الذي أطاح بجماعة الإخوان المسلمين في مصر ، أغضب الولايات المتحدة بعدما تمنت أن يقود إخوان مصر تحت مظلته جميع التيارات المتطرفة في المنطقة خصوصا بعدما أثبت الرئيس مرسي تمكنه من رعاية إنهاء أزمة غزة بين إسرائيل وحماس عام ٢٠١٢ .

وكانت تطمح الولايات المتحدة وأوربا من جماعة الإخوان المسلمين في حماية أوربا ومصالح الولايات المتحدة في المنطقة ، أغضبت هذه الإطاحة كذلك تركيا الحليف الاستراتيجي لجماعة الإخوان المسلمين باعتبار أن تركيا تطمح لإحياء الخلافة العثمانية التي حاربت الدولة السعودية ،وكانت السبب الرئيسي في سقوط الدولة السعودية الأولى ، بينما تطمح إيران استعادة الإمبراطورية الفارسية عبر التوجهات الدينية فوق القومية.

تغاضت الإدارة الأمريكية عن النظر في عريضة شعبية وقعها ١٠٠ ألف أميركي لحظر جماعة الإخوان المسلمين وسط انتقادات حادة لطريقة تعامل إدارة الرئيس أوباما مع ملف الإخوان .

لذلك عاقبت الولايات المتحدة السعودية بترك سوريا لمصيرها المحتوم ،حتى تتحول سوريا إلى حاضنة للإرهاب ،ولكنها لم تتوقع الولايات المتحدة أن تتشكل داعش بمهارات عسكرية وتقنيات إرهابية جعلت داعش تهدد المنطقة ،انضم إلى داعش الضباط السابقين الذين سرحهم بول بريمر من الجيش العراقي عام

٢٠٠٣ ولم يستوعبهم المالكي في الجيش بعد تسلمه السلطة ، بل رفض المالكي تشكيل جيش وطني ،فأصبح داعش يجمع بين كونه تنظيما إرهابيا وجيشا عسكريا.

بذلك تعارضت الاستراتيجيات بين الولايات المتحدة والسعودية ،فبدأت الولايات المتحدة تدعم قطر كدولة مقرا للإخوان وكمحور قطري تركي مقابل السعودية ومصر.

أي أن المنطقة دخلت مرحلة إستراتيجية المحاور، بعدما أفشلت السعودية إستراتيجية الولايات المتحدة المعتمدة على قوى التيارات الإسلامية بقيادة الإخوان المسلمين.

تحقق إستراتيجية المحاور للولايات المتحدة عدة استراتيجيات ،منها عدم تحقيق آمال الاتحاد الخليجي الذي تسعى له السعودية ، إلى جانب إضعاف العلاقة السعودية التركية.

لذلك تقف الولايات المتحدة خلف قطر ،ما جعل السعودية تقف خلف البحرين ،ولأول مرة تقوم دولة البحرين في طرد وكيل وزارة الخارجية الأمريكية مالينوفسكي بسبب عقده لقاءات مع جماعات شيعية معارضة ،رأت فيه البحرين تدخلا في الشأن الداخلي، وهو يتعارض مع الأعراف الدبلوماسية ،وهي رسالة بأن السعودية قادرة على تهديد مصالح الولايات المتحدة في المنطقة إذا لم تتوقف عن اللعب على وتر المحاور.

جاء سقوط الإخوان المسلمين في مصر ليبعثر الأوراق السياسية من جديد ، وأصبح هناك محاولة جديدة لإعادة رسم التحالفات الإقليمية القائمة على المحاور بقيادة الولايات المتحدة ، ولكن مع العودة مرة أخرى إلى الحديث عن محور الاعتدال الذي أرادت الولايات المتحدة محوه ولكن بعد تمدد داعش فهي تحتاج لهذا المحور ،ولكن السعودية ستكون شريكة في مواجهة المليشيات الداعشية والإيرانية وليس فقط الداعشية.

تجرأت إسرائيل وأرادت أن تستثمر تلك المحاور على استمرار القتل ما دام القتل بأيدي نظم عربية أكبر خصوصا في سوريا ،وفي نفس الوقت أرادت بعد الأزمة في مصر مع جماعة الإخوان المسلمين وكأنها هي تقوم بدور نيابة عن مصر والسعودية في تحجيم دور حماس باعتبار أنها جماعة تابعة للإخوان المسلمين ،وثانيا اختبارا للإرادة المصرية الجديدة من أجل اللعب على وتر تقسيم العرب ،ولكن ردت السعودية على تلك المزاعم وتلك النوايا في مجلس الوزراء بأن القضية الفلسطينية في قلب السعودية وهي قضية العرب .

بالفعل دخلت أزمة غزة ، أزمة محاور بين المحور القطري التركي الأمريكي ،وبين المحور المصري السعودي ، لكن في النهاية فشل المحور الأول في سحب البساط من الدور المصري ،وأثبتت مصر أنها دولة محورية لا يمكن لا لإسرائيل ولا للمحور القطري التركي الإخواني المدعوم أمريكيا النيل من الدور المصري المدعوم سعوديا.

بعد أسر داعش أمريكيين وقتل أحدهم في سوريا ،واقتحام السفارة الأمريكية في ليبيا التي تعيد مأساة قتل السفير الأمريكي في ليبيا ، بعدما خلصهم الناتو من القذافي ومكنهم من قتله.

تستعد واشنطن للكشف عن إستراتيجيتها لمواجهة داعش ، ولكنها أقدمت على دعم البشمركة بضربات جوية محدودة سريعة لوقف تقدم داعش في العراق وتحييد قوتها ، ودعم الجيش اللبناني بالصواريخ والذخيرة بعد خطف مجموعة من العسكريين من أجل إجبار حزب الله عن التوقف عن دعم نظام بشار الأسد ، وهذا الدعم هو لمواجهة تمدد داعش والجماعات المتشددة التي تقاتل في سوريا إلى لبنان.

وكما خرج المنتصرون والمهزومون من الحرب العالمية الثانية إلى ضرورة التغيير في النظام الاجتماعي ،وأنه لابد أن ينشأ نظام دولي جديد تنتفي معه الفوارق بين الأمم والطبقات ،وأن الوحشية التي يمكن أن ينحدر إليها الإنسان ،وفي الوقت نفسه لديه قدرة على التضامن والتعاطف حتى في ظروف بالغة القسوة.

فمنطقة الشرق الأوسط كذلك هي بحاجة إلى مواجهة وحشية داعش والمليشيات الشيعية ومواجهة بقية الفوارق التي تسببت في تلك المآسي في كافة أرجاء المنطقة .

الواقعية السياسية يمكن أن تجعل من قطر دولة فاعلة بدلا من تصدير المشكلات إلى المنطقة أن تجعلها تصدر الإيجابيات.

نجد أن الولايات المتحدة تستخدم قطر كذراع في التفاوض لإطلاق سراح الجنود الدوليين لدى جبهة النصرة.

فدولة قطرة دولة طموحة يمكن استثمار طموحاتها لصالح دول الخليج ،خصوصا وأن دولة قطر دولة صغيرة هي أكثر تمسكا وحاجة بدول الخليج ، رغم وجود القاعدة الأمريكية فيها ، بسبب أن قطر تخشى إيران نتيجة الخلاف بين البلدين حول غاز الشمال ،يمكن أن تستولي عليه إيران ضمن مقايضات مع الولايات المتحدة ،مثلما وافقت بريطانيا لإيران بالاستيلاء على الجزر الإماراتية الثلاث عام ١٩٧١ قبل الاستقلال .

هل نجحت الولايات المتحدة في نصب مصيدة للقاعدة من اجل القضاء عليهم ؟:

منذ أن بدأت الأزمة السورية قررت الولايات المتحدة فتح باب توافد الجهاديين الذين ينتمون للقاعدة على الأراضي السورية لنصب لهم مصيدة من أجل القضاء عليهم بأيدي إخوانهم المسلمين شارك في هذه المهمة النظام السوري وإيران والعراق دون أن تدفع أي ثمن لقاء محاربتهم الذي كلف الولايات المتحدة مبالغ طائلة وأرواح كبيرة نتيجة احتلالها لأفغانستان والعراق .

بينما النظام السوري من أجل يثبت للعالم بأنه يحارب إرهابيين ساهم بشكل مباشر أيضا في توافد الجهاديين وغض الطرف عنهم ، وساهمت أيضا إيران في تحقيق رؤية النظام السوري ، بينما العراق كان يظن أنه يتخلص من القاعدة عندما يسمح للقاعدة بالتوافد على سوريا من أراضيه ولكنه فوجئ المالكي بأن

التسمية الجديدة كانت دولة العراق والشام مما جعل بعض الجماعات الجهادية في سوريا ترفض مثل تلك التسمية التي تضعها في مأزق وفي مواجهة بدلا من مواجهة النظام السوري فقط .

بل غضت الولايات المتحدة الطرف عن الجماعات الجهادية بل واتجهت نحو مغازلتهم سريا عن طريق سفيرها في سوريا فورد وطيلة فترة الأزمة السورية كانت ترفض الولايات المتحدة دعم الجيش السوري الحر بالأسلحة الفتاكة التي تمكنه من حسم معركته وحتى لا تفوق قوته كثيرا على قوة داعش ليستمر القتال البيني داخل الأراضي السورية .

وفي البداية رفض الجيش السوري الحر مقاتلة داعش لأنها القوة الضاربة التي استطاعت زعزعة النظام السوري في عقر داره وإرباكه في دمشق رغم ذلك فإن النظام السوري لم يوجه ضرباته القاتلة إلا للجيش السوري الحر بشكل مركز وبشكل مكثف وضد كل من قاد الثورة منذ البداية لإضعاف الثورة وإضعاف بنيتها ، بينما ترك داعش تنمو لتربك المشهد السوري لأنه يرى أنها تصب في مصلحة بقاء نظامه اطول فترة ممكنة حتى يتمكن من إدارة الأزمة السورية بمساعدة روسيا وإيران وحزب الله والكتائب التي تسانده والتي تبلغ ٢٥ كتيبة ،كما ساهمت إيران في توصيف المشهد السوري بأنه حرب مذهبية وليست انتفاضة شعب ضد حكومته .

وكانت تتابع الولايات المتحدة الأوضاع داخل سوريا عن كثب وتتابع تحركات داعش في الأراضي السورية وكيف تمكنت داعش من إتباع سياسة التموضع في الأماكن التي حررها الجيش السوري الحر وغادرها للقتال في جهات أخرى ولم يعير الجيش السوري الحر اهتماما كبيرا منذ البداية لداعش بسبب ضآلة الدعم المقدم له من الغرب ومن الدول العربية ولم يجد من تركيا سوى الدعم السياسي واتخاذها منطلقا لأن تركيا حريصة من التورط في الحرب السورية للحفاظ على نموها الاقتصادي وهي كذلك وغيرها من الدول الإقليمية لا تستطيع أن تقدم الدعم للجيش السوري الحر من دون موافقة مسبقة من قبل الولايات المتحدة

بينما داعش تحصل على الدعم من الجماعات الجهادية من جميع المناطق المحلية والإقليمية وأصبحت قوتها أقوى من قوة الجيش السوري الحر مما جعل الولايات المتحدة تنقلب على الجيش السوري الحر بسبب رفضه مقاتلة داعش فامتنعت الولايات المتحدة عن تقديم المساعدات العسكرية واتجهت نحو مغازلة الجماعات الجهادية المعتدلة إرباكا للمشهد السوري وضغطا على الجيش السوري الحر من أجل مقاتلة داعش .

فاستثمرت الولايات المتحدة الأزمة السورية أفضل استثمار وكان من أهمها بث القلق والتوجس في بوتين الذي شن حربا ضروسا ضد المتمردين من المسلمين في الشيشان في أجزاء من القوقاز ، ومن جانب آخر تريد الولايات المتحدة طمانة إسرائيل بأن القاعدة والجهاديين الذين كانوا يستهدفون إسرائيل سوف تجعلهم يقاتلون بعضهم وهم يقضون على القاعدة من دون دفع أي ثمن أو إزهاق أرواح لبث روح الكراهية والانتقام فيما بينهم بعيدا عن إسرائيل والغرب .

وهي تريد تكرار تجربتها في العراق عندما تمكنت من تجنيد الصحوة من أبناء العشائر لمقاتلة القاعدة ونجحت في دحرهم على يد أبناء الصحوة العراقيين واليوم تستعيد الكرة فبدأت عشائر الأنبار تصطدم مع داعش في الرمادي وفي الفلوجة وتستعيد عددا من مراكز الشرطة التي استولوا عليها قبل أن ينسحب الجيش العراقي الذي فض المظاهرات بالقوة في محافظة الأنبار ، وفي سوريا بدأت كتائب الجيش السوري الحر يشن حرب تحرير ضد داعش في شمال سوريا وكأن الولايات المتحدة ترفض أن يقاتل الجيش السوري الحر النظام السوري قبل أن تكمل هي مهمة التخلص من الأسلحة الكيماوية مع النظام السوري التي تستغرق وقتا طويلا.

ولا يمكن أن تسمح الولايات المتحدة حل الأزمة السورية بالحسم العسكري بل بالحل السياسي في جنيف ٢ ، ولكن بعدما يقضي الجيش السوري الحر على داعش كشرط أساسي للحصول على انتقال سياسي في سوريا المستقبل ، وفي نفس الوقت وكأنها قدمت خدمة لروسيا حتى تستجيب روسيا وترضخ للمطالب الأمريكية

في جنيف ٢ ، فأصبحت ورقة الإرهاب تستخدم ضد روسيا كلما خرجت روسيا عن إرادة الولايات المتحدة بسبب أن الولايات المتحدة بعيدة جغرافيا ، بينما روسيا تعاني من أزمة صراع تاريخية وحديثة مع المسلمين في القوقاز داخل أراضيها .

شعرة النووي الإيراني والإرهاب:

الملف النووي الإيراني يشغل الولايات المتحدة عما سواه من ملفات في الشرق الأوسط، لذلك أصبحت ملفات الشرق الأوسط عالقة إلى أجل غير محدد.

تأتي إيران أولا والعالم العربي ثم ثانيا، والدول العربية تقبل مثل هكذا سيناريو رغم أنها تمتلك من أوراق يمكن أن تلعب بها في الملعب الدولي، خصوصا الملف النفطي، ولكن حتى الملف النفطي فإنه تراجعت أهميته عن ذي قبل خصوصا بعد التدفق العظيم من النفط الصخري في الولايات المتحدة.

لكن هناك ملفات أخرى يمكن أن يلعب بها العرب في الملعب الدولي تخيف تلك الملفات الولايات المتحدة خصوصا خشيتها من عودة التنين الصيني والدب الروسي إلى المنطقة العربية وخصوصا إلى منطقة الخليج.

بسبب الملف النووي تضع الولايات المتحدة إيران أولا ثم نراها تتجاهل اتهامات منظمة العفو الدولية لمليشيات عصائب أهل الحق وكتائب حزب الله وسرايا السلام بارتكابها جرائم في حق المدنيين من العرب السنة.

قد تكون هذه الاتهامات نتيجة سباق على الأنبار بين واشنطن وطهران في خليط من العداوات للحصول على النفوذ الأكبر، إيران بمليشياتها، وواشنطن بضرباتها الجوية لمحاربة عدو صنعته الولايات المتحدة لتهديد إيران ولإجبارها على الموافقة بتواجد واشنطن في العراق على الأقل من خلال عسكريين ومستشارين ومدريبين.

دخول عناصر المليشيات الشيعية المدعومة من إيران إلى قاعدة عين الأسد العسكرية في محافظة الأنبار، وهي المرة الأولى التي يتواجد بها عناصر مليشيات شيعية في هذه المدينة التي يمقت سكانها هذه المليشيات بشدة.

وبعد يومين من دخول هذه المليشيات الشيعية إلى الأنبار، أرسل أوباما ١٥٠٠ مستشار عسكري أميركي إلى العراق وتحديدا إلى الأنبار، ويبدو أن عشيرة البونمر التي تدعم الحكومة العراقية وتعرضت لمذبحة على يد داعش هي من طلبت دخول هذه المليشيات، والتي أحدثت شجار بين شيوخ العشائر حول السماح بدخول المليشيات الشيعية بعد رفض الحكومة تسليح العشائر السنية بالسلاح مما أضطرهم إلى القبول بدخول هذه المليشيات كخيار وحيد بعد تخلي المالكي والولايات المتحدة عنهم عندما كانوا في الصحوة وقضوا على القاعدة وحموا الجنود العراقيين والأمريكيين من الاستهداف والقتل.

هناك العديد من العشائر السنية في الأنبار مثل جيش المجاهدين والجيش الإسلامي وكتائب ثورة العشرين ترفض بشدة ما قامت به عشيرة البونمر، وهذه الفصائل اتخذت موقف الحياد من التحالف الدولي ضد الدولة الإسلامية ولم يساعدوا الحكومة بسبب فقدان ثقتها في الحكومة بعدما تخلت عنها في مشروع الصحوات.

عصائب أهل الحق ومنظمة بدر المدعومتان من إيران وسرايا السلام التابعة للصدر انخرطت في القتال في الأنبار ضد الدولة الإسلامية وهو ما اعتبرته الولايات المتحدة خارج عن إرادة الإرادة الأمريكية، وتود أن يبقى الصراع السني الشيعي في العراق وفي المنطقة.

الولايات المتحدة منزعجة من تحقيق قوات الجيش العراقي وبمساعدة من المليشيات الشيعية في تحقيق انتصارات في مدينة تكريت شمال بغداد، ومدينة الجرف جنوب بغداد من دون مساعدة أمريكية ولكن بمساعدة إيران بقيادة قاسم سليماني قائد قوات القدس الإيرانية، ولكن تعتبره الولايات المتحدة زيادة النفوذ الإيراني في العراق على حساب النفوذ الأمريكي، وفي نفس الوقت تعالج إيران أخطاءها التي دمرت المنطقة لاستعادة جزء من سمعتها التي فقدتها في الفترة الماضية، مثلما نجد أن حزب الله في لبنان يجند مسيحيين وسنة ودروز لمواجهة خطر داعش تحت يافطة دعائية (مصيرنا واحد وعلينا التصدي معا)

لمقاتلة السنة بالسنة لأخذ استراحة محارب بعدما تكبد في الفترة الماضية خيرة قادته.

هذا التنافس بين إيران وأمريكا في العراق جعل الولايات المتحدة تقدم على ضربة جوية كبيرة في مدينة القائم الواقعة غرب الأنبار استهدف اجتماعا لقادة داعش حتى بعد ضربات جوية غير موجعة للتنظيم في الفترة الماضية لاستعادة مكانتها لدى العشائر السنية في الأنبار خصوصا بعد المذبحة التي حدثت لقبيلة البونمر رغم ذلك فإن العشائر السنية منقسمة بين الولايات المتحدة وبين الحكومة العراقية المدعومة بالمليشيات الشيعية المدعومة إيرانيا.

فوجود الجنود الأمريكيين وعناصر المليشيات الشيعية في القواعد العسكرية ليس هو تعاون بقدر هو تنافس وصراع، ولكن تبقى شعرة النووي الإيراني يجعل أمريكا تتغاضى عن مثل هذا التنافس ولن تحوله إلى صراع على أمل أن يتوصل أوباما إلى اتفاق مع طهران حول النووي الإيراني كتعويض أو إنجاز وحيد يوازن طوفان فشله، لذلك الرسالة التي أرسلها أوباما لخامينئ توضح بأن أوباما يقايض إيران الملف النووي مقابل الوضع في سوريا، أي أن الولايات المتحدة تلعب بين نقيضين بين أولوية السعودية بإزاحة الأسد وأولوية إيران بإبقاء الأسد، بينما روسيا بدأت تقتنع بنهاية دور الأسد.

ترعرعت داعش داخل سجن أميركي في العراق يسمى بوكا، وكان البغدادي زعيم التنظيم أحد خريجيه قضى فيه خمس سنوات وتسعة من كبار قيادات داعش قضوا بعض الوقت في نفس السجن ، أي أن سجن بوكا تحول إلى جامعة إرهابية صناعة بيد المخابرات الأمريكية، ولعب السجانون الأمريكيون دورا كبيرا في تهيئة بيئة الإرهاب، ونحو ٩٠ في المائة من خريجين هذا السجن عادوا للإرهاب.

وفر سجن بوكا بيئة فريدة تتيح تحول السجناء نحو الإرهاب، وشكل السجن فترة مهمة في مشوار تطور داعش لذلك كتب جيمس سكيلر في رسالة عبر تويتر مع تزايد الاهتمام حول الفترة التي قضاها البغدادي في سجن بوكا قائلا (الكثير

منا داخل سجن بوكا ساوره القلق من أنه بدلا من احتجازنا للسجناء فإننا واقع الأمر كنا ندير مفرخة للمتطرفين).

ترى الولايات المتحدة أنها تعمل مع ٤٠ دولة في قضايا تتعلق بالجريمة ومكافحة الإرهاب، والعدل الأمريكية ترسل ٧٠ مدعيا إلى ١٤ دولة لملاحقة المقاتلين الأجانب.

يبدو أن أمريكا مرتبكة وتخطط بعشوائية وهو يعتبر كارثة لن يسلم منه أحد، خصوصا حينما لا يملك أحد حل استراتيجي، وينطبق على الغرب الصيحة التي أطلقها تودوروف في كتابه (الخوف من البرابرة ..ما وراء صدام الحضارات) قائلا (الخوف من البرابرة يجعلنا مثل البرابرة) فتتصرف أمريكا في الشرق الأوسط مثل البرابرة.

المالكي وإيران وروسيا أوهموا أمريكا أنهم يصطفون إلى جانبها في محاربة الإرهاب:

عاد المحافظون الجدد إلى الحياة ثانية بعد أزمة العراق الحالية ، ووضعوا اللوم على أوباما في الفوضى التي تحدث في العراق ، أمثال ديك تشيني نائب بوش وبول وولفووتز ووبليام كريستول وروبرت كاجان وهم من مشروع أمريكا في القرن الأمريكي الجديد في التسعينات .

في الماضي قدم المحافظون الجدد أنفسهم على أنهم الطليعة لحظة القطبية الأحادية ، أما اليوم فيدعون أن أمريكا في حالة تراجع نتيجة الصعود الاقتصادي للآخرين الذي قلل نسبيا من سيطرة الولايات المتحدة ، وكأن العالم يتحدى السيطرة الأمريكية ، جعلت أوباما بلا حول ولا قوة .

فشل مشروع الولايات المتحدة في السيطرة على مكامن الطاقة في منطقة الأورو – آسيا التي تعني السيطرة على العالم وهي التي تسببت في غزو الولايات المتحدة العراق ،الذي هو مضمون كتاب المفكر السياسي الأمريكي زبيجنيو بريجينيسكي في كتابه خارج السيطرة عام ١٩٩٢ .

سقوط مشروع الولايات المتحدة في العراق بعد سحب قواتها من العراق وتسليمه لإيران ، كما فشل مشروع استثمار الولايات المتحدة في التنظيم الإخواني عبر وكلائها في المنطقة تركيا وقطر في مصر قلب العروبة وفي تونس وليبيا ودول أخرى ، مما جعل تركيا وإيران تقدمان على إبرام تحالف جديد في ٩ يونيو ٢٠١٤ ، ووقعت تركيا وإيران قبل يوم واحد من الحراك في العراق على سبع اتفاقيات .

روسيا كانت قلقة من هذا التحالف ، كما أنها قلقة من هرولة إيران خلف الولايات المتحدة بعد شعور إيران بتهديد جيوسياسي وجودي لمحاصرة النفوذ السعودي الذي بدأ يحقق نتائج ملموسة باعتبار أن الولايات المتحدة دولة براغماتية تبحث عن مصالحها وليس فقط عن صداقاتها .

فأصبح لتركيا ولإيران ولروسيا شهية مفتوحة لكل منها في الحراك العراقي القائم في العراق نتيجة عدم دقة التقييم الأمريكي للموقف الدائر في العراق مرة أخرى ، وتوهم كل من إيران وروسيا بأنهما شركاء الولايات المتحدة في محاربة الإرهاب لتعويض خسائرهما الجيوسياسية التي فقدوهما نتيجة تغيرات جيوسياسية .

نتيجة التهديد الإستراتيجي الوجودي لإيران فإنها تحرص على تدويل أزمة العراق التي كانت وراءها حتى يصبح العراق دولة فاشلة على غرار أزمة سوريا ، ويتكرر نفس السيناريو السوري في العراق خصوصا وأن ثوار العراق لا يمتلكون أسلحة فتاكة ، فيبدأ المالكي بدعم إيراني وروسي كما في سوريا بالقصف الجوي لضرب ثوار العشائر.

وتريد إيران أن يتحول العراق إلى سورية ثانية حتى يضمنان روسيا وإيران عدم انهيار نظام الأسد ، وحتى يمنعان قيام دولة سنية تابعة للسعودية في سوريا ، ويضمنان كذلك بقاء مصالحهما ونفوذهما الذي يمكن أن يخسراه في حالة قيام دولة على أنقاض نظام الأسد .

هناك هلع شديد من تشكل المحور الرباعي في باريس بين أمريكا والسعودية والإمارات والأردن خصوصا بعد الترحيب في الكونغرس بطلب أوباما تخصيص نصف مليار دولار للمعارضة السورية المعتدلة .

إيران قلقة بعد فشل المالكي الذي كرس لنفسه في الفترة الماضية أن يحكم العراق لعشر سنوات أخرى مقبلة ، بعدما دعمته الولايات المتحدة دبلوماسيا ، وباعته أفضل أنواع أسلحتها ، صواريخ هلفاير وطائرات درون دون طيار ، وطائرات أباتشي العمودية.

وحاول المالكي شراء رضى الروس بشراء اكبر صفقة أسلحة بقيمة ٤,٣ مليار دولار، وحرك قواته تجاه الأنبار بدعوى محاربة القاعدة من أجل إرضاء الولايات المتحدة ، التي كانت القشة التي قصمت ظهر البعير .

نجحت الولايات المتحدة في استنزاف إيران هي وحزب الله في سوريا ، واستنزاف إيران في العراق ، وورطت إيران المالكي في دعم نظام بشار الأسد ، بينما ورطت الولايات المتحدة المالكي في محاربة الأنبار بدعوى محاربة الإرهاب ، الذي يهدد هوية الدولة العراقية لصالح دول أخرى مما يستلزم محاكمته نتيجة التفريط في الحفاظ على هوية الدولة .

أصبح المالكي ألان في ورطة ، بين مراهنته على الحل العسكري قبل السياسي ، وبين تدخل المرجعية في اختيار رئيس غير المالكي لإخراج العراق من أزمته التي تسبب فيها المالكي .

خصوصا بعد اتهام إيران الولايات المتحدة بتقصيرها في محاربة الإرهاب تأتي في إطار عزمها على التدخل لدعم المالكي ، وأكد هذا العزم تصريح كمال خرازي وزير خارجية سابق ومستشار خامنئ حين قال أن إيران ستتحرك فورا حين تطلب منها حكومة المالكي ، ويعتبر هذا التحرك نهاية أي تفاهم إيراني سعودي .

قرأت الولايات المتحدة التحالف السعودي المصري الذي يعد تاريخي الذي يمكن أن يحقق حفظ الأمن الاستراتيجي العربي الذاتي ، يعده البعض شبيها بلقاء الملك

عبد العزيز بالرئيس الأمريكي عام ١٩٤٥ استطاع أن يحرر البلدان العربية من الاستعمار الإنجليزي ، فاللقاء بين الملك عبد الله والسيسي قادر على أن يحرر البلاد العربية اليوم من العبث الإيراني بالمنطقة العربية .

تركيز إيران على اليمن لتعويض خسائرها في العراق:

المشهد الدائر في اليمن نتيجة تركيز السعودية على أولوية إعادة ترتيب البيت الخليجي ثم حماية البحرين من الاستهداف الإيراني حتى نجحت في تحييد المعارضة التابعة لإيران.

خصوصا أن السعودية تصارع على عدة جبهات، الجبهة الإيرانية، وجبهة حركات الإسلام السياسي، وجبهة الإرهاب، لأنها حريصة على استقرار مصر العمق الاستراتيجي لدول الخليج حتى لبقية الدول العربية قاطبة.

ولا ينفصل ما يحدث في ليبيا بعد حصول التيار الإسلامي على ٢٠ مقعدا في الانتخابات الأخيرة من بين ٢٠٠ مقعدا التي لم تكن نتائج الانتخابات مريحة لهم، فاتجهت المليشيات الإسلامية إلى محاصرة المحكمة الدستورية لفرض واقع جديد.

بعد أن ضمنت السعودية الحفاظ على أمن البحرين بعد الانتخابات الأخيرة والتي لم تحصل جماعة الإخوان المسلمين سوى على مقعد واحد من إجمالي أربعين مقعدا، لن تفرط في إنقاذ العراق، والتنسيق معه في مواجهة الإرهاب، الذي تسببت فيه سياسات المالكي الإيرانية.

توسعة رقعة الإرهاب نتيجة سياسات المالكي الاقصائية، ونتيجة ممارسة سياسات المحاصصة، واتهام السنة في العراق بالإرهاب، ولكن بعد استيعاب السياسيين العراقيين من كافة الكتل السياسية، والمرجعيات الدينية خصوصا الشيعية خطر السياسات الإيرانية على العراق، وبدأت تحرص على التنسيق المشترك مع السعودية ومع بقية دول الخليج لمواجهة الإرهاب الذي ضرب العراق والمنطقة.

اكتشف العراق أنه يخدم المشروع الإيراني الطائفي، وهو أول من اكتوى بنار المشروع الإيراني، وهي فرصة وجدتها السعودية لعودة العراق لبيته العربي، ولن توصد الأبواب تجاه مساعدته في الخروج من مأزق الإرهاب الذي وضعته فيه إيران، رغم أن إيران تحاول أن تظهر بمظهر المدافع عن المناطق الشيعية في العراق بقيادة قاسم سليماني، ولكن العراقيين لم تعد تنطلي عليهم مثل تلك التحركات، ولكنهم لا يستطيعون التحرر الكامل من التبعية الإيرانية بسبب أن لدى إيران توغل عميق، وتشرف على مليشيات شيعية وهي التي تحركها لتنفيذ مشروعها القومي.

تعتبر إيران التنسيق والعمل المشترك بين العراق ودول الخليج وعلى رأسها السعودية خسارة إستراتيجية لها، قد تقود إلى خسائر أخرى لها في المنطقة، فركزت على اليمن باعتراف طهران على لسان مساعد وزير الخارجية في الشؤون العربية والأفريقية في ٢٠١٤/١٢/١٠ قوله أن بلاده (اليوم الأكثر نفوذا في المنطقة ، وتستخدم هذا النفوذ لضمان أمنها القومي ومصالحها القومية وأمن المنطقة) بل أكدت وكالة أنباء الجمهورية الإيرانية (إرنا) عن عبد اللهيان إن إيران استخدمت نفوذها في تطورات اليمن لما يضمن الوحدة الوطنية والوفاق بين الفصائل اليمنية، إيمانا منها بأن الأمن المستدام في اليمن له تداعيات مباشرة على الأمن المستدام في منطقة الخليج برمتها.

استولى الحوثيون على صنعاء نتيجة تفاهم بينهم وبين عدوهم السابق علي عبد الله صالح الذين دخلوا معه في ستة حروب، ولكن يريد علي عبد الله صالح أن ينتقم ممن انقلبوا عليه في الثورة اليمنية، أي استولى الحوثيون على صنعاء نتيجة تفكك الكتل السياسية قد يكون تجنبا لحرب أهلية تجنبه الرئيس هادي.

لكن بعد استهداف علي عبد الله صالح من قبل مجلس الأمن وفق البند السابع، كما وجد حزب الإصلاح نفسه في حالة ضعف، فمن مصلحة الحوثيين التحالف من جديد مع حزب الإصلاح، والقبول بالأمر الواقع بعدما وجد الاصلاح أن جسده ممزق خصوصا بعدما ذهاب أذرعهم العسكرية المثلة في علي محسن الأحمر

وأولاد الأحمر، بعد أن أدرك الإصلاح، أن إرادة الدولة هي التخلص من قوة الإصلاح، وتفكيكها عن طريق الحوثيين، لكن أصبح الوضع السياسي في اليمن محتقن ومعقد، وأدى إلى ظهور خريطة سياسية جديدة، خصوصا في ظل تردد دولي وضبابية خليجية نتيجة ترتيب الأولويات لدى دول المجلس.

الجميع يرحب بأي اتفاق سياسي، وما حصل استراحة محارب، ولكن إيران استغلت الوضع ووجدتها فرصة للتدخل ولتنفيذ أجندة راسخة في اليمن ودعم الحوثيين بحيث يصبحوا حزب الله في اليمن وإشعار دول الخليج بأن الأزمة اليمنية لا يمكن أن تنحل من دون إيران مثلما يحدث في لبنان.

الإصلاح يريد تشكيل جبهة جديدة، والحصول على مكتسب سياسي جديد لوقف تمدد الحوثيين، من خلال إعادة إنتاج أعدائه من جديد، وسبق تحالف الاصلاح مع الحوثيين ضد علي عبد الله صالح زمن الثورة، وإدراك الإصلاح أنه لا يمكن أن يقضي أحد الطرفين على الآخر.

لكن يواجه حزب الإصلاح، ويواجه الدولة، بأن الحوثيين يمتلكون عقيدة مخالفة لعقيدة بقية الكتل السياسية في اليمن، بجانب امتلاكهم السلاح، ومثل تلك العقيدة مدعومة من إيران، ولديها مشروع لا يختلف عن المشروع في لبنان، خصوصا وأن الحوثيين الذين وقعوا على اتفاقية السلم والشراكة لم يلتزموا ببنود الاتفاقية، وأهم بند كان سحب المسلحين من العاصمة.

في ظل هذا المشهد، وضعف سيطرة الدولة على الأطراف بسبب تأخرها في معالجة الوضع السياسي أو فشله، تزداد القاعدة قوة وتنظيما، خصوصا بعد دخول عنصر جديد وهو العنصر الطائفي مما يؤدي إلى وقف المد الشيعي الحوثي، وبالذات في مأرب التي ترى القبائل بأنها تدافع عن شهامتها، ولن تقبل أن يستفزها المد الشيعي في ظل انهيار جسد الدولة نتيجة مطامع طائفية متقاطعة مع مطامع إقليمية، خصوصا بعد بذل الحوثيين جهودا حثيثة لاقتحام مدينتي مأرب النفطية والبيضاء، وهما آخر محافظتين في شمال البلاد خارج سيطرة الحوثيين الشيعية.

أدركت النخب السياسية في اليمن مدى دقة الوقت التي تمر به اليمن، بعد أن تحول اليمن إلى أداة إلى قوى خارجية في أرض اليمن، خصوصا بعدما سيطر الحوثيون على كامل مؤسسات الدولة الأمنية والعسكرية، ويجندون عناصرهم باسم اللجان الشعبية.

أصبح كبار السياسيين والعسكريين شبه محاصرين، حتى سلطة الرئيس هادي باتت برتوكولية، وعندما فرغت قمة الدوحة خرجت ببيان حول اليمن يطالب البيان بانسحاب الحوثيين من العاصمة ومن كافة المناطق التي استولوا عليها، لكن كان رد الحوثيين بأن دول الخليج لا تدرك الواقع على الأرض.

إيران ترعى اتفاقية مخالفة للمبادرة الخليجية التي تتكون من ستة محافظات فيدرالية إقليمين للجنوب، وأربعة للشمال، لكن تحفظ الحراك الجنوبي على مخرجات الحوار، وكذلك الحوثي لأنه يريد ضم حجة باعتبارها ميناء على البحر الأحمر والجوف إلى محافظة ازال.

بينما الاتفاقية التي ترعاها إيران يمن كونفيدرالي مكون من محافظتين، خصوصا مع سالم البيض الجنوبي الذي يتبع إيران، وبذلك تكون هناك سيطرة تامة لإيران على اليمن.

علاقة اليمن بالسعودية علاقة إستراتيجية، وهي دولة من دول شبه الجزيرة، ولن تستطيع إيران دعم التنمية الاقتصادية، وهي تعاني وضعا اقتصاديا سيئا نتيجة العقوبات الغربية على النفط الإيراني، ولولا الدعم الخليجي للاقتصاد اليمني عام ٢٠١٤ لانهار الاقتصاد اليمني.

لا تزال السعودية الدولة الوحيد القادرة على رعاية مصالحة بين جميع الأطراف اليمنية التي لها علاقة مباشرة مع جميع الأطراف،وحتى الطرف الحوثي باعتباره طرفا يمنيا بعد أن يتحول إلى حزب سياسي وطني.

لن تسمح السعودية لطرف مدعوم إيرانيا أن يسيطر بمفرده على الساحة اليمنية دون بقية الأطراف، وهو مخالف لبنود الحوار الوطني، واتفاقية السلم والشراكة الذي تفادى حربا أهلية يمكن أن تدخل اليمن في حرب أهلية يحول

اليمن إلى منطقة قرصنة بحرية على غرار الصومال يهدد التجارة الإقليمية والعالمية، ولن يرضى المجتمع الدولي بحدوث مثل ذلك.

يمتلك اليمن موارد كبيرة جدا، فالنفط في الجنوب، والغاز في مأرب يتم تصديره عن طريق شبوة في الجنوب، ويمتلك اليمن ٢٠٠ جزيرة بحدود بحرية أكثر من ٢٥٠٠ كيلو متر يمكن أن تؤسس قاعدة أساسية للسياحة التي تدر على اليمن أموال كبيرة.

هي عوامل وحدة أكثر منها عوامل انفصال، تجمع عليه معظم القوى السياسية في اليمن، لأن اليمن يقع في منطقة إستراتيجية، فاستقراره مصلحة للمنطقة الإقليمية وللعالم بأسره، فلن تقبل السعودية أن تلعب إيران في منطقة إستراتيجية، خصوصا بعدما ضمنت حفظ الأمن الخليجي وتماسكه بعدما ضربته رياح التفكيك، فستعود السعودية إلى اليمن لإدارة الأزمة فيه.

الفصل السابع

حصر الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط

حتى أصبح لاعبا إقليميا

العالم الغربي حصر الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط لحماية نفسه :

منطقة الشرق الأوسط منذ القدم ساحة صراع بين القوى الكبرى في العالم، فبعد الحرب العالمية الثانية كانت منطقة الشرق الأوسط منطقة صراع بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة زمن الحرب الباردة، وانقسمت المنطقة بين معسكرين، معسكر شرقي ومعسكر غربي، تبدلت الولاءات خلال تلك الفترة، مثلما حدث في مصر زمن الرئيس عبد الناصر بدل ولاء مصر من المعسكر الغربي إلى المعسكر الشرقي، بينما تغير الوضع زمن السادات من المعسكر الشرقي إلى المعسكر الغربي.

استخدم الغرب التيار الجهادي في تحرير أفغانستان من الإتحاد السوفيتي، وفي الجانب الآخر أيد الغرب الثورة الإسلامية الخمينية لتدمير المنطقة العربية، وتورط صدام حسين الدخول في حرب ثمانية أعوام مع إيران.

انهار الاتحاد السوفيتي نتيجة استنزافه اقتصاديا، وبدأ عهد جديد لعودة القوة الأحادية للولايات المتحدة، وظهرت نظريتي صراع الحضارات لهنتيجتون ونهاية التاريخ لفوكوياما، ولكن صدام حسين لم يستوعب التغيرات العالمية فاحتل الكويت حتى تم إخراجه من خلال تحالف دولي وهي الجولة الثانية للقضاء على القوة العراقية الناشئة التي كان يحلم بها صدام حسين.

بدأت مرحلة انهاء قوة العراق خصوصا بعدما استهدف الإرهاب الأراضي الأمريكية وعدد من التفجيرات في دول أوربية في أسبانيا وفي بريطانيا، فأرادت الولايات المتحدة نقل وحصر الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط دون أن ينال أو يهدد حليفتها إسرائيل.

وجدت الولايات المتحدة بغيتها في إشعال الفتنة الطائفية بين أكبر مذهبين في العالم الإسلامي بين السنة والشيعة من جهة وبين المعتدلين والمتطرفين من جهة أخرى حتى تتحول إلى حرب شاملة لا يعرف المقاتل يحارب من وهل هذه حربه التي يقاتل فيها.

كانت البداية في احتلال العراق، وتفكيك الجيش العراقي، وتسليم السلطة للشيعة وإيهامهم بأنهم الأغلبية، وتشكيل مليشيات شيعية بحجة حماية نفسها من الإرهاب السني، تقتل تلك المليشيات التي أشرف على نشأتها إيران على الهوية، وتنتقم من حقبة صدام حسين ومن أعوانه، فظهرت القاعدة في العراق امتداد للقاعدة التي كان مركزها في أفغانستان وتم تشتيتها بعد غزو أفغانستان.

اضطرت الولايات المتحدة إلى تشكيل الصحوة من أبناء العشائر السنية لمقاتلة القاعدة التي تمكنت من القضاء على القاعدة، ولكن المكون الشيعي بقيادة المالكي المدعوم إيرانيا رفض دمج الصحوة في الجيش، بل احتفظ المالكي بمنصبي وزير الدفاع والداخلية في الفترة الثانية من سلطته.

وجدت الولايات المتحدة الثورات العربية فرصتها في استكمال تنفيذ مخططها في نقل وحصر الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط، ووجدت الولايات المتحدة سوريا المنطقة المفضلة لها لتنفيذ هذا المخطط مستفيدة من عدد من العوامل التي ساهمت في تنفيذ مخططها في ظل غياب جيش عراقي وانشغال الجيش المصري بالوضع الداخلي والخلاف بين تركيا والسعودية ومصر حول تيار جماعة الإخوان المسلمين.

ودخل على الخط الملف النووي الذي فرض على الولايات المتحدة أن تبقى سوريا منطقة لا غالب فيها ولا مغلوب، وترك الجميع يتصارع في تلك المنطقة، وبدأت الجماعات الجهادية تفد من الدول الغربية للمشاركة في القتال في تلك المنطقة من أجل الجهاد، وكأن الغرب أراد أن يفرغ منطقته من المتشددين والتخلص منهم الذين يمكن أن يتحولوا إلى خلايا نائمة قادرين على تهديد المجتمعات الغربية، وتضمن في الأغلب أن يتم القضاء عليهم في الحرب على الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط.

في نفس الوقت يعتقدون أن الإعلام الذي ينقل أخبار الجماعات الجهادية وذبحهم للرهائن الغربية فرصة أن يحد من انتشار الإسلام في بلدانهم، بينما انتشر الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ أكثر من قبل، لأن الشعوب الغربية أصابها الذهول وأرادت أن تتعرف على هذا الدين الذي أشاع الإعلام الغربي أنه يدعو للإرهاب.

لكنهم وجدوا أن هذا الدين لا يدعو للإرهاب، وأن الإرهاب لا دين له، بينما دين الإسلام دين سلام، فدخل في هذا الدين أفواجا كثيرة حيرت كثير من المحللين والسياسيين الذين كانوا دائما قلقين على حماية العالم الغربي من الإسلام، رغم إيمانهم بعلمانية الدولة التي تحمي ممارسة الشعوب لأديانهم، والتي كانت فرصة لانتشار هذا الدين العظيم.

مراكز البحوث في الغرب، وخصوصا في أمريكا وجدت أن ضعف الدولة باب لنشأة وتكون الجماعات المتطرفة باسم الإسلام حتى يقتل المسلمون بعضهم بعضا، لأن الحكومات الضعيفة لن تستطيع القضاء على التطرف خصوصا ف يظل انهيار الدولة.

التقى مسرحين لنشأة الإرهاب كان الأول في العراق وسبق أن اتهم المالكي سوريا في فترته الأولى أن الإرهابيين يأتون من سوريا، ولكن بعد الثورة السورية انضمت سوريا إلى العراق كساحة جديدة متصلة، وأصبحت منطقة واسعة من الفراغ الإستراتيجي تكونت فيها داعش والنصرة وغيرها من جماعات متعددة متطرفة

ومتشددة خصوصا في ظل استمرار الصراع دون حل نتيجة رفض الولايات المتحدة دعم الجماعات المعتدلة حتى تبقى المنطقة منطقة قتال متواصل.
قرأت مراكز البحوث التطرف في التاريخ الإسلامي، وخصوصا حول تاريخ الخوارج، مثل قتل الخوارج عبد الله بن خباب حينما سألوه عن رأيه في علي بن أبي طالب فأمتدحه ولكن قالوا له إن المصحف الذي تحمله يأمرنا أن نقتلك فقتلوه على الفور ومعه زوجته التي كانت حاملا فبقروا بطنها تحت ستار التقرب إلى الله، وقتلوا كل من لم يكون على خطهم السياسي والديني، مثل المجازر التي يرتكبها داعش اليوم في العراق وفي سوريا، ويرتكبون إعدامات جماعية تحت حجج عديدة، وقامت بارتكاب مجازر جماعية لقبائل البونمر في الجزيرة وصل عددهم إلى ١٥٠ من أبناء القبيلة، وفجرت بيوت لعوائل قبيلة البونمر في محافظة الأنبار، لأن قبيلة البونمر طالبت الحكومة العراقية بإرسال أسلحة للدفاع عن نفسها، ولكن لم تلبي الحكومة العراقية من أجل تأديب مثل هذه القبائل السنية بسبب الثورات التي قادتها ضد المالكي، وكذلك كانت فاعلية ضربات التحالف تثير التساؤلات أيضا.
أي أن الغرب يرعى التطرف بطرق مستترة وبطرق استخباراتية وفي نفس الوقت يدعي محاربتها، وتصريحاته غامضة ومتفاوتة حول فترة القضاء على الإرهاب الذي شارك تفي صنعه بأنه حتاج إلى عشر سنوات، وتارة تقول أنه يحتاج لسنة، وترك الجميع يقاتل الجميع، الجيش الحر يقاتل داعش والنصرة، والنصرة تحارب حزب الله والنظام السوري بدت الأوراق مختلطة ومتضاربة وغير واضحة ونجد المشرف على التحالف ألن يقول أن تدريب الجيش السوري الحر لا يقصد به القضاء على نظام الأسد وتارة يقول أن نظام الأسد لا مكان له وأن تدريب الجيش السوري الحر كفيل بالقضاء على نظام بشار الأسد.
تزامنت هذه الفوضى لحماية الغرب من الإرهاب بعد محاصرته ونقله إلى منطقة الشرق الأوسط وحماية امن إسرائيل، خصوصا بعد زوال الجيشين العراقي

والسوري، وانهيار قوى حزب الله نتيجة القتال المذهبي التي تقوده إلى جانب النظام السوري، والقتال وبين المعتدلين والمتشددين في جبهات متعددة.

اتجهت الولايات المتحدة الآن إلى تكوين الجيش الإلكتروني الأميركي من أجل التسلل إلى عشرات المواقع المتشددة يوميا، وتعتبر داعش عدوها الأول الذي شاركت في نشأته في الحاضنة السورية والعراقية نتيجة المحاصصة التي مارستها الحكومات العراقية المتعاقبة وغياب جيش عراقي وطني.

لكن يبدو أن الولايات المتحدة بدأت تفقد السيطرة على منطقة الشرق الأوسط بعد الصدمات التي تلقتها وتلقاها العالم في اليمن، والضربات الإرهابية للجنود في مصر، وبدأت تضرب روح أميركا في داخلها، وفقد بريقها خارج الولايات المتحدة جراء الأخطاء القاتلة التي ترتكبها إدارة أوباما التي أصبحت أكثر من أخطاء جورج بوش الابن، الذي كان ضابطا لإيقاع المنطقة، ولم يسمح لها بهذا الانفلات الغير مسيطر عليه، بعدما دخل العالم في فوضى حتى أصبح المصير المحتوم للمنطقة.

يقود الغرب الآن جولات من المفاوضات مع إيران من جهة حول المفاعل النووي، وبين روسيا بشأن الإمدادات من الغاز من روسيا عبر أوكرانيا، ربما بات العالم يواجه وضعا صعبا غير مسبوق على صعيد التوازنات الدولية القائمة على مبادرات إقليمية لمواجهة الأخطار التي تحدق بالجميع، وهي الأخطار التي أشعلتها الولايات المتحدة في المنطقة، ولكن هل الولايات المتحدة على دراية بأبعاد تلك الأزمات التي أشعلتها؟.

لا زالت الدول الإقليمية تستخدم كأداة صراع، ولم تعد تعي مثل تلك المخاطر وأبعادها على منطقة الشرق الأوسط، ولا زالت كل دولة إقليمية تبحث عن مصالحها الذاتية، بل ومستمرة في المشاركة كأداة في تأجيج الصراع، بدلا من البحث عن توافقات للحد من تلك الاضطرابات بشكل جماعي بعيدا عن المشاريع والمصالح الذاتية.

الإرهاب من قلب الصراعات الدولية إلى قلب الصراعات المحلية:

بعد استيلاء الشيوعيين على أفغانستان في عام ١٩٧٨ تمهيدا لغزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان في عام ١٩٧٩ بحجة وقف المد الإسلامي ، بينما شعرت الولايات المتحدة بأن الغزو تهديد بالوصول إلى المناطق الأكثر غنى بالنفط في الخليج.

مما اعتبر جيمي كارتر بأن التوغل السوفيتي أكثر تهديدا للسلام العالمي منذ الحرب العالمية الثانية ،وفرضت الولايات المتحدة حظرا على تصدير السلع والتكنولوجيا المتقدمة إلى الاتحاد السوفيتي من الولايات المتحدة.

لمواجهة هذا التمدد ولوقفه دعم الغرب الثورة الإيرانية في نفس العام ١٩٧٩ ، ودعمت الجهاد الإسلامي في أفغانستان ضد السوفيت ،لكن زامنها تصاعد الحركات الاصولية المعارضة للغرب والمستخدمة للإرهاب منذ العقد الثامن من القرن الماضي ،جعلت من منطقة الشرق الأوسط منطقة توتر وعنف وتقلب خصوصا بعد اجتياح إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ والتوتر بين الباكستان والهند وأزمة الرهائن الأمريكيين في إيران.

اكتفت الولايات المتحدة بتحييد الجيوش العربية في المواجهة مع إسرائيل باتفاقية كامب ديفيد ،ولكن بدأت مرحلة المقاومة ،ومرحلة اختطاف المقاومة من قبل أطراف عديدة ،كان أبرزها نشوء محوري الممانعة مقابل محور الاعتدال.

دخلت إيران وتركيا أطرافا رئيسية تستخدم الدول العربية أذرع لها في هذا الصراع ، مثل سوريا وقطر، وانقسمت المقاومة الفلسطينية نفسها بين تلك الأطراف المتصارعة على القضية الفلسطينية ، أجج التطرف والتشدد ضد الأنظمة العربية التي تخلت عن واجبها تجاه القضية الفلسطينية ،واكتسبت تركيا وإيران مكانة على حساب النظم العربية مما عزز الانقسام في المنطقة وعزز الصراع وعزز التشدد والتطرف بين الأطراف المتصارعة.

وبعد نهاية الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتي اتجه صدام حسين إلى غزو الكويت وتم إخراجه من الكويت من خلال تحالف دولي وعربي ،وبدأت مرحلة إضعاف العراق كقوة اختل موازين القوى في المنطقة لغير صالح دول الخليج ولكنه كان في صالح تمدد إيران في المنطقة.

أدى إلى زيادة تصاعد موجة المد الأصولي احتجاجا على تواجد القوات الأمريكية في الخليج ،ومنذ ذلك الوقت ظهرت القاعدة وبدأت توجه عملياتها ضد مصالح الولايات المتحدة في الخارج باستهداف البارجة كول واستهداف القنصلية الأمريكية في كينيا حتى تحولت القاعدة إلى استهداف برجي التجارة داخل الولايات المتحدة عام ٢٠٠١ .

بدأت مرحلة جديدة من محاربة الإرهاب، وقاد بوش تحالفا دوليا لضرب القاعدة في أفغانستان في عام ٢٠٠١ ، لكن لم يتمكن بوش من بناء تحالف دولي في غزو العراق في عام ٢٠٠٣ ، ودخلت الولايات المتحدة مرحلة جديدة من التعامل مع المنطقة خصوصا بعدما أطلق بوش عبارة لماذا يكرهوننا بعد ضربي برجي التجارة عندها عكفت مراكز الأبحاث في الولايات المتحدة للبحث عن إجابات لهذا السؤال.

وكان من أبرز مراكز الأبحاث في الولايات المتحدة التي قدمت دراساتها للإجابة على هذا السؤال ،مؤسسة راند ومعهد هدسون ومركز كارنيغي بالإضافة إلى عدد كبير من المجلات المتخصصة التي قدمت توصياتها لمعالجة النظرة السلبية تجاه الولايات المتحدة ،ولكن تعاملت مراكز الأبحاث مع تلك النظرة على أساس أن الولايات المتحدة قوة عظمى أحادية في ذلك الوقت، وبنت كثير من دراساتها على نظريتي صراع الحضارات لهنتجتون ،ونظرية نهاية التاريخ لفوكوياما اللتان ظهرتا بعد نهاية الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتي وتحول الولايات المتحدة إلى قوة عظمى أحادية.

قدمت تلك التوصيات والدراسات على شكل مبادرات ومشاريع وخطط وبرامج للحكومة المركزية، من أجل إعادة العلاقات مع الشعوب العربية ،حتى تحمي أمريكا نفسها من تكرار مثل تلك العمليات ،أي ضرب برجي التجارة عام ٢٠٠١ .
توصلت أغلب الدراسات إلى أن السبب الرئيسي في الإرهاب الموجه نحو الولايات المتحدة بعد بناء دراساتها على مسلمة أن الولايات المتحدة تدعم أنظمة قمعية ضد شعوبها ولم تكن فرضية يتم اختبارها.
ما جعل مثل تلك الدراسات موجهة من أجل دعم الولايات المتحدة لإسقاط أنظمة عربية ، وبالفعل أسقطت الولايات المتحدة نظام صدام حسين ،ولكنها سلمت السلطة للشيعة إيذانا بتحويل الصراع الموجه ضدها إلى صراع محلي مذهبي.
أقامت الولايات المتحدة علاقة وثيقة مع قادة تيارات تمثل الشعوب العربية ، قد تكون من صنعها لإقناع الشعوب العربية بأنها ضد الأنظمة القمعية ،وأنها تدعم الديمقراطية في المنطقة ،وكان لديها اتصالات مباشرة مع قيادات دينية باعتبارها القوى الأكثر قبولا في المجتمعات العربية وخصوصا في مصر أكبر بلد عربي ، باعتبار أن مثل هذا التدخل يعتبر قوة ناعمة ، تحت ستاره يمكن التدخل في المنطقة بدعم شعبي ،مثلما نجحت في مثل تلك الخطوة في العراق ضد صدام حسين قبل الغزو ، ولكن كان الغزو سببا في تشكيل إرهاب جديد ضد القوات الأمريكية ، حتى شكلت قوات الصحوة لحماية قواتها قبل أن تهرب من العراق .
جاء عام ٢٠١١ زمن الثورات العربية ،وجدتها الولايات المتحدة فرصتها المواتية لتنفيذ خططها الجاهزة وكأنه وقوف إلى جانب الشعوب في مواجهة النظم الحاكمة ، فهرب بن علي ،وأسقط الناتو القذافي وسلمه للثوار الليبيين حتى قتلوه ،ولكن تستغرب الولايات المتحدة كيف أن الليبيين لم يقابلوا الجميل الغربي بل اتجهت القاعدة في ليبيا إلى قتل السفير الأمريكي بسبب أن لديها ثارات مع أمريكا ، والآن اقتحموا السفارة الأمريكية في طرابلس.

استطاعت دول الخليج والمغرب والأردن أن يتعاملوا مع الزلزال الذي ضرب المنطقة، وسارعت السعودية إلى حماية البحرين كبوابة خليجية ،ورعاية مبادرة خليجية في اليمن .

فشلت الجهود الأمريكية في دعم الإخوان المسلمين في مصر بعدما فشلوا في استيعاب درس الديمقراطية ،وأصبحت مصر على لسان السيسي يطالب الولايات المتحدة أن أي ترتيبات في المنطقة عليها مراعاة الشواغل الأمنية لمصر ودول الخليج.

أي فشلت الولايات المتحدة في تأمين نفسها وتأمين مصالحها وفق الدراسات التي قدمت لها من قبل مراكز الأبحاث عندما نصحتها بدعم جماعة الإخوان المسلمين في المنطقة فإنها تتكفل هذه الجماعة بالقضاء على التشدد والتطرف.

وعادت الولايات المتحدة مرة أخرى إلى أن تتعامل مع نظم الحكم التي عادتها في الفترة الماضية وخصوصا دول الخليج .

وعاد أوباما إلى بناء شراكة إقليمية أكثر قوة لمواجهة داعش التي قتلت لها صحفيين بسبب أنها أقدمت على تقديم دعم عسكري لقوات البشمركة متزامنا بدعم قصف جوي أعاق تقدم داعش الذي كانت تطمح له .

دخلت الولايات المتحدة في فوضى جيوسياسية وهي بحاجة إلى إعادة دراسة الواقع الذي لم ينجح على الأرض ،وأصبح الإرهاب أكثر قوة من قبل وأصبح يهدد الجميع الخارج والداخل ولم يترك أحدا.

الإرهاب تحول إلى لاعب إقليمي:

بدأ يأخذ الإرهاب منحى إقليميا، بل أصبح لاعبا إقليميا، مما يجعل الجميع يشكك في حقيقية محاربة الإرهاب الذي يضرب المنطقة من شرقها إلى غربها، من العراق وسوريا ومصر وليبيا واليمن كما قال الرئيس المصري بأن خارطة الإرهاب اتسعت مما يستدعي تضافر جهود الدول العربية لمواجهته.

بعد تشكيل مصر جبهة قبرصية يونانية لمواجهة الإرهاب، من أجل مواجهة الاستفزازات التركية في المنطقة القبرصية، والتطورات في ليبيا وسوريا والعراق،

ورغم تأكيد الرئاسة المصرية أن القمة الثلاثية ليست موجهة ضد أحد، لكن محللون يرون أن القمة تحمل رسالة ضمنية إلى تركيا، خصوصا وأن اللقاء يأتي في خضم التوتر في العلاقات بين القاهرة وأنقرة.

هناك من يريد تسخين كل حدود مصر الشرقية والغربية، وإرباك كافة الحدود من أجل إرباك الدولة المصرية، بالطبع الإرهاب يقاتل ويسخر في خدمة أجندة إقليمية ودولية كورقة وكسلاح، لذلك نلاحظ أن دول التحالف تتحايل على دول المنطقة، مثلما تحايلت في مقاتلة القاعدة في أفغانستان عام ٢٠٠١، لاستخدامه ورقة رابحة وقتما تشاء لتنفيذ أجندة وملفات ساخنة حتى ترضخ تلك الدول لإرادة الولايات المتحدة.

أربعة زوارق صيد مسلحة بأسلحة بحرية فوق طاقة أي جماعة إرهابية شمال دمياط انطلقت من السواحل، وهاجمت زورقا مصريا تابعا للأمن المصري، قد يكون ردا على ترسيم الحدود البحرية حول حقول الغاز من أجل الضغط على القرار المصري، نتج عنه ٥ قتلى من العسكريين و٨ مفقودين، بينما استطاع الأمن المصري من قتل أكثر من ٨٠ من المهاجمين وأسر ٣٢، وأعلن الأمن المصري عن وجود علاقة بين المهاجمين وقوى إقليمية لم يحددها الأمن المصري.

سبق تلك العملية أن بايع أنصار القدس الخليفة أبو بكر البغدادي كخليفة، ما يعني أن داعش امتدت حتى دولة مصر وعلى الفور عقب تلك العملية قتل خمسة جنود مصريين في عمليتين منفصلتين في سيناء، وأصيب ٨ أشخاص في القاهرة في مترو نتيجة قنبلة بدائية.

أجنحة داعش بدأت تنشط خلاياها في هذه الدول، وستفاجأ بخطط لإشعال كافة المنطقة العربية، نتيجة الدور المصري في ليبيا ما أدى إلى تفجير مزدوج استهدف السفارتين المصرية والإماراتية في طرابلس.

لذلك يطالب السيسي بتضافر جهود الدول العربية لمواجهة هذا الإرهاب، ومن أجل محاصرته في الحدود الغربية من مصر التقى السيسي برئيس وزراء الجزائر ووفدا من دولة الإمارات، وأكد أن تأخر حل الأزمة الليبية له عواقب وخيمة، وفي

نفس الإطار التقى الثني مع المسؤولين في السعودية لبحث سبل التعاون لمواجهة الإرهاب.

بعد الضربات التي وجهها التحالف لمسؤولين من داعش في شمال العراق وكان يعتقد أن منهم أبو بكر البغدادي رغم أن الولايات المتحدة لم تؤكد إصابة البغداي في القصف أو قتله، ولكنه دعا في تسجيل مسرب إلى شن هجمات في السعودية انتقاما من السعودية التي زارها الرئيس العراقي فؤاد معصوم، مما يعطي الثقة لدى العشائر السنية تزامنت الزيارة بإقدام العبادي في خطورة جريئة على إعادة هيكلة الجيش وتطهيره من الفساد في زمن المالكي، مما يضعف داعش لأن العشائر السنية التي كانت منزعجة من السياسات الاقصائية التي مارسها المالكي تجاههم جعلهم ينضمون إلى داعش وسينسحبون منه الآن مما يضعف قدرات داعش.

منذ الإمام علي كرم الله وجهه يتم تطبيق أحاديث الفتن وإسقاطها، وكيف ينصر الإسلام ويقتل المسلم المسلم ويستبيح دمه، هذا هو فكر الخوارج الذي ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم صفاتهم التي هم عليها، وكل من يتصف بمثل تلك الصفات أمر بقتلهم حتى لا تسبب التفرقة بين المسلمين وتكون مصدر القلاقل والفتن (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون).

إسقاط أحاديث الفتن على أحداث تتكرر عبر الزمن مجرد لبث الأمل لدى الشباب المسلم لعودة قوة المسلمين كما كانت عليه في عهد الصحابة لتجييش المشاعر عبر آمال وهمية من دينها لتغرير الشباب المسلم المتحمس والغيور من أجل أن يتدافعوا على داعش.

نحن نحتاج إلى عقلنة الغيبيات في حدودها الشرعية، وكيفية إسقاط أحاديث الفتن التي صحت عن الرسول صلى الله عليه وسلم خصوصا التي ذكرت أسماء تدور فيها المعارك مثل غوطة دمشق وتوضيح الأحاديث الضعيفة، وأن يوضح للشباب بأن الفتن متوالية عبر الزمان، ولا يعلم المسلم متى تكون علامات آخر

الساعة، لتوعية الشباب وجعله أكثر عقلانية وأكثر تفكيرا حتى لا يقع فريسة تغرير في فكر الخوارج.

يجب أن ندرس استراتيجية معاوية بن أبي سفيان الذي أدرك خطرهم، وعين أخاه بالتبني زياد بن أبيه على الكوفة الذي استطاع أن يخمد فتنة الخوارج بقوة السلاح، وسار على دربه ابنه عبيد الله بن زياد، خصوصا وأنهم كانوا يظهرون من فترة لأخرى، حتى فروا إلى بلاد فارس، لأن البيئة السياسية كانت مواتية لتقبل أفكارهم المتطرفة، واستخدموا كقاعدة لشن الهجمات منها، كما يتم استخدامهم الآن من كافة الدول الإقليمية والعالمية.

عانت الدولة الأموية من فتنهم وزاد خطرهم بسبب رؤيتهم الضيقة وفكرهم المتصلب، حتى تمكن المهلب بن أبي صفرة من توجيه لهم ضربات موجعة خاصة أتباع قطري بن الفجاءة، واستطاع أن يقضي عليهم، ومن ثم حاربهم الحجاج بن أبي يوسف بعدما حاصروا الكوفة.

يتسم فكر الخوارج بضآلته ونظرتهم الضيقة إلى حد السذاجة، فلقد كانت أفكارهم متشددة ولكنها لم تكن صلبة الجذور لاعتمادها على التفسيرات المتشددة وليس على لب الدين الحنيف، ونجحت معهم الحوارات في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز، وإن كانت الحرب معهم استمرت بعد ذلك.

حاول الخوارج تكوين لهم دولة في شمال أفريقا ولكن تم دحرهم، ثم ثاروا على فترات متقطعة وكانت آخر ثورة لهم في آخر خلفاء بني أمية في المدينة مروان بن محمد ولكنه قضى عليهم ،ولكنهم أضعفوه وساهموا في نهاية الدولة الأموية.

استمرت فتنتهم زمن العهد العباسي ولكن هذه الدولة الفتية استطاعت أن تنهي خطرهم السياسي عليها، وانكفأت على نفسها واحتفظت بفكرها، ودولة داعش هي امتداد لنفس الفكر، فنحتاج إلى توضيح تاريخ الخوارج للشباب في جميع أنحاء العالم الإسلامي، والمقارنة بين أفكار دولة داعش وبين أفكار الخوارج، حتى نتمكن من إقناع هؤلاء الشباب وحما منيتهم من التورط والاندفاع نحو الانضمام لداعش للقتال في صفوفه.

الفصل الثامن

حقيقة التحالف الدولي في مواجهة الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط

تحالف الحرب على الإرهاب إعادة هيكلة للنفوذ الأمريكي:

في الولاية الثانية لأوباما دار نقاش شديد بين الحزبين الكبيرين في أمريكا ،وبدأ يظهر الحرس القديم إلى الواجهة ،وينتقد إستراتيجية أوباما ، وكيف أن أوباما أضاع المكاسب الإستراتيجية التي تحققت في عهد بوش والتي في سبيلها قدم الشعب الأمريكي تضحيات بالمال والأنفس ،مثل هذا النقاش لم يكن ظاهرا في فترة أوباما الأولى التي وعد فيها الشعب الأمريكي بإراحته من الحروب الخارجية.

بعد الأزمة السورية التي بدأ النفوذ الروسي والإيراني يمتدان على حساب النفوذ الأمريكي ،ولكن أتت أزمة أوكرانيا إلى محاصرة روسيا وفرض عقوبات سبق أن جربتها الولايات المتحدة على الاتحاد السوفيتي زمن الحرب الباردة وعلى صدام حسين أدت إلى وفاة مليون طفل ، ومؤخرا على إيران التي تحاول إيران الخروج من ألم تلك العقوبات حتى لا يتكرر المشهد الذي حدث في العراق زمن صدام حسين وانهارت قوة العراق كان العراق هدفا سهلا أمام الغزو الأمريكي عام ٢٠٠٣.

ساهمت الإستراتيجية الأمريكية في استخدام ورقة الإرهاب سلاحا بعد رفضها تسليح المعارضة السورية عدد من المرات حتى بعد استخدام نظام بشار الأسد

الكيماوي، ساهمت الولايات المتحدة في ترك فراغا أمنيا تنشط فيه جماعات جهادية لم تتعرض لها إيران وحزب الله والنظام السوري في استهدافها بل ركزوا في مقاتلة الجيش السوري الحر مما جعل المنطقة السورية تعج بالنزاع متعدد الأطراف.

انزعجت السعودية من استخدام ورقة الإرهاب في تهديد أمن المنطقة ، وهدد الملك عبد الله في نهاية شهر أغسطس ٢٠١٤ بأن الإرهاب سيطال أوربا وأمريكا ،وبالفعل بعد تمدد داعش في العراق حيث آبار النفط ، ورفض عشائر السنة التي عانت من سياسات المالكي الإقصاء والتهميش والاستهداف، بينما رفضت المليشيات الشيعية مقاتلة داعش ، ووجدت أن هذه الحرب ليست حربها ففرت تاركة أسلحتها تسيطر عليها داعش.

وجدتها الولايات المتحدة فرصة أجبرت أوباما على تغيير إستراتيجيته من أجل إعادة هيكلة النفوذ الأمريكي ،وتحجيم النفوذ الإيراني في العراق المنافس للنفوذ الأمريكي وتحقيق اتفاقية أمنية لم يسمح المالكي بتوقيعها مع الولايات المتحدة نتيجة عدم موافقة إيران قبل خروج القوات الأمريكية هاربة من العراق.

قدرت واشنطن أن عدد أفراد داعش عشرة آلاف مقاتل ،فلماذا تخوف المنطقة من خطرهم ؟ ولماذا يستبعد التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة محاربة الإرهاب الحقيقي المتمثل في النظام السوري الذي استخدم الكيماوي وحزب الله الذي يحارب خارج أراضيه وحول الحرب إلى حرب طائفية؟ .

أراد الملك عبد الله من الولايات المتحدة أن تؤسس مركزا لمحاربة الإرهاب بصيغة دولية من دون انتقائية أو نظرية احتواء سبق أن اقترحته السعودية عام ٢٠٠٥ ودعمه ب١٠٠ مليون دولار في اغسطس.

في اتصال أوباما بالملك عبد الله وافق أوباما على ضرب داعش في العراق وسوريا ، ووافق على دعم المعارضة السورية المعتدلة لدحر داعش ،ولم يحن الوقت لحل الأزمة السورية ،أي أن الأولوية القضاء على الملاذات الآمنة في سوريا التي كانت حاضنة لتوافد الجهاديين إليها ، ولكن البعض يرى أن هناك شك في فاعلية تلك

الخطوة ، لأن في سوريا هناك نزاع تخوضه أطراف عديدة ليست محل ثقة لدى الولايات المتحدة ويمكن أن يستثمر الضربات الجوية نظام الأسد في تقوية قواته.
ولم تشترك روسيا ولا إيران ولا النظام السوري في التحالف الدولي في محاربة داعش الذي تم إعلانه في جدة ، ما يعني ضمنيا أن تلك الدول شاركت في رعاية الإرهاب، وسخر الإعلام السوري من القرار الأمريكي استبعاد دمشق من التحالف ،ولم تدرك دمشق أن نظامها قد انتهى وهي ورقة تستخدم لم يحن الوقت للتخلص منها.

وضعت اللبنة الأساسية لمكافحة الإرهاب في جدة في ٢٠١٤/٩/١١ باعتبار السعودية دولة فاعلة لصنع واقع أكثر أمنا وسلاما ،وأهمية دور السعودية في العمل المشترك على المستوى الإقليمي والدولي من أجل إيقاف نزيف وتدفق المقاتلين الأجانب ، وكذلك الداعمين والممولين لهذا الزحف الإرهابي بدعوى أن النزاع ذو وجه إنساني لمنحه الشرعية للتوجه الأيديولوجي لصانعيه.

ودارت نقاشات واسعة في الولايات المتحدة حين احتلت حكومة الأسد جانبا كبيرا من المناقشات ، فالمشاركون أخبروا أوباما بأنه بإمكانه إصدار تفويض بتنفيذ عمل عسكري في سوريا من دون الخوف من مساعدة الأسد ،نظرا لأن داعش يحتل أراضي ليست تحت سيطرته ، وأنه من غير المرجح لقواته إعادة احتلال تلك المناطق.

واجه أوباما معارضة شديدة في الكونغرس منذ عام مضى إزاء شن الهجمات الصاروخية ضد حكومة الأسد ردا على استخدامها للأسلحة الكيماوية ، لكن ما يسمى عمليات الطوارئ في الخارج سيتم تمويل العمليات على نفس مستوى تمويل مثل تلك الجهود ، بينما يفضل البعض إصدار تفويض من الكونغرس على تنفيذ العمل العسكري ، لكن يعتمد هذا على تقديم الرئيس أوباما خطة عمل واضحة لهزيمة داعش على الكونغرس قبل إجراء التصويت على التفويض المذكور من قبل الكونغرس.

لماذا حاولت روسيا وضع الإرهاب في قمة أولويات جنيف ٢:

في سبعينات القرن الماضي صور أستاذ التاريخ في جامعة هارفارد إدوارد كينان الشكل السلطوي الخاص بنظام الحكم في روسيا ، وضح كينان في هذا التصور شكل الغموض الذي يحيط بالقيصر الذي يمتلك السلطة في يده ، ونشأ هذا الغموض الذي يحيط بالقيصر بعد الحرب الأهلية المدمرة التي حدثت في القرن الخامس عشر قررت بعد الحرب فئات النبلاء والبيروقراطيون وضع أساس لزعيم قادر على لعب دور الوساطة في النزاعات وكذلك في توزيع السلطة والإقطاعيات عليهم وبالغوا في رسم صورة الدور الذي يلعبه القيصر في أذهان العامة وهي ديدن نظم الحكم الدكتاتورية في جميع أنحاء العالم على مدى التاريخ .

وأدرك الغرب أن حقيقة الحكم في روسيا وأن بوتين هو القيصر الذي يمتلك نزعة سلطوية ، ويواجه بوتين النفوذ الغربي بممارسة نفس الأدوار التي حدثت منذ خمسة قرون التي تقوم على التوازن بين جماعات المصالح المتنافسة فيما بينها ولكن تظل المعارك داخل الكرملين بين جماعات المصالح تلك تدور حول السلطة والمال وكيفية الحصول على الامتيازات الخاصة وليس صراعا حول الأيديولوجيات .

فروسيا اليوم تسابق الزمن في ملئ الفراغ الذي تسببت فيه الأزمة المالية التي ضربت الغرب وتسابق الزمن في استثمار ثورات الربيع العربي أو ما يحلو للبعض بتسميتها بثورات الزلزال العربي واستثمار فشل العرب في إدارة هذه الثورات ، وترى روسيا أن الولايات المتحدة والغرب بدأ ينسحب من الحرب على الإرهاب وتتجه الولايات المتحدة نحو آسيا في المحيط الهادئ لمحاصرة النمو الصيني وإشغال الصين بتوترات إقليمية لتنمية اقتصادها المتعثر والمتباطئ .

وسبق الهجومين الانتحاريين المزعومين في أقل من ٢٤ ساعة بمدينة فولغوغراد الجنوبية أن دعا لافروف إلى وضع (مكافحة الإرهاب) في قمة أولويات (جنيف ٢) وهي خطة خبيثة من أجل دعوة المعارضة السورية إلى التحالف مع نظام بشار الأسد لمحاربة الجماعات الإرهابية الدخيلة على سوريا التي تعتمد الغرب

غض الطرف عن دخولها فأصبح النظام الدولي هو الراعي لقوى الإرهاب والتطرف في المنطقة وفي سوريا أيا كانت طبيعتها ويبدو أن الهجومين الإرهابيين في روسيا يدعم هذه الدعوة لتثبيت مناقشة (مكافحة الإرهاب في جنيف ٢) لتستمر مواجهته بعدما بدأت الولايات تتخلى وتنسحب عن مواجهة الإرهاب وبدأت تتجه نحو مغازلة الجماعات الجهادية تحت مسمى الجماعات المعتدلة وتخشى روسيا أن تعيد الولايات المتحدة الكرة في استخدام الجماعات الجهادية مرة أخرى في إضعاف روسيا عن طريق الجهاديين مثلما أضعفت الإتحاد السوفيتي السابق وأدى فيما بعد إلى تفككه .

وتستغرب روسيا قرب انعقاد مؤتمر جنيف ٢ ولكن الولايات المتحدة تتجاهل تصعيد نظام بشار الأسد وإتباع سياسة الأرض المحروقة التدميري وتجاهلت الولايات المتحدة كل دعوات روسيا التي تطالب بجعل مؤتمر جنيف ٢ يركز على محاربة الإرهاب بدلا من تخصيصه لتنفيذ تفاهمات جنيف ١ بشأن انتقال السلطة سليما في سوريا بل تجاهلت الولايات المتحدة مشاركة إيران بنحو ٢٥ تنظيما شيعيا من أنحاء العالم لتصوير المعركة في سوريا بأنها حرب مذهبية وتجاهلت مؤخرا أيضا التفجيرين الانتحاريين في روسيا ولم تحرك ساكنا .

وتتساءل روسيا بأن الولايات المتحدة لم تكافؤه على دوره في مساعدة الولايات المتحدة في نزع فتيل الضربة الأمريكية ، وكيف نجحت روسيا في اختزال الأزمة السورية في التخلص من الكيماوي السوري لصالح أمن إسرائيل وكذلك دعم روسيا الاتفاق النووي ما بين إيران والغرب ، ويبدو أن الولايات المتحدة ستواصل المسيرة نحو تأمين أمن إسرائيل من خلال تحقيق الدولتين الفلسطينية والإسرائيلية وفي الأغلب لن تقبل بوجود بشار الأسد وإن كانت هي لم تخرج بتصريح واضح حول بقائه من عدمه لأن العالمين العربي والإسلامي لن يقبل ببقاء نظام بشار الأسد وخصوصا السعودية التي بدأت تتمرد على الولايات المتحدة وتستثمر هي الأخرى وتبحث عن شراكات جديدة بعيدة عن الولايات

المتحدة تخدم مصالحها ومصالح الأمة العربية باعتبارها زعيمة عربية إسلامية .

أبعاد توقيت أوباما تشكيل تحالف دولي لمواجهة داعش:

النظام الاستراتيجي الأمني العالمي الذي تقوده الولايات المتحدة بات في مواجهة تحديات في أوربا والشرق الأوسط وآسيا ، والهوس بما تفعله أمريكا يشير إلى المشكلة الأساسية في اعتماد كل حلفائها بشكل مفرط عليها لضمان أمنهم ولا يحركون ساكنا.

هناك كومة من التحديات التي تواجه أوباما بدأ من الهجوم الروسي على أوكرانيا ، تهديد داعش للعراق وسوريا والمنطقة بأكملها ، الفوضى العنيفة في ليبيا واليمن ، الجمود الخطير في أفغانستان ، الأزمة السياسية التي تلوح في الأفق في هونج كونج ، المواجهة بين الطائرات الصينية والأمريكية بالقرب من جزيرة هينان ، يسعى أوباما على منح الأولوية لتلك الأزمات.

يتساءل البعض لماذا اندلعت كل تلك الأزمات في وقت واحد ؟ البعض يجيب بأن إدارة أوباما كانت ضعيفة وغير حاسمة ، بينما يرى البعض أن الصراعات الحالية تسبب فيها بوش في أفغانستان والعراق والتي أنهكت الولايات المتحدة ،ولا تريد الولايات المتحدة زمن أوباما أن يستمر الحلفاء في الاعتماد عليها بشكل مفرط.

بينما يرى البعض أن نقطة الضعف في أمريكا هي في قيادة النظام العالمي، ليس بسبب عدم وجود عزيمة لدى واشنطن ،بل هي نقطة ضعف مكتسبة ، وترى الولايات المتحدة أن نقطة الضعف في الحلفاء التي يجب معالجتها وليست في واشنطن.

قمة الحلف في ويلز مثلت فرصة للولايات المتحدة في التوصل مع الحلفاء إلى نقاط حاسمة ،خصوصا مع الحلفاء الأكثر أهمية في فعل المزيد وتقاسم الأعباء، ولن تستمر الولايات المتحدة بمفردها في مراقبة العالم الذي كان من بقايا الحرب الباردة ،وبعد أن كانت تتكفل الولايات المتحدة بمفردها نصف النفقات

العسكرية ،بينما أصبحت اليوم تتكفل ب ٧٥ في المائة عام ٢٠١٣ نتيجة الأزمة المالية التي ضربت أوربا ،وهي كذلك ضربتها الأزمة المالية ،وهي بصدد التراجع النسبي للموازنة الفيدرالية والدفاعية.

حتى في فرض العقوبات على روسيا كانت الولايات المتحدة هي أكثر حسما وأكثر صرامة من الاتحاد الأوربي ،في حين يشكل التهديد الروسي بشكل مباشر لأوربا أكثر من التهديد لأمريكا ،والعالم الذي يسيطر عليه الغرب أصبح في خطر متزايد ، بينما يقدر البنك الدولي أن تصبح الصين أكبر اقتصاد في العالم عام ٢٠١٤ عند قياسه بمعدل القوة الشرائية، كما ترتفع مصادر الطاقة الجديدة للطاقة والثروة في آسيا.

لذلك من المتوقع أن تشكل بريطانيا وست دول أوربية أخرى قوة تدخل سريع مشتركة جديدة للعمل في الخارج مكونة من عدد لا يقل عن عشرة آلاف فرد لتقوية قوة الناتو ردا على العدوان الروسي في أوكرانيا ، وتعتبر القوة الجديدة واحدة من أشجع الخطوات التي تتخذها أوربا تحت مظلة الناتو ، تضم هذه القوة وحدات جوية وبحرية إضافة إلى قوات على الأرض ،وسيقودها ضباط بريطانيون كبار مع مشاركة دول أخرى مثل الدانمارك وأستونيا ولاتفيا وليتوانيا والنرويج وهولندا ،وقد عبرت كندا عن رغبتها كذلك ، قوة التدخل السريع شبيهة بقوة التدخل السريع البريطانية المشكلة مع فرنسا والتي يجري تشكيلها منذ عدة سنوات ويتوقع لها أن تصبح عاملة عام ٢٠١٦.

لكن لا تزال عضوية أوكرانيا الكاملة أملا بعيدا حتى لا يؤدي إلى استفزاز الكرملين ، ولكن هدف الاتحاد الأوربي لإلغاء فكرة المناطق المختلفة للأمن في أوربا وحتى يتحقق الإتحاد ،وبأن يكون الأوربيون في شرقي أوربا في درجة مختلفة من العضوية في الناتو، ومثل هذا المشروع سيكون أداة دبلوماسية قوية في تقوية اقتصادات أوربا الشرقية.

بدأ الناتو يقوي شراكته مع الأردن ويبحث عن إستراتيجية بعيدة الأمد لأمن الجنوب ، كما نجد فرنسا تركز على ملف لبنان ودعم الجيش اللبناني بعد زيارة

الأمير سلمان لفرنسا لدفاع الجيش عن الأراضي اللبنانية من الجماعات والتنظيمات المتطرفة ،وتحييد قوة حزب الله، وتعزيز القوة العسكرية للسعودية الجوية والبحرية لمواجهة التحديات التي تهدد أمن دول الخليج.

تقدم داعش في العراق وضعت البيت الأبيض في مواجهة صعبة مع البنتاغون ،بينما الناتو يتوحد ضمن تقييم خياراته لمواجهة السياسة التوسعية لروسيا مع الإجماع في ويلز في بريطانيا في ٢٠١٤/٩/٥ بين دول الأطلسي على تدمير داعش ولكن الحلف اشترط مساعدة العراق بطلب رسمي من الحكومة وتوقيع اتفاقية أمنية.

لكن لماذا يقلل أوباما من التوقعات بأن تبدأ الولايات المتحدة قريبا ضربات جوية ضد مقاتلي داعش في سورية، بينما اتخذ قراره بضرب داعش في العراق وحتى في الأنبار السنية ، بعدما سيطر داعش على منطقة تضم آبار نفط وسدود ومطارات واستولى على أسلحة متطورة ،ولن تتمكن قوات البشمركة من مواجهة داعش لولا الضربات الجوية الأمريكية وتقديم أسلحة نوعية من الولايات المتحدة للبشمركة ،واستعداد دول أوربية أخرى من بينها ألمانيا لتقديم مساعدات عسكرية.

خصوصا أن داعش ليست لديها قاعدة شعبية في العراق تحتمي بهم، لأن أغلبهم أجانب أتو من جميع أنحاء العالم ، وهي فرصة للولايات المتحدة وأوربا للقضاء عليهم بعيدا عن أراضيهم عن طريق الضربات الجوية للتخلص من خطرهم على أمن دولهم خصوصا وأن الدول الأوربية قلقة من عودتهم إلى دولهم ،ولكن الفكر سيبقى.

هل ترك ضرب داعش في سوريا للنظام السوري رغم أن الولايات المتحدة تعلن أنها لا تنسق مع النظام السوري؟، وهل أن الأزمة في سوريا معقدة ؟ ،وكما قال أوباما في سوريا ثلاثة أطراف على الأقل ،فهل يصعب التعاطي معها إلى هذا الحد ؟.

رفضت الجامعة العربية أن تشترك في الحلف ضد داعش فقط ،بل يمكن أن تشترك في الحلف ضد كافة الجماعات والقوى الإرهابية التي تهدد المنطقة بما فيهم حزب الله اللبناني الذي يشترك مع النظام السوري ضد الثورة السورية التي تجد حاضنة شعبية في سوريا يمكن أن تحميها على خلاف داعش .

رغم امتلاك نظام بشار الأسد الطائرات والبراميل المتفجرة ،بعد مراوغة الولايات المتحدة بين الحين والآخر في تعهدها بدعم الجيش السوري الحر بالأسلحة الفتاكة ، أو على الأقل بالصواريخ التي تحيد الطائرات السورية ، فأصبح القتال بين الجانبين ينحصر بين الكر والفر ،ولن يستطيع أحد الطرفين حسم المعركة لصالحه.

يتساءل الجنرال مارتن ديمبسي رئيس هيئة الأركان المشتركة قائلا هل يمكن هزيمة داعش دون التعامل مع ذلك الجزء من المنظمة المقيم في سوريا ؟ قائلا الجواب لا ، لكن رؤية أوباما بأن هزيمة داعش ستكون مشروعا طويل الأمد، وقال سيتطلب منا بطريقة ما جلب الاستقرار إلى سوريا ، أي أن أوباما يحتاج إلى مساعدة السنة المعتدلين الذين يستطيعون إظهار أنهم بديل ل داعش.

أدرك أوباما أن سياسات إيران في المنطقة ، وسياسات حليفها المالكي في العراق هي التي أنجبت خلافة خارج العصر نتيجة غضبة السنة في المنطقة ، جعل سنة العراق يغضون الطرف عن داعش وتركها تقطع العراق من غربه إلى شرقه نتج عنه تساقط المدن العراقية بشكل سريع ،واختارت داعش المناطق الهشة مثل مناطق الأقليات.

لم يكن في القصبة سوى بضعة مئات من المقاتلين من أبنائها صمدوا أمام داعش وصدوا ثلاث هجمات كبيرة، ولو فشل الدفاع عن القصبة لحدث لهم ما حدث لتلعفر وسنجار من قتل وسبي، وكذلك تمكنت قوات الدفاع الوطني من فك حصار آمرلي شاركت في فك الحصار عن آمرلي قوات البشمركة ،مما مهد الطريق لتحقيق نجاحات كبيرة في الجيب الكبير الواقع بين محافظتي ديالي وصلاح الدين ،ولم تتمكن داعش من تحقيق فصل إقليم كردستان عن بغداد تمهيدا لتقطيع

العراق إلى أوصال التي هي خارج الواقع الاستراتيجي مما يمثل خيالا وفخا نصبته لها الولايات المتحدة والغرب.

دخلت داعش العراق على حين غرة وعلى حين غفلة ، مستثمرة الشحن السياسي الطائفي الذي يتمتع بحصانة غريبة خارج الدستور وبعيدا عن الواقع وعن المنطق أمنتها المحاصصة والدواعش السياسيين، استثمرت مجموعة من سنة العراق الغاضبين في تكريت فرصة الثأر لقتلاهم على أيدي السلطة الشيعية التي تسلمت الحكم منذ غزو العراق والتي ساهمت في إعدام سنة وفق قضاء مسيس خارج قاعدة سبايكر الجوية شمال تكريت قد يكون القتل تحت حماية داعش ولكنه لم يثبت.

أسندت الجريمة إلى داعش لتصبح صورة داعش أكثر بشاعة وأكثر تشويها ، بينما ترك نظامي بشار الأسد والمالكي يمارسان كافة أشكال العنف التي فاقت كافة جرائم داعش التي ترتكبها باسم الدين.

نتيجة هذه الهجمة من داعش ساهمت في أسقاط المالكي ،بعدما أصبحت مصالح الولايات المتحدة مهددة في العراق وبدأ واقع جديد في العراق بعيدا عن إيران ولكن هل تقبل إيران إبعادها؟.

حتى الآن لم تقرر الولايات المتحدة استهداف نظام بشار الأسد رغم تجاوزه كافة الخطوط الحمر، واستخدام الكيماوي في الغوطة ،فهل مصالح الولايات المتحدة غير مهددة في سوريا ؟ ،أم أن استراتيجية الولايات المتحدة لا زالت تفاصيلها لم تتضح بعد في سوريا ولم تتحقق حتى الآن؟.

ترفض واشنطن أن تتعاون مع إيران في مواجهة داعش في العراق ،رغم أن مصادر تشير إلى أن خامنئ وافق على تعاون مع أمريكا ضد داعش ، ولكن واشنطن تنفي مثل تلك الادعاءات .

رغم أن إيران قدمت خدمات لوجستية لأمريكا في أفغانستان وفي العراق ،ولكن بعد غزو العراق أصبح هناك تنافس إيراني أميركي على العراق ،وأصبحت القوات الأميركية مستهدفة من قبل المليشيات الشيعية المدعومة من إيران ومن القاعدة

،حتى أنشأت الولايات المتحدة قوات الصحوة من العشائر السنية استطاعت أن تواجه القاعدة والدفاع في نفس الوقت عن ١٥٠ ألف جندي أميركي قبل أن تهرب أمريكا بجنودها وترحل من العراق.

قدرت خسائر الولايات المتحدة في أفغانستان والعراق ما بين تريليوني وثلاثة تريليونات دولار، ونحو خمسة آلاف قتيل ،تلقت الولايات المتحدة أكبر هزيمة في تاريخها ،وهي تجد في تنظيم الدولة الإسلامية الفقاعة كفرصة لاستعادة توقيع اتفاقية أمنية في العراق مقابل تقديم ضربات لداعش لم تتمكن من تحقيقها قبل أن تخرج من العراق .

في نفس الوقت تحقق الولايات المتحدة تراجع النفوذ الإيراني في العراق الذي كان ينافس النفوذ الأمريكي في العراق بعد تلبية رغبات العشائر السنية والأكراد في تشكيل حكومة شراكة وطنية تحقق الاستقرار للعراق ولأمريكا بعدما كانت إيران تقف عائقا أمام تحقيق هذه الشراكة لتعزيز نفوذها.

نتيجة تلك التغيرات أعلن كبير مفاوضي رئيس الوزراء العراقي السابق عزة الشابندر بمطالبة مقاضاة المالكي بسبب التقصير الأمني والفساد ،وأعلن عن إطلاق سراح سلطان هاشم وزير الدفاع زمن صدام حسين والذي سلم نفسه طواعية وسبق أن وقف الهاشمي نائب الرئيس العراقي الهارب إلى تركيا من حكم الإعدام زمن المالكي وكذلك وقف سنة العراق أمام إعدام سلطان هاشم ، وكذلك أعلن عن إطلاق طارق عزيز وزير خارجية صدام حسين قريبا.

الولايات المتحدة وكذلك حكومات المنطقة وظفت داعش لخلق قلق لدى الشارع من أجل التفافه حول حكوماته ،رغم أن هذا أمرا مطلوبا من أجل البحث عن الاستقرار في زمن الفوضى ،واستعادة الدولة التي استباحتها مجموعات أنتجتها ثورات الربيع العربي بسبب غياب تشكيل قيادات ومؤسسات قبل قيام مثل تلك الثورات ، والخوف الأكبر أن يأتي الآن مثل تنظيم الدولة الإسلامية بخلفيات فكرية متطرفة ومنحرفة يتبناها هذا التنظيم من أجل خلق أجندة إقليمية جديدة تهدد أمن المنطقة.

مواجهة الإرهاب ساهم في تقاطع العلاقات بين مصر وإيران ،وبين إيران والسعودية ، فرضتها طبيعة المرحلة القادمة، قد يكون تقارب ظرفي، وهناك نقاشات داخل حكومات دول الخليج حول فك عقدة اسمها دمشق لكن البعض يرى أن شرعية الأسد قد سقطت ،بينما مصر تخالفهم الرأي وتتبنى إعادة تأهيل نظام بشار الأسد لمواجهة الإرهاب من أجل مواجهة الإخوان باعتبارهم جماعة إرهابية الذي يقلق مصر ويقلق دول الخليج أيضا ما عدى قطر ،وإقناع الشعوب بخطر تلك الجماعات من أجل تمرير السياسات الجديدة.

المسؤولية يجب أن تحدد ويجب أن تكون مستقاة من تقييم مدى التهديد الذي يواجه المبادئ الأساسية لنظام دولي سلمي وعادل ، فلا تكفي المساهمة بالمواجهة الأمنية ،ولا بالوسائل العسكرية وحدها للتغلب على داعش أو غيرها من التنظيمات الحركية ، بل يتعين على المجتمعات المدنية أن تضع استراتيجية سياسية واسعة النطاق ومتسقة للتصدي لتلك المنظمات العنفية المتطرفة بشكل منهجي ، وتبرؤ كل مرجعيات العالم الإسلامي بوضوح من الشرعية الدينية التي يزعمها زعماء التنظيمات لتبرير وحشيتهم وممارساتهم باسم الدين.

لقد حذر الملك عبد الله بن عبد العزيز من استخدام ورقة الإرهاب أو ورقة داعش كسلاح لتهديد دول المنطقة ،ومعاقبتهم على وقوفهم أمام تحقيق أجنداتها الخاصة ، وأن خطر تلك الجماعات التنظيمية سيدنو من أمريكا ومن أوربا أكثر ، وأن الثوابت التي اعتقدها الأوربيون على مدار العقود الماضية لم تعد مسلمة أو أكيدة ، وأن أوربا ستهتز بما يدور في جوارها.

جدوى الضربات الجوية الأمريكية لداعش في العراق ؟:

الطريق المؤدي للجحيم دائما ما يكون معبدا بالنوايا الحسنة ، والمثالية الرعناء خاصية مدمرة ، فكما أصبحت أمريكا رهينة بعد حرب فيتنام الكارثية جعلت الديمقراطيين في الولايات المتحدة حذرين من حل المشكلات العالمية بالقوة ، فأصبح أوباما الديمقراطي رهينة حرب بوش التي قادها في أفغانستان وفي

العراق من معالجة مشكلات الشرق الأوسط بالقوة خصوصا في سوريا التي نشأت فيها داعش.

كما يؤخذ على الجمهوريين في الولايات المتحدة هجرهم الأخذ بعقيدة الاعتدال بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ، رغم ذلك فإن الجمهوريين ما زالت لديهم غريزة العسكرة وهي الوصية الأولى التي ينصحون أوباما في كل مناسبة التي يجب أن يتبعها في سوريا أوفي ليبيا وكذلك في العراق أوفي أفغانستان.

الوصية أيضا لها صلة بالحشد للانتخابات الرئاسية التي ستجري في عام ٢٠١٦ ، ويقف زعماء حزبيون مسنون من أمثال ديك شيني وجون ماكين يقفون مصطفين في وجه بول الجمهوري التواق للتغيير في حزبه .

لكن هناك ريك بيري حاكم تكساس يهاجم الرئيس أوباما لفشله في استخدام القوة ضد مجموعة داعش في العراق ، وهو من محرضي أوباما على تسليح الثوار في سوريا ، بل إن السيناتور تيد كروز من تكساس ينتقد أوباما حول المحادثات النووية مع إيران ويعتبرها دبلوماسية مضللة تنزلق بالبلاد بلا نهاية.

بجانب تلك الضغوط الداخلية على أوباما أتت كلمة الملك عبد الله التي انتقدت مواقف اوباما في سوريا بشكل خاص وإن كانت الكلمة انتقدت سياسات أوباما الخارجية بشكل غير مباشر.

وتوجه السيسي الذي وقفت إدارة أوباما ضد الجيش المصري بقيادة السيسي ، وهو الآن يتجه إلى العدو اللدود لأمريكا وهي روسيا بالتنسيق مع السعودية ما يعني أن الولايات المتحدة ستخسر أكبر حليفين في الشرق الأوسط .

لم يكن أمام أوباما إلا أن يستجيب لمستشاريه بتوجيه ضربة محدودة لداعش عندما بدأت داعش تهدد أربيل وبغداد حيث السفارة الأمريكية ، وبعد أن سيطرة داعش على سد الموصل ، اعترف أوباما بأن داعش فاجأت الاستخبارات ،وأن مواجهته ليست سهلة ،وسبق أن نبه الملك عبد الله إلى عدم الاستهانة بداعش ولم يتنبه أوباما لخطرها بل يعترف أوباما بأن داعش أصبحت قوة يمكنها أن تتمدد في جميع أنحاء المنطقة بعد أن تركت سوريا ساحة تدريب لداعش ، وترك الباب

لداعش مفتوحا بالاستيلاء على آبار النفط ،وهو ذكاء من إيران ومن النظام السوري بعدم استهداف داعش حتى تتشكل وتتحول إلى تهديد يمكنها أن تخلط أوراق المنطقة وبالفعل حدث ما خططت له إيران والنظام السوري ،بينما كان الاستهداف المباشر للجيش السوري الحر ومنعه من التسلح بأسلحة نوعية.

كانت إدارة أوباما تتردد في دعم الجيش السوري الحر من أجل أن تحصل على اتفاقية تاريخية حول النووي الإيراني ،ولكن آمال أوباما تبخرت ،وفي نفس الوقت ترك الجميع يحارب الجميع في حرب استنزاف.

ويبرر أوباما تأخر تدخله ضد داعش منذ البداية حتى يبقى الضغط على المالكي ، ولكن الحقيقة هي في رفض ثوار العشائر بأن يعودوا قوات صحوة لمحاربة داعش التي أصبحت تهديدا حقيقيا للمالكي ولمليشياته.

ترك أوباما الحرائق الإيرانية تشتعل بالمنطقة العربية بدعم روسي ، بسبب أن الملف النووي الذي كانت إيران تبتز به الولايات المتحدة ،وتستخدم الملف النووي ذريعة وورقة في إطالة أمد المفاوضات ، حتى يتحقق لها ما كل ما تريده .

لذلك فإن إدارة أوباما تريد معرفة النوايا الحقيقة الكاملة لدى طهران حول الملف النووي، فأوفدت كبار مسؤولي السياسة الخارجية الأمريكية إلى جنيف يفاوضون طهران لدفع الملف النووي الإيراني، ومعرفة حقيقة الموقف الإيراني ،والذي يبدي انه موقف جاد ، فهل يمكن أن تمتد الضربات الجوية إلى سوريا ودعم الجيش السوري الحر لحسم الأزمة العالقة في سوريا ؟ .

إذا لم يرافق المواجهة العسكري حلول سياسية سترتفع موجة الإرهاب:

كلما طاردت أمريكا المتطرفين سهل على داعش تجنيد مقاتلين جدد، بينما الصراع السني الشيعي في المنطقة لا ينهيه سوى مصالحة إسلامية كبرى ونظام مدني يساوي بين الجميع ويحفظ الحقوق من خلال تحقيق العدل والمساواة.

الحرب ضد داعش هي من نوع من الحروب الحديثة، التي سعت منذ فترة إلى تأصيل الكراهية بين الشعوب في المنطقة والتي بدأت بالحرب على أفغانستان

والعراق، إذ أن أهم بنود التخطيط الاستراتيجي العسكري زرع التطرف والكراهية وإلغاء الآخر، للحصول على أشخاص بل جماعات مستعدين للتدمير وممارسة القتل مبنية فقط على الكراهية التي زرعت في نفوسهم.

العنف نظام ساكن ومعقد لا يمكن تبسيطه، قد يتوارى خلف الثورة والتطرف والشمولية، وممارسة العنف الشمولي ليس فقط في الحكم السياسي بل أيضا في الخطاب الديني والثقافي والسياسي والإعلامي والنظام العشائري والقبلي والأسري باعتبار أنها كانت مقموعة ومكبوتة تحت نظم حكم شمولية تسلطية، بمجرد سقوط تلك النظم الشمولية التسلطية، انتعش العنف الشمولي الاجتماعي غير السياسية من قمقمها إلى السطح ساهمت في إسقاط بقايا الدولة كما في العراق و ليبيا وسوريا واليمن.

العنف ظاهرة مركبة متصلة بالسلطة والمجتمع والدين، فغاية الدولة إسعاد السكان الذين يسكنون الدولة، لا الدفع بهم نحو الاقتتال، خصوصا وأن السياسية كامنة في ذات الإنسان، ويمكنه التوفيق بين الديمقراطية والارستقراطية، لكن ينعدم هذا التوفيق في ظل النظم الشمولية، ويظل العنف كامنا، وحينما يجد الفرصة يسود وينشط، خصوصا إذا ما وجد ظروف سياسية وأيديولوجية تغذيه ينمو مثل هذا العنف.

بسبب ظهور الدولة الشمولية التسلطية التي لعبت دورا في إخضاع مواطنيها، وبالتالي لم يصبح المجال العام مجالا مسموحا لممارسة الحرية، ولم يعد قادر على تحويله إلى إنتاج من أجل تفكيك العنف بين مكونات المجتمع الديني والثقافي والأسري حتى يتمكن المجتمع من إدارة العنف بين مكونات المجتمع.

السياسة مطالبة بقيادة التفاعل والتواصل الذي يطبع العلاقات بين الناس في إطار من الاختلاف والتمايز بينهم، وتساويهم رغم اختلافهم وتمايزهم وهي الضامن من أن تتحول السياسة أو تتحول مكونات المجتمع إلى العنف.

قد يرى البعض أن تحقق مثل هذا التوازن هو انتقال من مفهوم مثالي إلى واقعية مفرطة لمجرد الخروج من الثنائيات المتعارضة التي تطرحها عادة الفلسفة الكلاسيكية.

بينما نجد أن الثورات العربية عام ٢٠١١ استنسخت تأثير الفلسفة الماركسية في إعادة مفهوم العنف باعتباره ضرورة تاريخية لتنظيم الثورة وتأطير العنف الجماهيري، بينما يفترض أن العنف الثوري وسيلة للقضاء على عنف النظام الشمولي، ولكن العنف الثوري أوصل إلى مجتمع جديد تغيب فيه السياسة وأنتج عنفا جديدا لم يكن موجودا من قبل مثلما يدور في ليبيا واليمن.

كل التصورات عن العنف، هي تصورات اختزالية وناقصة، بسبب نقص العوائق الحقيقية أمام فهم ظاهرة العنف، خاصة عندما يعتبرها البعض هي ظاهرة طبيعية، خصوصا في المجال الاقتصادي حينما يرى إنجلز أن العنف محرك الاقتصاد، رغم انه لا يقصد الطبيعة العدوانية في اللاوعي للإنسان التي لا يمكن أن تخضع للسيطرة ، ولكن يقصد إنجلز الرغبة في الوصول إلى الهيمنة على الموارد ولكن هي في الحقيقة نزعة عدوانية لا تقل عن العنف التي تبرره الدول الكبرى وفق تصورات فلسفية أيديولوجية.

بل هناك في مدارس التحليل النفسي ترى أن العنف غريزة تدميرية لا يمكن قهرها، بينما الأديان السماوية تتعالى على مثل تلك النظرة وترفضها وترى أن الإنسان بطبعه إنسان اجتماعي ومخير خلقه الله (وهديناه النجدين)، بينما العنف حالة شاذة واستثنائية يمكن ترشيدها ومنعها من خلال الوعي الديني والثقافي.

فإذا كان العنف القديم في زمن نظم الحكم الشمولية التسلطية التي تركت العنف ساكن في النظام الاجتماعي، وتركت جوهره دون معالجة الذي يحتوي على أشكال متصارعة من التنظيمات الاجتماعية.

بعد سقوط نظم الحكم الشمولية التسلطية الفردية، تعددت أشكال العنف ، لكن أخذ هذا العنف أشكال معاصرة مختلفة جذريا عن أشكال العنف القديمة

مثل جماعات التكفير والهجرة في مصر زمن السادات والقاعدة التي ظهرت قبل احداث ١١ سبتمبر.

فأصبح العنف المعاصر أكثر استخداما للتقنيات الحديثة، ولديه القدرة على قهر الخصم، بل وإخضاعه أحيانا، لذلك نجد أن الولايات المتحدة خضعت لنظام طالبان ودخلت في مفاوضات في الدوحة رغم أنها فشلت تلك المفاوضات.

العنف المعاصر يتجه نحو السباق المحموم بالتسلح، خصوصا إذا ما وجد أجندة واستخبارات دولية تستخدمه بل تموله بالسلاح والذخيرة لإيجاد مبرر للتدخل في مناطق ترفض تواجد مثل تلك القوات، مثلما رفض العراق تواجد قوات أمريكية قبل انسحاب القوات الأمريكية، مثلها فشلت الاتفاقية الأمنية بين الولايات المتحدة وأفغانستان زمن الرئيس كرزاي فمحاربة الإرهاب بطلب تلك الدول هو بديل لتواجد وبقاء قوات الولايات المتحدة في العراق وفي بقية المنطقة.

يبدو أن الثورات والاحتجاجات، خصوصا التي خرجت في سوريا وليبيا تحولت إلى مسرح واقعي وبشكل جذري غيرت توجهات الجماهير، وهنا مكمن تأثير استمرار العنف، في المقابل رفض العالم في سوريا أن يلبي حاجة الجماهير، بينما لبت طلب الجماهير في ليبيا بسبب أنها منطقة بترولية، بينما سوريا ليست منطقة بترولية.

الثورات التي خرجت في العالم العربي عام ٢٠١١ لم تبنى على نظرية متماسكة، بل كانت ثورات عشوائية عبر أدوات التواصل الاجتماعي من دون قيادة سياسية، وعاشت تلك الثورات جهلا مركبا من حيث فهم نظرية الصراع الإقليمي والعالمي.

مثال على ذلك العديد من الثورات التي اكتفت بسحر الاضطرابات والاحتجاجات ضد النظم، لأنها لم تتمكن من التفريق بين العنف وبين مفاهيم مقاربة له في ذات الحقل، كمفهوم السلطة والقوة والنفوذ والقدرة.

خصوصا فيما يتعلق بحقيقة الدعم الإيراني والروسي المقدم للنظام السوري. بينما العهد الأمريكي الجديد كان خارج من أزمة مالية ،ودخل نظام جديد

برئاسة أوباما مخالف تماما للنظام الذي سبقه في عهد بوش الإبن،والذي لن يقود تحول في المنطقة على غرار طيش بوش الإبن.

هذا الخلط بين هذه المفاهيم واستعمالاتها ليس فقط بين السياسيين، بل أيضا لدى المفكرين والمثقفين، التي تحولت إلى أزمة، واكتفت بفهم التصور التاريخي للعنف، وهي لم تتمكن من التفريق بين عنف السلطة وعنف الأفراد التي أصابت الدولة بالفشل والانهيار.

وأخطر أنواع العنف المبني على رافعة دينية، والأخطر حينما يتحول هذا العنف إلى ظاهرة خاصة مرتبط بنوع المجتمعات، مثل ربط الإرهاب بالسنة، وهو مختلف عن الإرهاب السياسي الذي كانت تمارسه النظم الشمولية التسلطية لرفع منسوب الخوف والقلق، بينما العنف برافعة دينية هو صراع من أجل امتلاك الحقيقة وحل التناقضات بالقوة.

فلا يكفي رفض الإرهاب برافعة دينية، دون أن يكون هناك هدف واضح من هذا الرفض أو غاية محددة، حتى لا يحتوى هذا الرفض على فوضى وعشوائية في الحرب على الإرهاب.

الإرهاب الذي ينتج عن العنف سلوك خارج أطر مفهوم الدولة، وهو شكل من أشكال اليأس يعبر عنه المنخرطون فيه على طريقة الاقتصاص والانتقام الذي لا يستطيع أن يغير شئ من الواقع بل يزيده إرباكا وغموضا.

عبر العالم ١٠ سنوات من الشراكة الإستراتيجية في محاربة التطرف وتجفيف منابعه قد يكون التطرف خلالها دخل حالة موت سريري، أو تحول إلى خلايا نائمة، يقتنص الفرص عندما تحين.

عندما تغيب مقومات الدولة الحديثة القائمة على مؤسسات متماسكة والقادرة على احتكار العنف بقوة القانون، لذلك لم تنجح الديمقراطية في العراق بسبب أنها طبقت من الأعلى وليس من القاعدة، ولا يزال العراق يعاني من ديمقراطية المحاصصة الطائفية، وأكبر مثال على ذلك توزيع حقيبتي الدفاع والداخلية التي كانت الأولى للمكون السني والأخرى لمليشية بدر الشيعية.

وجدت الخلايا النائمة من الثورات العربية فرصة نادرة، بعدما تحولت تلك الدول إلى حواضن للإرهاب، نتيجة انهيار الدولة، والانفلات الأمني على مستوى الشرق الأوسط، خصوصا في سوريا التي أصبحت أرضا خصبة للتدريب، وتلقي العتاد والتحرك بحرية تامة.

فلابد من إزالة الأسباب التي أدت إلى ظهور الإرهاب، بدلا من الاكتفاء بمحاربة الإرهاب كظاهرة، دون إيجاد حلول سياسية لبؤر وحواضن الإرهاب التي كانت الأزمة الحقيقية والسبب الرئيسي في نشوء الإرهاب، ولن تنجح محاربة الإرهاب في القضاء عليه، قد تنجح المحاربة في تحجيمه، ولكن سيستمر التجنيد، ويقتنص الإرهاب فرص توقف القصف فيعيد تمدده مرة أخرى.

لماذا تحتاج الولايات المتحدة إلى تركيا لمواجهة داعش؟:

النظام الاستراتيجي الأمني العالمي الذي تقوده الولايات المتحدة بات في مواجهة تحديات في أوربا والشرق الأوسط وآسيا ،لكن مواجهة داعش في العراق وسوريا أصبحت في مقدمة أولويات الولايات المتحدة ،ولكن مع مزيد من تقاسم العبء مع الدول الغربية البارزة كفرنسا وبريطانيا وألمانيا بجانب الدول الإقليمية.

الولايات المتحدة وتركيا تقفان معا في مواجهة التحديات الإقليمية، وأهم المطالب الأمريكية من تركيا في منع دخول المقاتلين الأجانب إلى سوريا ، وفتح القواعد العسكرية التركية أمام القوات الأمريكية.

تركيا حرصت خلال الفترة الماضية من أي استهداف لاقتصادها ولأمنها ،ولديها اليوم هواجس من دعم الأكراد ضد داعش وهي على حدودها ،لذلك منعت تركيا أكراد تركيا من الدخول إلى سوريا لدعم أكراد سوريا ضد داعش.

تم الإعلان من تركيا عن الجيش السوري الحر وحتى الجماعات الإسلامية بل حتى داعش فإن سبع محافظات تركية حدودية تدعم داعش على كافة المستويات أي ثلث الأتراك يؤيدون داعش.

رغم ذلك فإن الولايات المتحدة ترى في الدور التركي أهم دور بحكم الموقع الجغرافي ، وأن تؤمن حدودها حتى تمنع تسرب المتشددين ، لذلك اجتمع نائب الرئيس الأمريكي بايدن مع أردوغان في نيويورك على هامش اجتماع الجمعية العمومية وطالب أردوغان بدخول الجيش التركي.

في ظل السيطرة الميدانية لداعش خصوصا في ظل المخزن الأيديولوجي الذي يقوم على القيمة والهوية بأنه يقاتل الكفار أو السنة مقابل الشيعة ،الاحتضان الواسع الذي تلقاه من الأكثرية السنية خصوصا بعدما ترك الجيش السوري الحر يقاتل الجيش النظامي المدجج بكافة أنواع الأسلحة من دون دعم دولي ، وكذلك تهميش السنة في العراق من قبل المالكي، فلم يتمكن التحالف من اختراق داعش على الأرض خصوصا بعدما قتلت داعش أعدادا كبيرة من الجواسيس.

التكنولوجيا والصور الجوية رغم فاعليتها إلا أنها بحاجة إلى جواسيس على الأرض ، فلم يتمكن التحالف إلا من صد التمدد وضرب مراكز القيادة ،ولكن لا يزال التحالف يفتقد إلى رسم أهداف أكثر دقة ، ووكالات الاستخبارات الأمريكية حصلت على معلومات ليست دقيقة ،أو كاملة ،بسبب الشعارات التي تستخدمها داعش في تهديد كل من يتعاون مع الخارج.

تدرك الولايات المتحدة أن الضربات الجوية لا تحسم معركة ،لكن لا القوات العراقية ولا البشمركة مؤهلة للتدخل ،لذلك هي ترى في تركيا والأردن ومن الأطراف الأوربية خصوصا وأن فرنسا قد شاركت بقوات برية في أفريقيا ،بسبب أن الذاكرة الأمريكية مجروحة في التدخل البري منذ فيتنام إلى العراق، لأن الدخول سهل ولكن الخروج صعب ،فمنذ أن جاء أوباما إلى سدة الحكم كانت أيدولوجيته سحب القوات الأمريكية من بؤر التوتر في أنحاء العالم.

تركيا هي الأخرى حذرة ،خصوصا في ظل علاقات متوترة مع الولايات المتحدة ورد تركيا على التمثيل المنخفض لواشنطن في تنصيب أردوغان بإيفاد نائب محافظ أنقرة لاستقبال كيري ،كما تحاشى أوباما ملاقاة أردوغان في نيويورك بل اكتفى بمهاتفته من على متن الطائرة.

تركيا تخشى أن تقود الحرب على داعش إلى إشعال الاحتقان الطائفي ، وترى تركيا أن الإجراء الأمريكي ضروري ولكنه لا يكفي ولديها ثلاثة شروط لمشاركتها في تلك الحرب لحماية شعوب ومصالح المنطقة ليس فقط مصالح الولايات المتحدة، وهذه الشروط تبدأ بوضع منطقة آمنة وعازلة ، وتضع الرئيس السوري شرطا أساسيا باعتباره يهدد أمن تركيا ، ووضع حظر جوي، بالطبع لم ترد الولايات المتحدة على مثل تلك الشروط خصوصا وأنها ترى إسقاط نظام الأسد مؤجل في الوقت الحالي.

تواجه الولايات المتحدة انتقادات حادة بسبب عدم فاعلية الضربات الجوية ضد داعش حول مدينة كوباني، ولا تريد الولايات المتحدة أن تخسر الانتخابات النصفية في الشهر المقبل، تركيا ستدفع أوباما الحذر من التورط في المستنقع السوري أن يغير من استراتيجيته.

ولكن لماذا تهتم الولايات المتحدة بأهمية انضمام تركيا إلى التحالف ضد داعش؟ لأسباب عديدة منها أن تركيا تجاور سوريا والعراق، ولا يمكن أن تنطلق الطائرات من دولة الإمارات ومن قاعدة العديد في قطر ومن قواعد في المحيط الهندي وهناك ١٢ قاعدة في تركيا أهمها قاعدة انجرليك في جنوب تركيا لسرعة الانطلاق نحو الأهداف المحددة وإن أعلنت تركيا أنها لم توافق على استخدام التحالف قواعدها لأن هناك اتفاق سري فضحه مسؤول أمريكي.

هناك لغط وأزمة يتحملها المجتمع الدولي وهو مسؤول عما يحدث في سوريا وفي كوباني، ولا يزال المشهد مشوشا، وهناك ضغوط متبادلة ما بين الموقفين الأمريكي والتركي، ويبدو أن هناك تحولا في مواقف كلا الدولتين، وهناك تقارب بينهما.

هذا التقارب بين الولايات المتحدة وتركيا أربك دولة إيران، ودخلت على الخط ،وهددت في حالة سقوط النظام السوري بأن تصبح هناك حرب إقليمية جديدة في المنطقة، بدأتها بإشارة من قبل حزب الله حينما تبني تفجيرا ضد دورية

إسرائيلية جنوب لبنان، وعرضت إيران على محاربة داعش في كوباني بعد أن تتلقى طلبا من نظام بشار الأسد باعتباره صاحب السيادة في سوريا.

رد سعود الفيصل على مطالب إيران، معتبرا أن إيران جزء من المشكلة وليست جزء من الحل، وعليها أن تسحب قواتها المحتلة من سوريا بعد أن فقد النظام السوري شرعيته، ولا يمكن أن يكون النظام السوري جزء من الحل السياسي في مستقبل سوريا كان هذا الرد في مؤتمر مشترك مع نظيره الألماني فرانك فالتر شتايتماير في جدة يوم الاثنين ١٣/١٠/٢٠١٤ .

هناك تفاهمات جديدة، وهناك تحول في الموقف الأمريكي تجاه تلبية الشروط التركية، خصوصا بعدما أعلن كيري هو ووزير خارجية بريطانيا عن إمكانية إقامة منطقة عازلة ومنطقة محمية بغطاء جوي كما في العراق وفي ليبيا، وهناك لقاء مرتقب بين كيري ولافروف في إطار المسألة حول فتح تحرك التحالف الدولي، فهل تنجح الولايات المتحدة في إبعاد روسيا عن إيران خصوصا وأن روسيا تريد أن تخرج من عزلتها التي تسببت فيها أزمة أوكرانيا؟.

إيران أصيبت بغضبة شديدة نتيجة التقارب التركي الأمريكي، خصوصا بعد التوصل بين الطرفين إلى تدريب المعارضة السورية في تركيا وفي العديد من العواصم العربية، مما جعلها تصعد من لهجتها تجاه تركيا وتجاه السعودية بمحاصرتها في البحرين وفي اليمن وفي لبنان.

التفاهم بين تركيا والولايات المتحدة حول خطة إستراتيجية واضحة وشفافة تطبق على الأرض في إطار سيناريوهات يشرك العديد من اللاعبين الإقليميين والدوليين قد تدخل قوات تركية وأجنبية وقد تكون خليجية لمواجهة داعش في كوباني.

تكون تركيا قد ضمنت عدم قيام كيان كردي على حدودها الجنوبية على غرار الكيان الكردي في العراق، وتضمن كذلك منطقة تنتشر فيها المعارضة السورية وليس فقط المعارضة الكردية استعدادا لمرحلة قادمة .

فقد حان الوقت بأن يكون الجميع واضحا في قراءة ما يجري في المستقبل، كما على الأكراد أن يطلقوا قراءة جديدة في المستقبل بعد مراهنتهم على النظام السوري.

الفصل التاسع

مسؤولية السعودية في مواجهة داعش وبقية الجماعات المتطرفة

السعودية تحذر العالم من خطر تمدد داعش والجماعات المتطرفة إلى خارج منطقة الشرق الأوسط والتحذير من استخدامها ورقة وسلاح:

يدور في الأوساط الغربية أسئلة عديدة ، ومنها بريطانيا الغارقة في جدال حول ما إذا كان العمل العسكري ضد الإرهابيين في العراق وفي سوريا سيجعلنا في أمان ، أم لن يكون له تأثير ، أم أنه سيعمل على تأجيج التهديد.

وبعد تصريحات عدد من كبار العسكريين الأمريكيين في واشنطن عن قيام الولايات المتحدة بعمل سريع ،خصوصا بعد تصريح وزير الدفاع الأميركي هيغل عندما قال عن الدولة الإسلامية (تتجاوز أي شئ رأيناه) ،بينما قال الجنرال مارتن ديمستي رئيس هيئة الأركان الأميركية المشتركة (بأن هذه الجماعة تمثل تهديدا لا يمكن دحره دون معالجة الجزء المتعلق بها الموجود في سوريا) ، ويؤكد كيري وزير الخارجية الأمريكية في مقال في صحيفة نيويروك تايمز إلى رد موحد بقيادة الولايات المتحدة وأوسع تحالف بين الأمم .

موقف الولايات المتحدة يتكرر ويذكرنا بموقف الولايات المتحدة ضد بشار الأسد بعد استخدامه الكيماوي في الغوطة ،ولكن تراجعت الولايات المتحدة عن الضربة

بعد موافقة الأسد التخلي عن الكيماوي تكون قد حققت الولايات المتحدة هدف لصالح إسرائيل في المنطقة .

تتجه سياسة أوباما بالبطئ وبالحذر الممزوج بالقلق وبالخوف من أشياء غبية يجمد الموقف الأمريكي تجاه الدولة الإسلامية فاجأ الكثيرين في واشنطن قبل المنطقة.

وريد أوباما اقتراح استراتيجية في مجلس الأمن في سبتمبر ٢٠١٤ ، لأن أوباما يخشى من توجيه ضربات إلى الدولة الإسلامية في سوريا أن يعزز موقف الأسد ،لذلك هو يدرس خيارات بعناية.

لذلك جاءت كلمة الملك عبد الله بن عبد العزيز للعالم ردا على مواقف أوباما قائلا بأن الإرهاب لا حدود له ،وأنه سيهدد العالم بأسره ، وبالفعل فإن مئات البريطانيين للقتال مع داعش ومثلهم فرنسيين وأوربيين وأمريكيين قد يكون الخطر على أوربا أكبرمن الولايات المتحدة ولكن الخطر على مصالح الولايات المتحدة في المنطقة أكبر ،وتعتبر الدول الأوربية أن عودتهم إلى بلادهم يمثل اختبارا للأجهزة الاستخباراتية وقد أجرت شركة TNS في بريطانيا في فبراير ٢٠١٤ استطلاعا للرأي توصل إلى أن ٧١ في المائة كانوا سعداء بتدخل الحكومة في الخصوصية الشخصية للتعامل مع الإرهابيين والمجرمين الخطرين لمواجهة العصر الرقمي الكبير الذي يستخدمه الارهابيون .

هناك تغيرات جيوسياسية في العالم وفي المنطقة ، فروسيا تعاني عزلة سياسية واقتصادية ، لذلك لم تنجح محاولات بشار الأسد الاستنجاد بروسيا في محاربة الإرهاب في حالة قررت الولايات المتحدة توجيه ضربات لداعش في سوريا ، وقد لا يتحقق ذلك ، ولكن ستقدم الولايات المتحدة قدرات قتالية عالية تفوق قدرة نظام بشار الأسد حتى تتمكن المعارضة من القتال على جبهتين داعش من جهة ونظام بشار الأسد من جهة أخرى ،مثلما دعمت الولايات المتحدة والغرب قوات البشمركة في العراق لمواجهة داعش ، ولكن دعمتها بضربات جوية محدودة ، هذا

إذا لم تتمكن إيران من إقناع بشار الأسد من التنحي سلميا مثلما نجحت في إقناع المالكي بالتنحي .

خصوصا وأن إيران اليوم منفتحة على السعودية من أجل معالجة العديد من الملفات العالقة في المنطقة ،خصوصا بعد توصل العالم إلى استبدال المالكي بالعبادي في خطوة وصفت بالعسيرة ،وبدأ مجلس الأمن يفرض عقوبات على مليشيات في ليبيا وصفت بخطوة تحمي أوربا من الإرهاب وتحمي أمن دولة مصر ، وكذلك يرفض مجلس الأمن تدخل دول أجنبية في اليمن في إشارة إلى إيران، أي أن إيران التقطت الإشارات الجديدة ، وهي مرحلة جديدة دخل فيها العالم ، ولن يقبل استمرار سياسات إيران القديمة في المنطقة ، فمن الأفضل أن تتعاون إيران مع السعودية.

على أثر تلك التغيرات هناك منادات عديدة في العراق من جبهات شيعية مثل التيار الصدري والحكيم ينتقدون المالكي في الابتعاد عن السعودية ،وهم الآن يصرون على العبادي على التواصل مع السعودية لمواجهة داعش في العراق وتيسير التوصل إلى حكومة شراكة وطنية بين جميع المكونات في وطن واحد.

داعش تهدد إيران وتركيا ولبنان والأردن ودول الخليج ، فعلى دول المنطقة أن تتعاون فيما بينها على محاربة داعش ومحاصرتها ، وقد ملت الولايات المتحدة من مقايضة إيران بالقضايا الإقليمية ، وخصوصا في محاربة داعش .

وتهديد داعش لإيران ولأذرعها في المنقطة مباشر ، ومشاركتها في قتال داعش لن يكون بشكل مباشر، وإنما عبر تقديم خدمات لوجستية حتى لا تثير ضغائن العرب السنة في المنطقة وحتى لا تصور بأنها حرب بين السنة والشيعة .

وإيران والغرب يريدون من العرب السنة في المنطقة هم الذين يقضون على داعش وسبق ، أن دافعت قوات الصحوة للعرب السنة في العراق عن ١٥٠ ألف جندي أميركي ،ولن تتمكن الولايات المتحدة سوى تقديم الأسلحة النوعية والضربات الجوية المحدودة .

وتعتبر الولايات المتحدة والنظام السوري والمالكي المسؤولون عن تمكين داعش من السيطرة على الأسلحة التي تركها الجيش العراقي والجيش النظامي التابع للأسد والسماح لهم بالسيطرة على آبار النفط في المناطق التي كانت تخضع للنظام السوري .

فيمكن تشكيل قوات إسلامية تقاتل داعش ،ويمكن أن تقضي على هذا التنظيم في أقصر وقت ممكن ، مع حل الأزمة السورية بنفس الطريقة التي تم حلها في العراق عن طريق تشكيل حكومة شراكة لا يستثنى فيها أحد تحت إشراف الأمم المتحدة مثلما تشرف الأمم المتحدة في اليمن.

رؤية السعودية في مواجهة الإرهاب:

الجميع يدعي محاربة الإرهاب ، ولكن معظم القوى تجد من الإرهاب وسيلة فعالة في تحقيق كثير من الغايات .

حتى الآن ترفض دول العالم وخصوصا الدول التي تسيطر على مجلس الأمن في وضع تعريف للإرهاب .

وبحكم مكانة السعودية الدينية والإستراتيجية والاقتصادية دشنت السعودية مبادرتين باسم الملك عبد الله بن عبد العزيز ، الأولى مبادرة الملك عبد الله للحوار بين الأديان تم تدشينها بعد أحداث ١١ سبتمبر ، والمبادرة الثانية مبادرة الملك عبد الله للتقريب بين المذاهب الإسلامية تم تدشينها بعد احتلال الولايات المتحدة للعراق ، لنزع فتيل الصراعات العالمية مع المسلمين من جهة والصراع بين المسلمين من جهة أخرى .

تمكنت الولايات المتحدة من تفكيك الإتحاد السوفيتي بواسطة الجهاديين بقيادة القاعدة ولكن عندما تخلت الولايات المتحدة عن القاعدة ولم تسلمها الحكم في المنطقة العربية وخصوصا في دول الخليج وعلى الأخص بلاد الحرمين ، بل اكتفت الباكستان بتسليمهم الحكم في أفغانستان (طالبان) بزعامة الملا عمر ، ولكن القاعدة اتجهت للانتقام من الولايات المتحدة فقامت بأحداث ١١ سبتمبر .

فغزت الولايات المتحدة أفغانستان ، وكانت الفرصة مواتية لإيران بلعب دور مساعد للولايات المتحدة ، فتعاونت الولايات المتحدة مع إيران ومع حلفائها داخل أفغانستان من الهزارة ، ويبدو أن سيناريو العراق يتكرر في أفغانستان بعد الانتخابات الأخيرة في استمرار نفوذ إيران وتستمر طالبان تتحكم في المناطق البشتونية التي تمثل ثلثي مساحة البلاد .

فرضت إيران على الولايات المتحدة أن تتعاون معها في أفغانستان وفي العراق ، فكيف تركت داعش تسيطر تماما على مدينة الفلوجة وتهدد منطقة الأنبار دون غيرها من المناطق العراقية في ظل حكومة منتخبة لا يمكن أن يصدق بأن حكومة العراق غير قادرة على منع نشوء وانتشار داعش التي سمح لها بأن تمتد حتى في سوريا تقاتل النظام السوري من أجل أن تبرر إيران بأن حزب الله وبقية أذرعها الأخرى تحارب الإرهاب والتكفيريين في سوريا وفي المنطقة ، وكذلك تصور إيران بأن الحوثيين في اليمن يقومون بنفس الدور وقتال التكفيريين الإرهابيين .

فإيران تردد الجملة الشهيرة للدكتور جوبلز وزير إعلام هتلر زمن ألمانيا النازية (لو كررت الكذبة مجموعة من المرات ستصبح حقيقة) في النهاية الشعوب تصدق الأكذوبة ، فكانت تدعي إيران أنها تقود حلف المقاومة والممانعة وأنها تقف صدا منيعا أمام قوى الاستكبار العالمي ودور حزب الله هو في الدفاع عن لبنان من اجتياح إسرائيل ، وبعدما انخرط الحزب في الحرب السورية بحجة محاربة التكفيريين والإرهابيين حتى يعطي رسالة للعالم بأنه يخدم أهداف أمريكا وإسرائيل .

وبعدما أعلنت السعودية أنها تقود مرحلة الإصلاح في بلدان التحول العربي والبدء بتقوية الجيش في لبنان وفي اليمن ، أعلن مستشار خامنئ بكل صراحة بامتداد النفوذ الإيراني حتى البحر المتوسط خوفا من تفكيك قوة حزب الله في لبنان ، وتفكيك قوة الحوثيين في اليمن .

بعد إعلان إيران تقليص إنتاج البلوتونيوم في مفاعل آراك إلى الخمس وجدتها فرصة بأن تغض الولايات المتحدة الطرف أو تقبل هذا النفوذ وتثبيته مقابل تقديم إيران تنازلات حول المفاعل النووي الإيراني .

والسعودية وضحت رؤيتها عن الإرهاب للعالم بأن سوريا ودول الفراغ الأمني الحاضن الرئيسي للجماعات الإرهابية ، ووجدت استخبارات دول تعمل على رعاية تنظيمات وإعادتهم إلى السعودية ، والسعودية لديها خبرة أمنية بعدما دحرت القاعدة من عام ٢٠٠٣ – ٢٠٠٦ ولكن استهداف السعودية اليوم له صلة بالفراغ الأمني في دول الجوار بدعم استخباراتي من قبل دول إقليمية .

وبعد فشل المشروع الأمني للإخوان الأم في مصر ، أدركت السعودية أن لهذا التنظيم معضلة الفروع في دول الخليج وخصوصا في قطر، وهم على محك الفناء السياسي كحركة أمنية فتم إدراجها على قوائم الإرهاب أسوة ببقية التنظيمات الأخرى التي تمارس الإرهاب .

وتواجه السعودية ارتداد مثل تلك الفروع في دول الخليج نحو الداخل بعد تهاوي مشروعها الأممي العابر للهوية الوطنية الذي يتعارض مع أسس الدولة الوطنية ، وهي على غرار ولاية الفقيه العابر للهويات تتعارض كذلك مع أسس الأمن الوطني والقومي والأولويات ، ولا تتوافق مع آليات الأحزاب السياسية التي تعمل تحت مظلة ومفهوم الدولة الوطنية ، نتيجة هوية مركبة ما بين الديني والسياسي سببت ارتباكا كبيرا على مستوى الهوية وآليات العمل السياسي بسبب أنها تعمل على أنقاض الدولة الوطنية .

والرياض الدولة الوحيدة التي حذرت من حزب الله في عام ٢٠٠٦ الذي تسبب في تدمير البنى التحتية اللبنانية ، بينما أصدرت جماعة الإخوان المسلمين نداء يدعم حزب الله في لبنان باعتباره مقاومة .

ولكن حربه في سوريا كشفت عن النوايا الحقيقية لحزب الله بأنه ذراع إيرانية في لبنان ما يعني أن السعودية معنية بفك الارتباط بين فروع جماعة الإخوان المسلمين في دول الخليج وبين حزب الله الإيراني في لبنان ، للوقوف أمام امتداد

النفوذ الإيراني الذي اعترف به مستشار خامنئ ، والذي أشاد بالأسد الذي رهن النفط البحري لدى بوتين على غرار تحالف الأسد الأب مع الخميني ومنح برجينيف قاعدة في طرطوس ما يعني أن سوريا ستلحق بالعراق وأفغانستان بعد فشل إيران الهيمنة على مصر قلب العروبة بمساعدة الولايات المتحدة ولكن أفشلت السعودية هذا المخطط من أجل الحفاظ على البقية الباقية من الأمن العربي المدمر .

أبعاد توقيت صدور الأمر الملكي السعودي بالسجن للمشاركين في أعمال قتالية خارج السعودية:

منذ بداية الأزمة السورية والأمة العربية والإسلامية تعيش في ظل ظروف استثنائية أصبحت مهددة ومهمشة بل حتى دينها أصبح في دائرة الاتهام خصوصا في زمن الحرب على الإرهاب الصناعة الأمريكية في زمن بوش الابن (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) .

وسارعت السعودية بحكم مكانتها الإسلامية بالدعوة إلى عقد قمة إسلامية استثنائية في مكة بجوار البيت العتيق في شهر رمضان الكريم في عام ٢٠١٢ عندما عجز المجتمع الدولي المنقسم في ذلك الوقت في إيجاد موقف موحد يحقق الأمن للمنطقة وينقذ الشعب السوري من أزمته ، وكانت القمة رسالة موجهة لنقد الذات ولنزع فتيل الاقتتال الطائفي في المنطقة التي تغذيه جهات إقليمية ، فأقترح الملك عبد الله إنشاء مركز لحوار المذاهب الإسلامية مقره في الرياض وأقره المؤتمرون ليخرج الأمة الإسلامية من واقعها البائس في إيقاف الصراع المذهبي والسياسي الذي يتغذى عليه ، وكانت الفكرة أساسا لتفويت الفرصة على الدول الكبرى أن تقسم المنطقة على أسس طائفية .

واليوم وبعدما وجدت السعودية أن الجهاديين وحتى الحركات الجهادية باتت لعبة في يد الاستخبارات الإقليمية والعالمية وتسببت في إطالة أمد الأزمة السورية وباتت تهدد أمن الدول الإقليمية ، وفي ظل ترتيبات إقليمية ودولية وحفاظا على الأمن الداخلي أصدر الملك عبد الله قرارا في ١٤٣٥/٤/٣ بالسجن للمشاركين في

أعمال قتالية خارج المملكة بعد تهيئة المجتمع بمثل هذا القرار مسبقا ، وأعطى القرارمهلة شهرا لمراجعة الجماعات مواقفها التي تشارك في أعمال قتالية أو تنتمي لتيارات متطرفة سواء أكانت جهادية أو فكرية أيا كانت مكانة تلك الجماعات والأفراد حتى ولو كانوا أفرادا يتابعهم الملايين في شبكة التواصل الاجتماعي خصوصا ممن يرفعون شعارات مناهضة كشعار رابعة يهدد الأمن الوطني ويقود للانقسام والنزاع والتفتت ، ولم يتطرق القرار إلى كلمة إرهاب لا من قريب ولا من بعيد حتى لا تجاري الإرهاب الصناعة الأمريكية زمن بوش الابن ، بل أشار القرار إلى عبارات صريحة وواضحة ولا تحتاج إلى تفسيرات غامضة أو تحاكي محاربة الإرهاب الدولي ولكن ركز القرار على عبارة القتال خارج السعودية بشكل واضح ، بينما السعودية تقوم بدعم جماعات سورية معارضة معتدلة ومختارة بالسلاح والمال بالتنسيق مع الولايات المتحدة حتى لا تتهم بدعم جماعات جهادية متشددة أو متطرفة .

وهذا القرار هو رسالة للداخل وللخارج في آن واحد وهذا القرار ينفي التهم التي توجه للسعودية من دول لها أجندات خاصة تدعم هي الإرهاب وتلصقه بالسعودية من أجل الضغط على السعودية لإيقاف دعمها المتواصل للمعارضة السورية المعتدلة ، وداخليا لا تريد السعودية بعدما نجحت في تجفيف منابع التطرف في الفترة الماضية ونجحت في تبني برنامج المناصحة والذي حقق نتائج مباشرة ، ولكن تدرك السعودية أن الفكر يحتاج إلى فكر مضاد لتفكيكه وتجريده من الأفكار الخاطئة والظنية .

وتخشى السعودية أن تعيد الأزمة السورية والأحداث في مصر جذوة الإرهاب في داخل السعودية من جديد وتؤدي إلى تقسيم المجتمع نتيجة الانتماءات لتيارات خارجية ، ولم يكن القرار ردة فعل كما يعتقد البعض بل كان قرار استراتيجي له هدف محدد في مواجهة وباء التطرف بكل حسم خصوصا بعد الزخم الذي غطى المنطقة حتى لا يصبح السعودي بضاعة مزجاة يباع ويشترى بهدف تشويه سمعة السعودية من أجل مواصلة اتهامها من أنها تدعم الإرهاب مثلما يردد

حزب الله ونظام بشار الأسد ، بينما حزب الله يشارك في القتال في سوريا علانية إلى جانب النظام السوري هو ومليشيات أخرى أتت من العراق ومن جهات أخرى عديدة وصورت بأن القتال في سوريا وفي المنطقة طائفي حتى تقضي على الثورة السورية .

قواعد الاتحاد الأوربي تتيح لكل مواطني دوله الحق في العيش والعمل في أي من دول التكتل (٢٨ دولة)، تفاوض بريطانيا من أجل البقاء في التكتل مقابل أن تحصل على حق تقليل تدفق المهاجرين إلى بريطانيا من دول الاتحاد الأوربي، وتتحدى ميركل كاميرون أن تخرج لندن من هذا التكتل، ولن يوافق الاتحاد الأوربي على مثل تلك المطالب المعارضة لأهداف التكتل الذي من أجلها وجد الاتحاد.

تتجه أوربا نحو التكامل والتكتل والعيش المشترك الجماعي بعد حروب قرون طويلة نهايتها كانت حربين عالميتين، بينما كان العالم الإسلامي يعيش حالة من لم الشمل وعاشت في كنفه كل الأعراق وكل الديانات، وكان التنقل بين بلدانه حر دون أن يجد أي شخص قيود أو ممانعة تمنعه من التنقل والتحرك بحرية تامة، إذا لم يكن هناك مسوغ شرعي يمنعه من هذا التنقل، بل إن الإسلام فرض لابن السبيل والمهاجر جزء من المال، وهو أحد الثمانية الذين يجب أن تدفع لهم الأموال لإعانتهم على الحياة الجديدة.

مصطلحي الأغلبية والأقلية توصيف سياسي نشأ مع الديمقراطية في الغرب، ولكن يرفض الإسلام تطبيق مثل تلك التوصيفات في غير سياقها السياسي لأن معنى أغلبية وأقلية تعني هيمنة الأغلبية السكانية على الأقلية السكانية ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم حينما قدم المدينة وقع معاهدة مع جميع مكونات المدينة من مسلمين ويهود ومشركين تحت مسمى أمة واحدة دون التفريق بين أغلبية وأقلية.

اكتسب الملك عبد العزيز اعترافا دوليا بكيانه الموحد الجديد الذي لا يعترف بمثل تلك التقسيمات السكانية بين الشعب الواحد بجميع مكوناته، ويعتبرها تصنيفات طائفية يرفضها الإسلام لأنها تقسم المجتمع وتفتت الجسد الواحد، وكان يقول الرسول صلى الله عليه وسلم أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، وهي كانت سبب من أسباب حروب الجاهلية.

أبعاد جريمة الدالوة على الأمن الوطني والاجتماعي السعودي:

جريمة حسينية الدالوة إرهاب لا ينفصل عن الإرهاب الذي يضرب المنطقة بأسرها نتيجة السياسات الخاطئة التي ارتكبتها الولايات المتحدة في المنطقة بعد ثورات الربيع العربي حولت المنطقة إلى حاضنة رئيسية نمى فيها الإرهاب وتمدد، حتى أصبحت القاعدة لها القدرة على أن تهزم مسلحين سوريين تدعمهم واشنطن جزء منهم استسلم للقاعدة والجزء الآخر انشق وانضم إلى النصرة.

داعش يمطر بغداد بالمفخخات عشية ذروة عاشوراء بعد قتله من قبيلة البونمر نحو ٥٠٠ شخص انتقاما منهم بسبب أنهم كانوا جزءا من قوات الصحوة التي حاربت القاعدة لتطهير المنطقة منهم وحماية الجنود الأمريكيين، تركوا يلقوا حتفهم، ولم تنقذهم لا أمريكا جزاء على إنقاذ الجنود الأمريكيين من القاعدة فيما سبق، كما لم يجدوا الدعم من الحكومة المركزية العراقية خشية أن تمتلك العشائر السنية السلاح التي يمكن أن تحتفظ بها وتنقلب على الحكومة المركزية.

ديمقراطية المحاصصة التي طبقتها الولايات المتحدة في العراق أثبتت هشاشتها، بل عانت من تجاوزات وتضييق على الحريات وحقوق الإنسان، ومعروف عن الولايات المتحدة أنها لا تكترث ولا تعترف بالحريات والحقوق، فمثلا احتجزت ١١٠ ألف ياباني بعد ضربة بيرل هاربور من قبل اليابان في الحرب العالمية الثانية، وحتى بعد أحداث ١١ سبتمبر قادت حربا على الإسلام بحجة الحرب على الإرهاب.

وزير خارجية بريطانيا صرح بأن بلاده قد تستخدم قوانين العصور الوسطى التي ترجع إلى عام ١٣٥١ بخصوص توجيه التهم لبريطانيين أعلنوا ولاءهم لداعش أي يمكن تطبيق حكم الإعدام بحقهم.

يدفع الجميع ضريبة فشل المجتمع الدولي في ترك الإرهاب يتمدد وينمو، وسبق أن حذر الملك عبد الله بن عبد العزيز الغرب بأن الإرهاب سيطال الجميع بما فيها الدول الغربية.

بدأ المجتمع الغربي يتجه نحو التضحية بحرياته مقابل الأمن، خصوصا بعدما شعروا أنهم تحت طائلة الإرهاب، وهو تهديد قوي خصوصا من قبل العائدين من تلك المنطقة التي يسود فيها الإرهاب بطرق خفية وغير قانونية عن طريق التهريب عبر القوارب التي تعبر البحر المتوسط.

لا يمكن أن تخلو المجتمعات من التطرف والإرهاب على مر التاريخ، ويمكن ضمن حدود ضيقة ومحدودة، لكن حينما يجد الإرهاب دولا واستخبارات تساهم في صنعه، فإن الإرهاب يضرب الجميع ويخرج عن السيطرة وهو ما حدث الآن بالفعل.

صحيح أن من أسباب الإرهاب هناك أسباب محلية نتيجة تداخل مخل بين دائرتي العقيدة والرسالة الذي يفرز تطرفا وغلوا، لأنه يكون قد أدار ظهره للرسالة وللمشتركات، ونصب المتطرف نفسه وصيا وقاضيا على الآخرين، بل وضع نفسه مكان رب العالمين.

بسبب أن هناك خلل فكري، قد يكون المتطرف طبيبا ومهندسا وحاصل على أعلى الدرجات العلمية والشرعية، ولكن أصابه الخلل الفكري بسبب أنهم يقرؤن الإسلام من نعله وليس من رأسه، ويرون في ٧٠ أية تدعو الرسول صلى الله عليه وسلم بالصفح والعفو والرحمة، ولكنهم يقولون أن كل هذه الآيات السبعين نسختها آية واحدة هي آية السيف، أي آية القتال، رغم أن القتال استثناء وضرورة (وقاتلوا الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين).

لكنهم يجتزئون الإسلام ويخرجون الآيات عن سياقاتها، ويرون أن قيام الدولة لا يمكن أن يتم إلا بالحرب، وكأنهم يحرفون آية (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) إلا لقتال العالمين، ولذلك أول من سن القتل على الجنسية القاعدة عام ١٩٩٧ عندما أمرت بقتل كل يهودي وكل أمريكي، بينما أكبر دولة إسلامية أندونيسيا أكثر من ١٥٠ مليون مسلم دخل إليها الإسلام عن طريق تسعة أشخاص من دون قتال عن طريق الدعوة إلى الله والقدوة الحسنة.

فهم يقتلون بالاسم مثل أبو بكر أو عمر أو بالمذهب أو بالجنسية، بينما في الإسلام علة القتال المقاتلة، مثلما استنكر الرسول صلى الله عليه وسلم حينما وجد امرأة مقتولة في إحدى الغزوات فقال ما كانت هذه تقاتل، وحدد منذ ذلك الوقت أن علة القتال هي المقاتلة وليست العلة في القتال بسبب الاختلاف المذهبي أو الديني.

ونجد أن الزرقاوي فجر مسجد ديالي بسبب الاختلاف المذهبي، وداعشي يفتخر بتفجير قبر النبي يونس عليه السلام، وسبق أن مر عليه الفرس والمسلمون والتتار والمغول والانجليز ولم يتعرضوا له ، وكذلك تفجير قبر شسيس الابن السابع لآدم من قبل داعشي.

لم يتعرض الشيعة في السعودية في زمن الحكم السعودي لأي هجوم، مثلما تعرض شيعة العراق والباكستان لهجوم من قبل متطرفي السنة، خصوصا بعد احتلال أمريكا لأفغانستان والعراق انتقاما من الشيعة الذين تعاونوا مع أمريكا أثناء الغزو، وقد تكون نتيجة احتقان مذهبي وطائفي متبادلة، وأصبحت حتى المساجد غير مستبعدة من الاستهداف.

تمت مواجهة هذه الجريمة التي استباحت الدماء برد سريع من قوات الأمن السعودي السريع على منفذي العملية تزامنت مع استنكار سريع وصادر من هيئة كبار العلماء واعتبرته هتكا للحرمات.

وصرح مفتي السعودية على الفور بأن ما جرى في الأحساء من هذا الاعتداء الغاشم والظلم العظيم إنما هو من قلوب مريضة تريد إشعال الفتنة بين الناس بعضهم بعضا ويأبى الله ذلك.

بل أجمعت كافة الشخصيات على أهمية صيانة اللحمة الوطنية، والحفاظ على السلم الاجتماعي، ونبذ التطرف والكراهية للحفاظ على المنجزات والمكتسبات الوطنية، ويجب ألا تكون تلك الجريمة أن يكون لها أي أثر على اللحمة الوطنية، ولكن على الجميع التحلي بروح المسؤولية والحكمة وعدم التهوين من ارتكاب مثل تلك الجرائم التي ترتكب في حق فئة من المواطنين تحت أي ذريعة.

يجب ألا يسمح المجتمع لتأجيج الفتن والانجرار وراء صيحات وتعليقات هنا وهناك من أي طرف أو من أي فئة سواء كانت من هذا الطرف أو من ذاك الطرف. مثل تعليق حسن نصر الله على جريمة الأحساء حينما قال بأنهم على خط الحسين وصيحة هيهات منا المذلة ضد طغاة هذا العالم.

الدولة تقوم بواجبها حفاظا على أمن الوطن والمجتمع ،ولن تسمح بتوظيف مفاعيل جريمة الدالوة لغرض سياسي أو دعائي من أي طرف أو جماعة أو دولة.

يجب أن تطال محاسبة الفضائيات التي تقوم بدور تغذية التطرف والتشدد تحت أي بند أو تحت أي مسمى، وأن يحل محلها حوار وطني شامل لا يفرق بين مكون أو مذهب وآخر، والجميع سواسية بحكم القانون وبحكم العيش المشترك.

إذا كانت هناك من كلمة، فهي كلمة بالمعروف في ظل ظروف مناسبة (يؤتي الحكمة من يشاء ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) ويكون الأمر بالمعروف والحسنى دون انتظار النتائج تماشيا مع قول الله سبحانه وتعالى (أدعو إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) (وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه إلى الله).

مسؤولية الدور السعودي في مواجهة داعش في المنطقة من خلال دعم الجيش اللبناني والكردي في العراق:

اتجهت الولايات المتحدة إلى الانعزالية بعدما أن أنهكتها الحرب على أفغانستان والعراق ،وضربتها الأزمة المالية ، وهي في حالة استعادة عافيتها الاقتصادية حتى لا تسمح لقوى أخرى سواء الصين أو الاتحاد الأوربي أن يتجاوزها فتضعف هيمنتها العالمية.

لكن هناك من يجادل في الولايات المتحدة وينتقد سياسة أوباما الانعزالية ويعتبرها تشكل خطرا على الأمن القومي الأميركي ، ومنهم ريك بيري حاكم ولاية تكساس الأميركية وهو يعارض سياسة الجمهوريين مثل السيناتور راند بول النائب عن ولاية كنتاكي الذي يقترح على أمريكا أن تتجاهل ما يحدث في العراق.

يواجه العالم شكلا من أشكال التطرف ولكنه أكثر خطرا من القاعدة ، ممثلا في الدولة الإسلامية التي بدأت تهدد أمن الشرق الأوسط ، ويستدل ريك بيري بخطر الارهاب على أوربا وأمريكا في قيام أميركيا بعملية انتحارية ، وارهابيا أوربيا بقتل أربعة أشخاص في متحف يهودي في بروكسل.

هناك خلاف في الولايات المتحدة بين القيادة من الأمام مثل الرئيس ريغان والقيادة من الخلف مثل الرئيس أوباما مما مكنت مثل تلك القيادة السلبية من نشوء خطر مثل الدولة الإسلامية من التمدد والنمو ومن لعب دور رئيسي في نمو الإرهاب الذي يهدد العالم وليس فقط الشرق الأوسط ، لأن أمن الولايات المتحدة وازدهارها الاقتصادي يتطلبان مشاركة وقيادة مستمرتين في الخارج ، ويبدو أن أوباما يستجيب لتنبوءات المزيفين عن الحياة وهي التي رفضها كل من الرئيسين السابقين للولايات المتحدة هما ايزنهاور وريغان ، بينما أوباما في الجهة المعاكسة تماما لبوش الابن وكلا القيادتين سلبيتان تهددان أمن الولايات المتحدة.

الوضع أصبح أكثر خطرا من القاعدة ، فتحول الإرهاب من جماعات إلى جيوش، ويحصلون على أسلحة من الجيل الثاني مثل (آ ربي جي ٢٩) الروسي ، بالإضافة

إلى الحصول على صواريخ مضادة للدبابات موجهة لاسلكيا ، وتعلموا كيفية بناء وحدات قتالية ،وطرق استخدام الأسلحة والتكتيكات بشكل جيد للغاية ، ساعدهم استخدام الساحة السورية ساحة تدريب ، سمحت لهم تلك الحرب بصنع قادة وتشكيل تكتيكات قادرة على المناورة مستعينين باستخدام الإعلام الاجتماعي المتعاطف معهم والتسويات الاستراتيجية في مناطق القتال التي يتمددون فيها.

إنها تمثل حدث تحذيري للدول الإقليمية قبل الدولية ما جعل الملك عبد الله يقوم بدوره ويعلن عن دعم الجيش اللبناني بقيمة ثلاثة مليارات دولار وتسليحه لحماية أمنه من التهديدين الخارجي والداخلي ولكن وبعد هجوم المسلحين على عرسال واحتلالها جاء في هجوم مباغت دق ناقوس الخطر في الإسراع في الحصول على الأسلحة التي اتفق لبنان مع فرنسا ، ويؤكد وقوف السعودية إلى جانب الدولة ومؤسساتها ، بينما قادت هيئة العلماء المسلمين إلى تحقيق هدنة بين الطرفين ريثما يستعيد الجيش رتيب أوراقه لمواجهة التهديد المباشر بسبب مشاركة حزب الله في سوريا قد تكون مقدمة لإجبار حزب الله على الانسحاب من سوريا مقابل انسحاب قوات المتشددين.

بينما في العراق الوضع لا يقل خطورة بينما المالكي مشغول في التنازع على الإستئثار بالولاية الثالثة ،وبسبب اعتماد المالكي على مليشيات تدعمها إيران غير قادرة على مواجهة الإرهاب هربت في أول اختبار لها من الموصل أثناء مداهمة داعش للموصل وتراجعت هذه المليشيات لحماية أماكن المالكي في بغداد في المنطقة الخضراء ما تعرف ب(مناطق حزام بغداد) حتى أن مستشارين عسكريين أمريكيين يحذرون من مخاطر مساعدة قوات عراقية ضعيفة.

فبدأت المواجهة بين داعش والأكراد بعد المجازر التي حدثت في سنجار الموطن الرئيسي للأقلية اليزيدية في شمال غرب العراق التي استولى عليها داعش ،وعجزت الحكومة الاتحادية والكردستانية والمجتمع الدولي عن التدخل السريع لوضع حد

للمجازر التي يرتكبها داعش بحق المدنيين العزل خصوصا بحق مكون اليزيديين وانقاذ نسائهم من السبي والاسترقاق الذي يهددهم .

والآن امتدت المعارك بين قوات البيشمركة الكردية في ظل غياب قوات عراقية في مواجهة داعش من غرب مدينة الموصل إلى جنوبها وشمال شرقها وهي تحاول أن تتقدم تجاه كل المناطق التي انسحبت منها سابقا وهي تنوي استعادة سنجار ولكن ضمن خطوات غير متعجلة.

الأسباب التي جعلت المراجع الشيعية تدعم زيارة الرئيس العراقي فؤاد معصوم للسعودية ؟:

قاومت السعودية عواصف مغامرات إيران وأتباعها، ومقاومة كافة الابتزازات السياسية والإعلامية، ولم تنجح محاولات إيران من النيل من دور السعودية والمزايدة على مكانتها العالمية والإقليمية والإسلامية، بل استمرت السعودية ملتزمة بدورها العربي والإسلامي في الدفاع عن الحقوق العربية والإسلامية.

لم تنجح إيران في تحويل شيعة العراق بعد غزو أمريكا العراق إلى جالية فارسية، إيران كما أمريكا في أزمة داخلية وخارجية، فالولايات المتحدة وإيران في أجواء شد حول التوصل إلى اتفاق نووي بين الطرفين، ولكن يؤكد وزيري خارجية روسيا وأمريكا بضرورة التوصل لاتفاق في أسرع وقت، وروحاني يتحدث عن تنازلات ويريد اتفاقا على قاعدة الجميع رابحون، خصوصا بعدما أكد علي شمخاني أمين المجلس الأعلى للأمن القومي بسماح بلاده للمفتشين الدوليين بدخول المواقع العسكرية.

إيران في حاجة للسعودية لرفع أسعار النفط حتى لا تستخدم النفط ورقة في الضغط على إيران لذلك هي تود إقامة جبهة، وكانت محطة روحاني الدبلوماسية لرفع أسعار النفط الأولى دولة قطر، تبعتها المحطة الثانية دولة الكويت، بينما التقطت السعودية الإشارة وأعلن وزير النفط السعودي بأن السعودية تريد استقرار أسواق النفط ولا ترى حرب أسعار.

شعر شيعة العراق بأن داعش هي نتيجة سياسات المالكي الاقصائية للسنة بشكل خاص، وإذا لم تتدخل المرجعيات الشيعية في العراق، فإن العشائر السنية ستنضم إلى داعش وتهدد العراق بأكمله، لذلك دعمت أكبر أربع مراجع شيعية الرئيس فؤاد معصوم زيارته للسعودية والانفتاح عليها بسبب أنها عمق استراتيجي للعراق لمواجهة داعش الذي يهدد العراق.

قام العبادي بإعفاء ٢٦ قائدا عسكريا من مهامهم في إطار محاربة الفساد تتزامن مع زيارة الرئيس فؤاد معصوم للسعودية في إشارة إلى جديدة الحكومة الجديدة في العراق التي يرأسها العبادي من أجل تحقيق نجاح زيارة فؤاد معصوم حتى أقنع السعودية التي صرحت بأن العراق عراقنا وستفتح السفارة بأقرب مما تتصورن.

التغيرات التي قام بها العبادي في المؤسسة الأمنية بسبب أن العراق يدفع ثمن حل بول بريمر الجيش، وأعد جيشا فيما بعد جيش هزيمة وليس جيش انتصار، وما يقوم به العبادي هو انقلاب هادئ على المالكي الذي يحتل نائبا للرئيس ما يعني تهميشه في منصبه، خصوصا بعدما شعر العبادي بأن قراراته لا تجد استجابة لدى المؤسسة الأمنية أو من كبار الأمنيين بسبب هيمنة المالكي عليهم، وهو نوع من الصراع الخفي بين العبادي والمالكي في إبعاد القادة الأمنيين الذين ارتبطوا بالمالكي.

حيث صرح العبادي قائلا نريد أن نعيد الثقة بالمؤسسة الأمنية، وجاءت تلك التغييرات بعد استشارات مع الأمريكيين للقضاء على مؤسسة الفساد التابعة للمالكي داخل المؤسسة الأمنية والعسكرية، بسبب أن رتبا كبيرة تدفع لهم نصف الرواتب، ولكنها لا تمتلك عقيدة عسكرية ولا رؤية قتالية رغم صرف مائة مليار دولار.

أي أن المالكي أعد جيشا للهزيمة وليس للانتصار حسب رغبة إيران وبول بريمر ، بل إن عقيدة المالكي تنخر في كافة مؤسسات الدولة وليس فقط في المؤسسة الأمنية والعسكرية.

لابد من إعادة هيكلتها على أسس مهنية حتى لا ينظر إلى الجيش بأنه يمثل طائفة بعينها وتحوله إلى مؤسسة وقوة بوليسية، وهي أحدى الأسباب الرئيسية التي كانت في فشل تلك القوة البوليسية في مواجهة داعش، لذلك كان عزل ٣٦ قائدا عسكريا لتحسين أداء المؤسسة العسكرية من أجل إنشاء جيش وطني ولاؤه للوطن وليس للطائفة.

زيارة الرئيس معصوم السعودية تهدئ من روع العشائر السنية وتعيد الثقة إليهم بعد السياسات الطائفية التي مارسها المالكي خلال فترتين من حكمه، تسببت في تفكيك العراق الموحد، وقسمته إلى طوائف وكانتونات صغيرة تتكون من أقليات وعشائر قبلية تتصارع فيما بينها.

عقد مؤخرا اجتماع لشيوخ عشائر شيعة وسنة في بغداد لبحث سبل مكافحة داعش لمناقشة عقبات أبرزها غياب الثقة ونقص الأموال والفساد التي مكنت داعش من قتل خمسمائة من عشائر البونمر.

أقنع القادة الأمريكيون القادة العراقيين أنه يتعين عليهم اتخاذ إجراءات سريعة لكسب المصداقية عند السنة، لا سيما عقب سقوط عشيرة البونمر ومعاقل قبلية أخرى في محافظة الأنبار في أيدي داعش ، ويرى القادة الأمريكيون الاستعانة بزعماء القبائل وتشكيل الحرس الوطني لمحاربة داعش يضمن تراجع بعض القبائل عن تأييد داعش.

كانت زيارة الرئيس معصوم للسعودية تثبيت للعشائر السنية جدية الحكومة العراقية الجديدة في إنهاء سياسات المالكي الإقصائية التي اتبعتها في الماضي خصوصا بعدما أقصى العبادي القادة العسكريين التابعين للماكي.

الفصل العاشر

سبل مواجهة الأسباب الأيديولوجية التي أدت إلى ظهور الإرهاب

الإرهاب كل لا يتجزأ:

كنت في استضافة قناة أل cnbc عربية من أجل المشاركة في الإجابة على أسباب تمدد الإرهاب في المنطقة تبعه المقدم بسؤال آخر مهم جدا عن مدى تعاطف الشباب العربي والإسلامي مع تلك الجماعات الإرهابية التي تلبس عباءة الدين، بالطبع لم يكن الوقت كافيا لتوضيح الإجابة بشكل كافي ، فأحببت أن أوضح في هذا المقال ما لم أتمكن من توضيحه على الهواء .

أود أولا أن أعرف ما هو الإرهاب مستنبطا من ديننا الإسلامي ، وبكل بساطة يمكن استنتاجه من العديد من الآيات (وقاتلوا الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) أي أن تعريف الإرهاب ببساطه هو الاعتداء ، بينما مقاتلة من يقاتلنا ليس بإرهاب ، بل إن الدين الإسلامي اعتبر من يرد العدوان بعدوان مثله اعتداء لأنه يمكن أن يعفو ويصفح (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واعلموا أن الله مع المتقين) وسماه الله بالعقاب (ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور) وسماها بالسيئة (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين) وسماه البغي (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) أي لديهم قوة الانتصار .

ويمكن تقديم العفو والصفح للمعتدي مثلما فعله يوسف عليه السلام مع إخوته مع قدرته على معاقبتهم (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم) فلم يكتف بالصفح عنهم بل دعا لهم الله أن يغفر لهم ، وقد عفا رسول الله عن أولئك النفر الثمانين الذين قصدوه عام الحديبية ونزلوا من جبل التنعيم ،فلما قدر عليهم منّ عليهم مع قدرته على الانتقام ، وكذلك عفوه عن غورث بن الحارث الذي أراد الفتك به حينما كان يحمل سيف وكان رسول الله نائما وعندما تمكن منه عفا عنه ، وكذلك عفا عن لبيد بن الأعصم الذي سحره ، وكذلك عفوه عن المرأة اليهودية وهي زينب أخت مرجت اليهودي الخيبري الذي قتله محمود بن سلمه والتي سممت الذراع يوم خيبر فأخبره الذراع واعترفت بما فعلته .

ولكن دفع المعتدي بالقتال له ضوابط ، ولا يحق لأي شخص أن ينصب نفسه نيابة عن الدولة ،ونيابة عن المرجعيات الدينية التي هي أيضا لا تملك أمر التنفيذ وأمر القتال وإنما فتواها للقتال للدولة والدولة هي التي تتخذ أمر تنفيذ القتال ضمن حسابات قد لا تفهمها المرجعيات ولا الأفراد ، ولكن حينما يتجه الفرد أو الجماعة إلى أن يفتي لنفسه ولمجموعته بالقتال جهادا في سبيل الله فإنه يدخل في باب الإرهاب لأنه خرج عن القيود التي وضعها الدين الإسلامي وحقق بغية الدول الكبرى التي تريد أن تشوه سمعة هذا الدين العظيم (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير).

لذلك فإن الملك عبد الله حينما وجه حديثه للعلماء وطالبهم بعدم الصمت والسكوت تجاه ما يحدث في المنطقة ، لأنهم يعرفون ضوابط القتال ما لم يعرفه غيرهم ، وعليهم أن يبينوا للشباب المتعاطف والمتحمس الذي يتأثر بمواقع التواصل الاجتماعي، من أجل أن يعرفوا الحقيقة الكاملة ، حتى ولو اتهم هؤلاء العلماء بأنهم علماء سلطة ، ولكن يجب أن لا تأخذهم في بث الحقيقة التي يعرفونها لومة لائم ، حتى ولو انخفضت شعبيتهم تماشيا مع قول الله سبحانه وتعالى (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى

أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لأتبعتم الشيطان إلا قليلا).

فخوض العامة في السياسة وفي أمور الحرب والسلم والأمن والخوف يكون ضرره أشد إذا خاضوا فيما لا يملكون الخوض فيه وهي تختص بالأمراء والعلماء والخبراء كما جاء في الآية.

وفي نفس الوقت يوجه الملك عبد الله العلماء ولأول مرة بضرورة قيادة العلماء مراجعة شاملة ، وعدم التشبث بمدرسة الرأي الواحد التي ترفض الأخذ برأي المدارس الأخرى ، وعليهم الاعتراف بالتعددية التي هي سمة وعظمة هذا الدين الحنيف ،حتى تعطي الشباب مساحة واسعة من التفكير، ويتمكنوا من ترشيد غيرتهم وتوجيه حماسهم نحو البناء حتى يتم تخليصهم من الحيرة التي شدتهم نحو الانضمام إلى تلك الجماعات باسم الدين.

والملك عبد الله يخاطب العقل العربي الإسلامي ، وكأنه يقول لهم لا يمكن مواجهة الضعف الذي يعاني منه العرب والمسلمون بسلك الطريق الخاطئ والمشاركة في القتال من دون موافقة الدول التي تعرف حقيقة هذه الحروب ومقوماتها ، ولا يمكن أن يقبلوا أن يغرر بهم القتال باسم الدين ، ولكنه قتال يقع تحت بند الإرهاب وليس تحت فضيلة الجهاد التي جاءت في الآية التالية (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) وكذلك في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ،ولا يخذله،ولا يسلمه) رواه مسلم الذي له ضوابط على العلماء أن يبينوا ويوضحوا هذه الضوابط لهؤلاء الشباب المتحمس الغيور والحائر ويريدون أن يستجيبوا للأحاديث التي تحث على فضيلة الجهاد بل في بعض الأحيان يصبح الجهاد فريضة على أهل البلد كما في فلسطين عندما يجتاح العدو الإسرائيلي فلسطين ، كلما سقط عليها صاروخ أو أسر جندي ، بينما هي تحاصر غزة لمدة ثماني سنوات وتمنع الاتصال ما بين قطاع غزة والضفة وهي مستمرة في بناء المستوطنات.

ولا يمكن انتظار الضمير العالمي (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) فهذه مسلمة ،ولكن لم يأمرنا ديننا الإسلامي بمقاتلتهم أو مواجهة الضعف بالمقاتلة الذي يسمى إرهاب باسم الدين (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم) فأمرنا الله أن نبرهم مثل بر الوالدين ،ولكن أمرنا الله في المقابل أن نستعد وأن نبني قوة ردع ترعب كل من يريد استهداف المسلمين (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) أي أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بضرورة بناء القوة العلمية والاقتصادية والعسكرية التي فرط فيها الجهاديون واتبعوا سبل القتال خارج عن إرادة الدول التي يتبعوا لها متحررين من كافة القيود التي فرضها الدين الإسلامي من أجل استرداد الحقوق.

وعندما وجدت الولايات المتحدة العرب بأنهم امة لا يملكون من أمرهم شيئا وغير محصنين من أي استهداف ويطلبون الحماية من أمريكا ولم يكونوا على غرار أسلافهم من المسلمين الذين كانوا يمتلكون القوة التي تردع أي عدوان ، وبسبب دعم الولايات المتحدة المطلق لإسرائيل ،انقلبت القاعدة على الولايات المتحدة التي وظفتها الولايات المتحدة في محاربة الاتحاد السوفيتي بحجة محاربة الإلحاد وبحجة غزو الاتحاد السوفيتي أفغانستان، وبدأت القاعدة في استهداف مصالح الولايات المتحدة في الخارج ، ففجرت سفارتي الولايات المتحدة في كينيا وتنزانيا ،بعدها اتجهت إلى تدمير البارجة كول أمام الشواطئ اليمنية ، ثم انتقلت إلى الداخل الأمريكي وفجرت برجي التجارة عام ٢٠٠١ .

فكما حاولت الولايات المتحدة تعزيز شرعية إسرائيل في المنطقة من خلال رعاية اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩ وعزلت مصر عربيا ،ثم مؤتمر مدريد عام ١٩٩١ بعد تدمير العراق ثم تلا ذلك من إعلان مبادئ غزة (أريحا أولا عام ١٩٩٣) .

وبعد أحداث ١١ سبتمبر حاولت الولايات المتحدة نقل حرب القاعدة من الخارج إلى القتال البيني وتبنت خطط عديدة واستراتيجيات متنوعة، أرادت أن تثبت للعرب بأن الإرهاب الذي يضربها باسم الدين هو أخطر من إرهاب إسرائيل الذي

يشتكي منه العرب في كافة المحافل ووظفوا كل إمكاناتهم لضرب إسرائيل دون أن يتجهوا إلى بناء قوتهم الذاتية كمرحلة سابقة ولكنهم أرادوا الانسياق والاستجابة لضغوط شعوبهم مثلما يدور اليوم في الضغط على العرب الذين هم في أسوأ حالاتهم بعد أن دمرتهم الثورات بعد أن كان الثوار يحلمون بالحرية والمساواة.

وجاء غزو العراق العلامة البارزة عام ٢٠٠٣ التي بدأت الولايات المتحدة تطبق استراتيجيتها الجديدة في العراق من خلال الضربات الوقائية أو الاستباقية بدلا عن استراتيجية الردع التي استخدمتها في زمن الحرب الباردة من أجل أن تعتمد الولايات المتحدة في صياغة استراتيجيتها العسكرية الجديدة ، فيما عرف بالهيمنة الأمريكية، والتي تتحدد في خلق مستوى عال من التوتر يصل إلى مستوى الأزمة والتي تؤدي بدورها إلى صراع عسكري إن لم يستجيب الطرف الآخر لمطالب الولايات المتحدة .

وبالفعل تحول العراق إلى دولة فاشلة ورغم تباين الإحصاءات إلا أن هناك إحصاءات تقدر عدد القتلى في العراق إلى أكثر من ثلاثة ملايين ،وأكثر من خمسة ملايين مهاجر ،هذا عدا أرقام النازحين ، بينما وصل عدد الأرامل إلى مليون امرأة ، وإلى أربعة ملايين يتيم ، ونحو مليون مفقود ، في حين وصل عدد السجناء إلى ٣٤٠ ألف .

وجاءت الثورة السورية كما بقية الثورات العربية الأخرى فرصة سانحة للولايات المتحدة بأن تحقق فيها استراتيجيتها من دون أن تغزوها مثلما غزت العراق بتكلفة عالية جدا كانت احد الأسباب الرئيسية في انهيار الولايات المتحدة ماليا في عام ٢٠٠٨.

فاتجهت إلى تدويل الأزمة السورية وبدأت تتكالب عليها القوى الكبرى والإقليمية، ورفضت الولايات المتحدة دعم الجيش السوري الحر بأسلحة يمكن أن تواجه بها النظام السوري الذي يرفض الاستجابة لمطالب الثورة .

وفرضت الولايات المتحدة في سوريا توازن قوى بين الطرفين ،حتى أصبحت سوريا بيئة حاضنة للإرهاب ،فتشكلت الدولة الإسلامية في العراق وفي الشام تحت رعاية الاستخبارات الأمريكية، رغم أنها تبدو حركة غامضة ، والأكيد أنها من صنع الاستخبارات الأمريكية أي تمكينها بطرق تخفى على المتابعين ولكنها لا تخفى على رجال الاستخبارات الذين يعملون في نفس المجال، عندما سمحت لها بالاستيلاء على آبار النفط في سوريا حتى تتمكن من تمويل عملياتها القتالية وتتمكن من شراء الأسلحة ، مما مكنها من الاستيلاء على الموصل في فترة وجيزة ، وسيطرت على مساحات واسعة من شمال وشرق وغرب العراق ، واستطاعت هزيمة مليشيات المالكي ومليشيات البيشمركة ، نتيجة غياب جيش عراقي بسبب رفض المالكي وإيران والولايات المتحدة تشكيل جيش عراقي بديل لجيش العراق الذي سرحه بول بريمر بعد غزو الولايات المتحدة للعراق عام ٢٠٠٣ بينما زاد المالكي عدد حراس الرئاسة من ستة آلاف إلى ستين ألفا لحمايته وحماية مليشياته وأتباعه، فأصبحت المليشيات الطائفية والمذهبية والقومية هي التي تسيطر على العراق ،وتتقاتل فيما بينها دفاعا عن مكتسبات طوائفها وليس دفاعا عن مكتسبات الوطن العراق.

ونتيجة تطبيق الاستراتيجية الأمريكية الجديدة وصل عدد الشهداء في سوريا نحو ٢٠٠ ألف قتيل ٨٠ في المائة منهم مدنيين ،ووصل عدد النازحين داخل سوريا نحو ٧ ملايين نازح ،بينما وصل عدد النازحين خارج سوريا نحو ٣,٥ مليون نازح أي أن سوريا أصبحت أسوأ حالا من فلسطين وأكثر تدميرا ولكن هذه المرة قتال بين المسلمين أنفسهم.

بسبب عدم تمكن المسلمين من تطبيق قول الله سبحانه وتعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفئ إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) وثبت في صحيح البخاري من حديث الحسن عن أبي بكرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوما ومعه على المنبر الحسن بن علي

فجعل ينظر إليه مرة وإلى الناس أخرى يقول (إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) فلا يمكن أن نخرج أي فئة من دائرة الإسلام وبسبب عدم امتلاك المسلمين القوة للفصل بين القوتين المتقاتلتين أو وجود السماحة بين أحدى الطائفتين للتوصل إلى تغليب مصلحة الأمة مع بقاء نوع من غياب بعض الحقوق بدلا من ذهابها بشكل كامل وان تصبح الدولة مرتهنة للخارج الذي لا يريد مصلحة الدولة بل تحقيق مصالحه فقط .

فكما أن الإرهاب كل لا يتجزأ حتى ولو كان باسم الدين فإنه حقق الاستراتيجية الأميركية ، وبدأ يضرب كافة المنطقة العربية من فلسطين حتى ليبيا وسوريا والعراق واليمن بالإضافة إلى الإرهاب الذي يضرب الصومال من قبل .

فالإرهاب تحول من ضرب المصالح الأمريكية إلى أداة سياسية واجتماعية حتى أنه أصبح جزء من النسيج الاجتماعي في ليبيا وسوريا والعراق ،بينما نجح الجيش المصري من حماية النسيج الاجتماعي، ونجح المجتمع التونسي أيضا من حماية نسيجه الاجتماعي ، من الإرهاب الذي يستهدف استقرار الدول حتى ولو كان يلبس لباس الدين والذي يستثمر مواقع التواصل الاجتماعي التي يمارس دورا أكبر من دور الصحافة والتلفزيون في تمزيق الرأي العام وتردي التعايش المدني والتعاطف الاجتماعي الذي يحرص عليه الدين الإسلامي (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون).

فمواجهة الإرهاب أيضا كل لا يتجزأ من خلال الاتجاه نحو بناء استراتيجيات واضحة ، بدلا من توجيه التهم ، فعلينا مواجهة الحقيقة ومواجهة الواقع ، والوسيلة الوحيدة لمواجهة الإرهاب تتحدد في بناء القوة العلمية والاقتصادية والصناعية القادرة بشكل تلقائي على بناء القوة العسكرية ، مع الاكتفاء في غياب هذه القوى بدفع المعتدي ضمن الوسائل المتوفرة والمتاحة بعيدا عن تحشيد العواطف التائهة والحائرة غير الرشيدة .

مواجهة نبتة الإرهاب من خلال تجريد فكر المتطرفين:

أول نبتة تطرف خرجت كانت في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، كانت باللسان عندما جهر ذو الخويصرة التميمي ،واعترض على قسمة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم حنين ،عندما قسم الرسول صلى الله عليه وسلم غنائم حنين في أناس حديثي عهد بالإسلام ، بل وأعطى بعض غير المسلمين ، كما أعطى صفوان وغيره لترغيبهم في الإسلام أو لمنع أذاهم عن المسلمين ، فقال ذو الخويصرة إنما قسم ما أريد بها وجه الله ! أعدل يا محمد فإنك لم تعدل قال صلى الله عليه وسلم (ويحك ومن يعدل إن لم أعدل ؟ ألا تأمنوني وأنا أمين السماء ؟).

رفض الرسول صلى الله عليه وسلم قتله وقال (معاذ الله أن يقال إن محمدا يقتل أصحابه) ،كما ترك المنافقون فقال (دعوه فإنه يخرج من ضئض هذا قوم يحقرون صلاتكم إلى صلاتهم وعبادتكم إلى عبادتهم يقرئون القران لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون إليه حتى يعود السهم إلى فوقه) صحيح البخاري.

مثل هؤلاء الذين وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم ليسوا حقبة تاريخية قد مضت وانتهت، بل كانت بدايتهم في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه على أيديهم ، وخرجوا من جيش علي بن أبي طالب بعد رفضهم التحكيم بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان في معركة صفين ، وكانت بداية تأويلهم الفاسد وفهم الخاطئ لكتاب الله إذ قالوا لا حكم إلا لله ،ولا يجوز تحكيم الرجال ،ومن هنا أطلق عليهم (المحكمة) بضم الميم وكسر الكاف ، ورد عليهم علي رضوان الله عليه (إنها كلمة حق أريد بها باطل) رغم أن التحكيم نتج عنه تضعيف شرعية علي رضي الله عنه ولكن حقن دماء المسلمين.

واعتبروا خروجهم جهادا في سبيل الله ، وأنهم باعوا الدنيا واشتروا نعيم الآخرة ، فأوجبوا الثورة على أئمة الجور والفسق والضعف ، وقال لهم علي رضي الله عنه (ألا إن لكم عندي ثلاث خلال ما كنتم معنا : لن نمنعكم مساجد الله ، ولن نمنعكم فيئا ما كانت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا) رواه

البيهقي ،وهذه المعاملة حال التزموا جماعة المسلمين، وكانوا يقولون لعلي رضي الله عنه (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) فرد عليهم علي رضي الله عنه (فأصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون).
لكن عندما قتلوا عبد الله بن الأرت وبقروا بطن امرأته وقتلوا جنينها ،ورفضوا أن يسلموا قاتليهما إلى علي رضي الله عنه ،والغريب أنهم حينما مروا على نصراني له نخيل رفضوا قبول هديته وأصروا على الشراء بالثمن ،قال النصراني عجبا تقتلون وترفضون الهدية .
لم يقاتلهم علي رضي الله عنه حتى أرسل عبد الله بن عباس حبر الأمة يحاورهم، ويصفهم عبد الله بن عباس بقوله عندما ذهبت إلى الخوارج لمناظرتهم قال : دخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهادا ، جباههم فرجت من السجود ، وأيديهم كأنما ثفن الإبل ، وعليهم قمص مرحصة ، مسهمة وجوههم من السهر،ويقال رجع منهم ألفين وبقي عشرة آلاف ،قاتلهم علي رضي الله عنه ،وقضى عليهم في وقعة النهروان ،ولكنه لم يقضي على فكرهم.
وفي صفاتهم قال عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم (يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية يمرقون كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم) رواه البخاري
ولقد حذر الله سبحانه وتعالى أمة الإسلام من الانحراف عن الصراط الذي رسمه الرسول لأمته (وأن هذا صراطي مستقيما فأتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) ،ومن يخرج عن هذا الصراط يتسبب في تفرقة الأمة الإسلامية ،وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم (سيكون في أمتي اختلاف وفرقة ، قوم يحبون القتل ، ويسيئون الفعل ، يقرؤون القران لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، لا يرجعون حتى يرتد السهم على فوقه ، هم شرار الخلق والخليقة ، طوبى لمن قتلهم وقتلوه ، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منا في شئ ، من قاتلهم كان أولى بالله منهم ، قالوا : يا رسول الله ما سيماهم ، قال : التحليق) رواه أبو داود.

يمكن تفسير نبتة هذا الفكر المنحرف كذلك من خلال تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث أنس (لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم) وحديث عبد الله بن عباس عن الرسول صلى الله عليه وسلم (إياكم والغلو في الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم بالغلو في الدين) وحديث عبد الله بن مسعود عن الرسول صلى الله عليه وسلم (هلك المتنطعون قالها ثلاثا) وحديث رواه البخاري (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة) وفي رواية أخرى القصد القصد تبلغوا.

أي أن الدين يؤخذ بالمغالبة فمن شاد الدين غلبه ، والتنطع والغلو والتشدد أول صفات المنحرفين ، والحذر من القعدية التي تهيج الشباب ضعاف العقول وقليلي العلم حتى ينقلبون على العلماء ،وتسميتهم بعلماء السلطة حتى لا يتلقوا عنهم العلم وهو منتهى الانحراف والغلو أي أن الخطر الحقيقي من القعدية يكمن في التعبئة المعرفية بتأويلات فاسدة وفق أهواءها ،وفي حديث الرسول (إن الله لا ينتزع العلم من الناس انتزاعا ، ولكن يقبض العلماء ،فيرفع العلم معهم ،ويبقى في الناس رؤساء جهالا يفتونهم بغير علم فيضلون ويضلون) رواه مسلم .

فاتهام العلماء بأنهم علماء سلطة يجعلهم ينصبون من أنفسهم جهالا يفتونهم بغير علم (ولا تلبسوا الحق بالباطل) (وللبسنا عليهم ما يلبسون) (وليلبسوا عليهم دينهم) لأن الله سبحانه وتعالى حذر أمته من التأويل الفاسد للدين الذي يقود إلى تفرقتها مثلما يفرقها عدم الأمر بالمعروف (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم).

الدين الإسلامي دين يسر ورحمة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث بالحنيفية السمحاء (وإنك لعلى خلق عظيم) (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (والله يدعو إلى دار السلام) (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ،الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله

يحب المحسنين) (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا).

لقد أوجب الله على هذه الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تتصف بالخيرية وتبتعد عن التفرق مثلما تفرقت الأمم السابقة (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) .

ومن الانحراف عسكرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقصره بالرجال دون النساء نتيجة إتباع الظني والمتشابه من دون الرجوع للآيات المحكمة أدخلت مثل هذه الجماعات في حالة تخبط ، وتركتهم للمزاجية ولخيالاتهم الحمقاء ولمشاريعهم التي لا تتحقق على أرض الواقع ،والبعيدة عن منهج الإسلام ومقاصده الكلية ،مما فتحت أبواب الفتن (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) خصوصا عندما يسند الأمر إلى غير أهله تحت ستار وعباءة الدين وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال (إذا ضيعت الأمانة فأنتظر الساعة فسئل كيف إضاعتها فقال : إذا أسند الأمر إلى غير أهله فأنتظر الساعة) ،ورفض الرسول صلى الله عليه وسلم تولية أبو ذر الغفاري الولاية تحت عباءة الدين والتدين ، حيث لم تشفع له أنه من كبار الصحابة وقال له الرسول صلى الله عليه وسلم إنها أمانة.

لذلك حينما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم (أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث) رواه البخاري والبعض يعتبر الخبث فقط الرذيلة ،بينما الانحراف عن الدين الصحيح أكبر وأخطر من الرذيلة ، إذ أن الرذيلة لا تخرج من الدين ،بينما الانحراف عن الدين يخرج من الدين (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) .

لقد أوجب الرسول صلى الله عليه وسلم مواجهة المنحرفين عن الدين بقوله (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم تؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن اخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) رواه البخاري.

المطلوب تكامل وتكاتف المجتمع وتضامنهم فيما بينهم ،بجانب تعاونهم مع كافة دول المنطقة لمواجهة الباطل المتمثل في داعش وغيرها مهما تنوعت واختلفت الأسماء ، حتى ولو لبست تلك الجماعات عباءة الدين، لتثبيت دعائم الحق والقضاء عليهم ،كما قضى عليهم علي بن أبي طالب ، ولم يمنعه التزامهم الديني ،بل أدرك أن خطرهم على الدين أكبر من أعداء الدين ، لأن المجتمعات تنبهر بدعواهم الباطلة، بينما إسرائيل الجميع يعاديها دون استثناء ،وقتل على أيديهم من المسلمين أكثر مما يقتل على أيدي أعداء الدين.

نحن بحاجة إلى ثورة دينية فكرية ضد التطرف وضد التنظير المفرغ الذي ينسب للزمان، وينسف عملية التدبر وحرية التعبير واحترام الاختلاف، وتسببت في نشر عوامل الكراهية بين المذاهب ما بين الروافض والنواصب، والدعوة للعصبية وادعائها العصمة والفرقة الناجية ، واختزال الدين في مذهبه ، إنها خطيئة فكر يبث التشرذم والتفرقة والعنصرية بين الدين الواحد ،ويقسم المجتمعات ،والأمة الإسلامية الواحدة ،ويصنفها وفق أهوائه، بعد حجره على التنوير ومعادة الدولة المدنية .

تجريد فكر المتطرفين لوقف تجنيد مزيد من الشباب:

الصورة التي يمتلكها الغرب عن الإسلام والعالم الإسلامي صورة متجهمة وظلامية ، إنهم لا يرون من العالم الإسلامي إلا تيارا واحدا هو التيار الجهادي المتشدد وينسون كل ما عداه.

في المقابل هناك خطاب تقليدي يهيمن على الساحة الإسلامية ويرفض أي فكر جديد عن الإسلام ما يعني أن العلة داخلية وليست خارجية، أي أن الخطاب التقليدي بحاجة إلى صحوة حقيقية لم تحصل حتى الآن ، صحوة العقل والعلم والفهم حتى لا يسيطر الفكر المتشدد على وعي الملايين من المسلمين، لأن الروح النقدية هي التي تصنع الحضارة الإسلامية وليس الخطاب التقليدي.

بسبب أن النهضة الفكرية العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على يد رفاعة الطهطاوي وعبد الرحمن الكواكبي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وحسين الغروي النائبي وحتى طه حسين الذي تتلمذ على أيدي بعضهم انتهت بنهاية هؤلاء الرواد، وتوقفت محاولاتهم في تجديد الفكر الديني، التي كانت تبحث عن التحرر من الاستبداد ومحاولة بناء المجتمع العربي على أسس عقلية، وإخضاع المقولات الفكرية التي تقوم عليها الثقافة الإسلامية لمختبر البحث والسجال.

هناك مقاربات فكرية نقدية لبعض ظواهر ومظاهر الفكر الإسلامي لتعزيز ثقافة الانفتاح والسلام في مواجهة أولئك الذين يدعون إلى الانغلاق والتصادم حتى تتمكن من الربط ما بين المنطلقات النظرية الأولى لفكر رواد التحديث العربي وأزمات الواقع الراهنة في منطقتنا على أن تلك المحاولات توقفت عند الحدود الفاصلة بين الدين كثابت مطلق وبين الفكر الديني كممارسة.

وكما اعتبر الكواكبي أن الاستبداد بيت الداء، وكيف أنه يلعب بورقة الدين، فيتداخل عندئذ الشخصي بالجمعي، والديني بالسياسي، والقومي بالطائفي، تداخلا انتقائيا يكفل لصاحب السلطان اللعب باللعبة وصولا للخطاب الرسمي المشوه لكل هذه المفاهيم والممارسات أي يلتقيان الاستبداد والخطاب الديني التقليدي في بوتقة واحدة تعيق أي نهضة حديثة.

تفسير الظاهرة الإرهابية وسط طغيان مفهوم الإسلام المسلح المنغلق والتكفيري المتصدي للعالم بأسره، ناتج عن فهم خاطئ للرسالة القرآنية ، لذلك نجد البعض يفرق بين إسلام القران، وإسلام الفقهاء، قد يكون تجاوزا بسبب أن

بعض الفقهاء بلوروا أيديولوجيا نضالية وهجومية بخطاب سلطوي توسعي أقل انفتاحا من القران الكريم بكثير.

بل يبدو أن الخطاب القرآني أكثر تعاليا ،وأكثر انفتاحا على معنى المطلق ، أي أنه أقل سلطوية وأكثر معنوية، والقران الكريم ملئ بالتعاليم الأخلاقية الرفيعة، والتوجيهات التربوية بالمعنى العام للكلمة ، وهي تعاليم موجهة للبشرية كافة، وكثيرا ما تركز على مفاهيم الحق والعدل.

هناك مسافات كبيرة بين الغايات السامية للرسالة النبوية المحمدية وبين ما فعله بعض المسلمين، وحرفوا الرسالة المحمدية عن مقاصدها السامية ، فتحديث الوعي الإسلامي لكيلا لا يصطدم بعد الآن بالعصر وبمقاصد الرسالة، يمكن اكتشاف الوحي دون وسيط، خصوصا وأن في الإسلام لا يوجد وسيط.

جعلت البعد الإنساني غائبا عن الطروحات الفكرية والإسلامية، لأنه اعتمد على تفوق الذات، وإظهار نقائص الآخر مع الفشل في رؤية نقائصه وحاجاته، مما يجعله ينطوي في أبراج عاجية مفصومة عن الواقع، ونظرة بعيدة عن إنسانية أو احتياجات الجانب العملي.

من أقوى ثوابت الدين التي انتهكها المتشددون حرمة الدم والعرض (من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله بما تعملون خبيرا).

السلفيات الجديدة التي انحرفت عن مقاصد الإسلام، وسعت من دائرة المحظور في الشريعة على حساب دائرة المباح أصلا، وأضافت مصادر غير نصية في التشريع والاستدلال كالإجماع والقياس وإجماع أهل المدينة وغيرها، وهو ما ضيق من مساحة الحرية النقدية الإسلامية وأضفت على الإسلام صبغة تاريخية غير قادر على التواؤم مع المستجدات.

ولاية الفقيه المطلقة أو الخلافة أو الإمامة جميعها ليست ركنا من أركان الإسلام بل كانت بدعة تيارات الحكم السياسي.

التنقيب عن القلب التي حورت المفاهيم وشوهتها، وكفرت أقوام مسلمين، واستباحت دماء مسلمين وغير مسلمين، وهي تخالف وثيقة المدينة التي ساوت بين المسلمين وأهل الكتاب.

لذلك استخدمت الجماعات المتشددة العنف كوسيلة مشروعة لتحقيق أهدافها، والتكفير سلاح أساسي من أسلحتها كوسيلة لتبرير العنف والقتل، واتخذت من الولاء والبراء ايديولوجية باعتبارها أصلا من أصول الاعتقاد التي يجب على كل مسلم أن يدين بها (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) والتحول عن ثوابت الدين إلى فتاوى الأفراد وهي من أخطر أنواع التشدد.

إذا الخطاب التكفيري يعتمد على مجموعة مفاهيم وأفكار من أهمها الحاكمية والولاء والبراء وهو يعكس تماما التمايز بين شعور الوئام والمحبة وشعور التباعد والكراهية.

هناك علاقة مرتبكة بين الجماعات الإسلامية التي تدعي الاعتدال وبين الجماعات التكفيرية والجماعات الجهادية العنيفة، أي أنهم مقتنعون بسبب أن هناك علاقة سرية وباطنية بين الفئتين رغم اختلاف الاستراتيجيات ظاهريا.

فمثلا كانت استراتيجية الإخوان ترى أنه ينبغي أن تنتشر وتتوغل بشكل تدريجي في المجتمع قبل القفز على السلطة وذلك قبل الثورات العربية وهذا ما توهموه عندما وصل الرئيس محمد مرسي للحكم قبل أن تنفجر الثورة الشعبية العارمة في ٣٠ يونيو ٢٠١٣ وأسقطت حكمهم بعدما أثبت الإخوان فشلهم في الحكم وهي آخر أيديولوجية شمولية.

يجب انتشال العالم العربي والشرق الأوسط من الفوضى العارمة، والمنطقة أمام الخيار الصعب والتحديات، فجميع الاتجاهات ما بين التي تؤمن باللجوء إلى العنف التكفيري وبين الاتجاهات التي تؤمن بالدعوة السلمية المسالمة ،ولكنهم

ينتمون إلى فكر واحد يركز على أسلمة الفرد والمجتمع ،حتى ولو لم يذهبوا إلى بلورة مشروع سياسي ويحاولوا السيطرة على الحكم، أي أن الجميع كان تفسيرهم للإسلام تفسيرا شموليا ومغلقا ،فلا يمكن أن يحصد المجتمع إلا المفاجآت إذا لم يحدث تجديد في الخطاب الديني التقليدي.

يجب أن يعرف الجميع أن الدين الإسلامي يحمل عدة أوجه، وليس وجها واحدا، ولا يمكن اختزاله في فهم قسري ومبستر ومحاولة فرضه على المجتمع، بينما الدين يسر لا عسر، والدين دين العقل والعلم والانفتاح ، لا دين الكره والجهل والانغلاق، في حين أن الدين الإسلامي هضم كل الحضارات إبان عصره الذهبي استطاع أن يلقي الطمأنينة لأتباعه وللآخر من دون أن يبث الرعب في الآخر أو في أتباعه.

إنه دين يحمل سماحة ورحمة ، ونور على نور في جوهره، بعيدا عن المفهوم القومي المتعصب والطائفي، أي يحمل مفهوما تنويريا متسامحا .

أقام الرسول صلى الله عليه وسلم مجتمعا مدنيا في المدينة جذب القلوب برفقه، وأهدى القيم الروحية إلى مجتمع المدينة والبشرية قاطبة قدم أعظم المعجزات في نقل سبل الحياة إلى أجيال المستقبل وإلى المسلمين، واعتمد على العقد في حكم المدينة التي اتخذها شرعية الحكم لمن يأتي من بعده كتشريع، أي قام صلى الله عليه وسلم بناء عقد معاهدات بينه وبين الجميع من كفار ويهود وغيرهم، أي أنه جعل تلك المعاهدات مصدر الشرعية تعود للناس وليس إلى السماء، كما يعتقد المتشددون، أي أن الحكم كان بناء على أرض الواقع، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم مأمورا أن يشاور أصحابه (وشاورهم في الأمر) (وأمرهم شورى بينهم) وهي تتعارض مع ولاية الفقيه عند الشيعة ومع الحاكمية عند السنة، أي لا توجد معصومية بابوية لدى أحد في الإسلام وهي فرصة لانتقاد أي حكومة.

تخلص الشباب من التبعية العمياء دون بصيرة أو تمحيص:

دائما ما يطرب الشخص حينما يطريه شخص ما على عمل قدمه او على تميز وإنتاج علمي أو غيره من الأعمال المتميزة ومثل هذا الإطراء هو من الكلمة

الطيبة التي تطيب بها النفوس والتي تشجع على العطاء والإنتاج تماشيا مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم (الكلمة الطيبة صدقة) ولكن أحيانا ينحرف هذا الإطراء ويتجه نحو المبالغة إلى أن يصل إلى إلغاء النفس ، بينما تصل بعض النفوس الأخرى التي تم اطراؤها إلى الكبر والخيلاء والتعالي ظنا أن لا يوجد غيره بنفس التميز وبنفس العطاء وهو ما حذر منه الرسول صلى الله عليه وسلم حينما قال (لا تطروني كما اطرت اليهود والنصارى عيس بن مريم إنما انا عبد الله ورسوله) .

ومن مقولات لقمان الحكيم (لكل شئ مطية ومطية العلم التواضع) وقال لابنه (يا بني تواضع للحق تكن أعقل الناس) وقال الإمام الشافعي (أرفع الناس قدرا من لا يرى قدره ، وأكبر الناس فضلا من لا يرى فضله) وسئل الإمام الفضيل بن عياض عن التواضع فقال (أن تخضع للحق وتنقاد له ، ولو من صبي قبلته ولو سمعته من أجهل الناس قبلته) .

بينما من يبالغون في الإطراء يتصفون بالتبعية العمياء التي هي تكبيل العقل بالقيود وكأنهم سمحوا للمتبوعين بالاستيلاء على عقولهم بل تصبح أسيرة وسجينة وسلبية وتتطفل على جهود الآخرين بدلا من اظهار جهودها وتعيش على هامش جهود الآخرين وتعيش حالة من الجمود والرتابة رغم أن العقل هو فضاء فسيح .

فإذا كانت الخمر مذهبة للعقل إلى أن يزول المؤثر بينما التبعية العمياء هي تكبيل للعقل بالكامل وسجن مؤبد يجعله منقادا انقيادا كالأعمى بل يكون الأعمى ذو بصيرة نافذة .

فيجب أن يكون التبعي شجاعا على مشاغبة عقله ويوقظه من الانقياد الأعمى الذي يقود إلى العصبية ولا يقبل الحق من غير تابعه رغم هناك أراء أرجح وأقوى أو تكون ضمن أراء متعددة كلها مقبولة بأيهما أخذ تيسيرا على الأمة وعلى الناس وهناك فرق بين الاتباع والتبعية فالإتباع يتميز باستقلالية الفكر بينما التبعية تتصف بالتقليد والسير مع التابع حيثما وكيفما سار وذهب (وإذا قيل

لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) .

فمثلا نجد المتبوع اتجه إلى سب أحد المشايخ ومن أكثرهم سبا هذه الأيام الشيخ القرضاوي أو غيره بالغمز او اللمز فينساق التابع إلى الانسياق في السب المماثل واتهام مثلا القرضاوي بالخرف وأنه يكرهه ولا يحبه ويدعي البعض أن هذا من باب الجرح والتعديل ونسي أن الجرح والتعديل علم له أصوله لا يطالب هذا العلم بسب العلماء وإنما وضع لفلترة وتنقية الأحاديث الصحيحة من غير الصحيحة ويتأكد من صدقية الراوي وتاريخ ولادته وزمن عيشه للتأكد من زمن الرواية وأخذه منه الراوي وأين يعيش وهل صاحب المروي عنه .

وأنا أحد الأشخاص الذين يختلفون مع مشروع القرضاوي السياسي ولكن هذا الاختلاف لا يمنع من إعطاء القرضاوي حقه في العلم ولا يوجد احد ينكر علمه إلا حاقد أو جاهل أو مخطئ وحتى ولو كان القرضاوي قريبا من الأمراء فنحن نحسن الظن في قربه هذا قد يكون من أجل خدمة الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم قال (إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم) رواه البخاري .

وأول ما أوجه مثل هذا النقد أوجهه لنفسي قبل أن أوجهه لغيري (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهئ لنا من أمرنا رشدا) .

تخلص الشباب من التعصب الأعمى للمذهب وللطائفة وللعرق من خلال تعزيز الوطنية الجامعة:

من ضمن ما ابتليت هذه الأمة التعصب الأعمى وإتباع أشخاص لذواتهم وهناك في الشريعة تقليد له ضوابط شرعية خصوصا إذا كان الشخص من العامة ولكن إذا وصله الدليل الراجح والقوى عليه أن يتبعه خصوصا في الأصول لأن الدين الإسلامي يحرم التعصب يحرم ويمقته لأنه يفرق ولا يجمع ويزرع الأحقاد بين العلماء ويحط من قدر بعضهم ويرفع من قدر البعض أو يرفع من قدر من لا يستحقه .

فإذا قيل أن هذا قول الله ورسوله فيقول أأنت أعلم من فلان ومع ذلك غضب حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه فقال ذات مرة أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما هذا إذا صحت الرواية وكان الخلاف مع عروة بن الزبير رضي الله عنه حول إباحة عبد الله بن عباس المتعة حتى أن عبد الله بن عباس حينما غضب قال له يا عرية وهو تصغير لاسم عروة وهنا فائدة بأن الأئمة من البيت ليسوا بمعصومين كما يدعي الشيعة بل هم بشر يصيبون ويخطئون ولكن لهم قدرهم ومكانتهم حبا في الرسول صلى الله عليه وسلم وفي آل بيته ، ورد عروة بن الزبير على عبد الله بن عباس بقوله إن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أكثر الناس أتباعا بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد يكون لديهم معرفة بالناسخ .

وقد روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه لما نازعه بعض الناس في بعض السنة قال هل نحن مأمورون بإتباع عمر أم بإتباع السنة ؟ فالمسألة هنا هي إتباع للشرع دون الشخص لأنه لا يوجد رجال معصومون في دين الله سوى الأنبياء ولا يوجد في دين الله الحق رجال وكأنهم نائبون عن الله في الأرض وكأنهم ينطقون وحيا .

وامرأة ناقشت عمر بن الخطاب يوم كان أميرا للمؤمنين وهو يخطب فقاطعته واستوقفته حينما أراد تحديد المهور لأنه كان يعارض آية صريحة وواضحة في كتاب الله عن المهور فقال عمر اللهم غفرا كل الناس أفقه من عمر .

ارجوا ألا ندخل في شرك الطاعة مثلما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم لما قرأ قول الله سبحانه وتعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم) فقال عدي يا رسول الله ما عبدوهم فقال صلى الله عليه وسلم ما عبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم .

وغضب الشافعي ذات مرة حينما سأله رجل فأفتاه وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا فقال الرجل أتقول بهذا يا أبا عبد الله فقال له الشافعي

أرأيت في وسطي زنارا ؟ أترى خرجت من كنيسة ؟ أقول قال النبي صلى الله عليه وسلم وتقول أتقول بهذا ؟ .

وقال عبد الله بن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها قال فقال بلال بن عبد الله والله لنمنعهن فضرب عبد الله بن عمر على صدره وقال أقول قال رسول الله وتقول لا) رواه البخاري ومسلم .

أكثر ما يغضب الصحابة والتابعين والعلماء عندما تعارض السنة بأقوال الرجال أو بالآراء وإن كانت تلك الأقوال صادرة من كبار الصحابة أو من كبار العلماء وما ذلك إلا لتعظيمهم السنة وهذا ليس مدعاة للتقليل من مكانة الصحابة أو العلماء وإنما باعتبار أنهم غير معصومين يصيبون ويخطئون ولكن الإشكالية في الأتباع فيمن يتبع مذاهبهم ويقدس آراءهم حتى ولو كانت متعارضة مع السنة اللهم إهدنا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنك انك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم .

يؤكد المؤرخ الأمريكي الشهير ريتشارد هوفستارد أن الأفراد والجماعات المتعصبة يظهر عليهم نمط حياة مختلفة عن الآخرين (البارانوي).

ويلفت إلى أن معدلات المرض العقلي ينتشر في الأماكن التي يشيع بين أفرادها التعصب العنصري وهو يرى أن كل متعصب مريض عقليا على عكس المريض عقليا ليس شرطا أن يكون متعصبا .

وخلصت الباحثة كريتش في أن التعصب لا يوجد في الغالب إلا بين الشخصيات التي تعاني من السادية ومشاعر العدوان والإحباط وهذه الشخصيات غير قادرة على فهم الآخرين وتعيش عالما مملوء بالشكوك الموجهة نحو أعضاء جماعات أخرى . وهذه الشكوك تجد متنفسا في إظهار هذا السلوك المرضي .

وتعريف التعصب عند كثير من العلماء على انه نقيض الحرية والتسامح وهو حكم مسبق من دون أي سند أو فحص لحقائق متاحة عن الموضوع الذي تم الحكم عليه من قبل المتعصب .

وينظر إلى المتعصب علميا على انه شخصية سلبية ولكن السؤال المهم كيف ينشأ التعصب ؟ فالكثير من العلماء يرجعها إلى التنشئة الاجتماعية والتي تمر بثلاث مراحل الأولى عند مرحلة التمييز بين أفراد الجماعات المختلفة نتيجة التعزيز التفاضلي أثناء عملية التلقي من أقاربه وخاصة الوالدين وبقية أفراد الأسرة ، والمرحلة الثانية هي مرحلة التوحد أي انضمام الطفل إلى الجماعة التي ينتمي إليها وتوحده معها ، والمرحلة الثالثة هي مرحلة التقويم وظهور علامات التعالي الناتج عن شعور بالنقص تبعا للحكم الذي يشعر به الطفل بان بقية المجتمع قد اصدر حكما سلبيا نحو الجماعة التي ينتمي إليها ، فتحدث لدى الطفل صورة نمطية عدوانية تميز سلوكه ويكتسب اتجاهات سلبية تجاه جماعات معينة .

وأنواع التعصب عديدة منها العرقية والقومية والدينية رغم أن جميع الأديان تنهى عن التعصب وتدعو إلى التسامح واحترام الآخر وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول دعوها فإنها منتنة ، وكان يقول أيضا أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم .

وبذلك فان الإسلام حارب الشخصية التي تذعن إلى الجماعة بطرق سلبية تنفس من خلالها عن المكبوت ومن مشاعر الكراهية والإحباط وعقد التفوق لأنها تكريس للأنانية وحب الذات تؤدي في النهاية إلى تبرير العدوانية مثلما يدافع الغرب عن إسرائيل حتى أصبح التعصب أفكارا ومعتقدات دول وليست مقتصرة على الأفراد فقط . فنظريتا الصراع الواقعي والحرمان النسبي التي تقول أن المنافسة بين الجماعات لتحقيق مصادر قيمية معينة تنتهي إلى خلق التعصب وهو ما يحدث الآن من سيطرة الولايات المتحدة على مصادر النفط والتحكم فيها ومنعها من الآخرين المنافسين ، فغاب التنافس الحر وحل محلها التعصب ، وبسبب أنانيتها للحصول على مكاسب معينة جعلها تبرر عدوانيه مرضية وسلوك سياسي عسكري غير مقبول .

وتطلق الدول أو المجتمعات السلوك العنصري المتعصب إذا واجهت ظروف معينة وخوفها من دول أدنى أو مجتمعات تحتل مكانة تنافس الدول أو المجتمعات

النافذة مثل الخوف من حضارات قديمة وعلى رأسها حضارة الإسلام . فحولت التعصب إلى تعصب ديني الذي أصبح أكثر إشكال التعصب رغم أن البحوث لم تثبت علاقة صريحة بين الدين والتعصب بل إن الدراسات تثبت عكس ذلك بان هناك تضاربا بين الدين والتعصب على عكس الأنواع الأخرى من التعصب مثل التعصب القومي والعرقي .

لكن اللجوء إلى التعصب الديني لأن المتسلطون يشعرون بعدم الاستقرار الوجداني وشعورهم بعدم الأمان والقلق والتوتر الناتج عما يتعرضون له من إحباط مما يؤدي بهم إلى البحث عن كبش فداء ليحملوه مسؤولية فشلهم ويوجهوا له عدوانهم مثل الحرب على الإرهاب دون تفريق بين المقاومة ضد المحتل والإرهاب العبثي .

إنهاء الجدل حول مفهوم الدولة دينية أم سياسية:

الجدل الذي يدور دائما حول ربط الدين بالدولة على اعتبار أنهما ثنائيان لا ينفصلان عن بعضهما البعض .

فأدبيات الإشكال التنظيري لم تتمكن حتى الآن من اعتبار أن الدين مرجعية ، بينما للدولة تنظيرات ذات مرجعيات عدة .

ولم يتمكن الكثيرون من اعتبار الدولة المدنية آلية محايدة ، وأنها ذات أدبيات سياسية وفقهيه مرت بها الدولة عبر الأزمنة الماضية ، بدء بالخلافة الراشدة إلى الدولة العصبية السلالية إلى الدولة السلطانية إلى الأمامية الطائفية وغيرها من الدول .

الأشكالية تكمن في تعريف الدولة السياسية أو الدولة المدنية التي ليست سوى أداة تنظيمية تحترم فيها الخصوصيات والتعدديات الثقافية والدينية والعرقية وغيرها من تعدديات .

وقول الله سبحانه وتعالى في هذه الآية { الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور } تعني إقامة شرع الله عند التمكين لأن الشرع خاص بالمسلمين والأرض عامة لعباد الله { إن

الأرض لله يورثها من يشاء من عباده } مسلمين وغير مسلمين ، إذاً فالأرض هي الدولة للمسلمين وغير المسلمين .

الرسول صلى الله عليه وسلم حينما أتى المدينة وضع وثيقة يطلق عليها في كتب التراث باسم (وثيقة كتاب الموادعه) وفيها قرر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الأنصار وهم أهل المدينة ، والمهاجرون وهم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة ، واليهود المتحالفين مع الأنصار ، كلهم أمة واحدة يتكافلون بالمعروف ويدافعون عن المدينة ، وان لليهود دينهم وللمسلمين دينهم .

بذلك فإن الوثيقة تعطي حق المواطنه للجميع دون استثناء أي أن الدولة للجميع مسلمين وغير مسلمين .

اختزال مفهوم المبدأ التنظيمي للدولة ، واستبداله بالمطلق الديني إشكالية فيها نوع من الشمولية المطلقة التي تقصى الآخر وتتعارض مع وثيقة المدينة التي وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم .

الدين مرجعية وثابت ، بينما الدولة مفهوم متغير ، فهناك مفهوم من خلال نظرية الحكم في الإسلام ، والثاني يتعلق بطبيعة الدولة الوطنية الحديثة كشكل من أشكال التنظيم السياسي ، وإذا ما أقصى الدين في الدول الغربية العلمانية ، ولكن ليس شرطاً أن يقصى الدين عند المسلمين .

في نظرية الحكم في الإسلام ينظر إلى الإمامة بصفتها واجباً شرعياً لحراسه الدين وسياسة الدولة أي ما يسمى بنموذج الدولة السلطانية . لكن الدولة الحديثة تأسست على اعتبار أنها دولة تستمد شرعيتها من داخل النسق المجتمعي .

إذا كان المجتمع إسلامي فتصبح الشريعة الإسلامية مرجعيته ومطالب بتطبيق مبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية على المجتمع المسلم وفق منهج التدرج استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة عند تمكين الله للمسلمين في الأرض .

ولاء الدولة الحديثة للأمة بمفهومها القومي ليس متعارضاً مع مفهوم الدولة في الإسلام ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم رغم مكانه أبي بكر عند الرسول صلى

الله عليه وسلم وسبقه للإسلام فانه لم يستخلفه على الإمامة من بعده ، بل تركها للأمة تختاره باختيارها خليفة له صلى الله عليه وسلم .

الدين الإسلامي دين يبني الدولة ، ويكرس عقيدة الولاء المتبادلة بين الحاكم والمحكوم ، ويعتبر الإمامة عقد وضعي حتى لو كانت واجباً شرعياً وان العدل هو الثابت.

المنطقة ما بين أوهام ولاية الفقيه والإمامة:

حاول النظام الإيراني محاكاة ثورات الربيع العربي في العالم العربي بعدما وصفها النظام بأنها نتاج مؤامرات صهيونية أميركية استعدادا وخوفا من أن تمتد هذه الثورات إلى إيران .

أي أن إيران لن تستمر بارعة إلى الأبد في ترحيل أزماتها الداخلية وحالة الفشل الاقتصادي وتفعيل امتداداتها الخارجية أي استثمار السياسة الخارجية التي تسعى لكسب مزيد من الولاءات الخارجية خوفا من عودة الاضطرابات تشبه ما حدث لإيران من حركات ضد إعادة انتخاب احمدي نجاد عام ٢٠٠٩ للولاية الثانية .

لكنه حاول بعد ذلك أن يستثمر تلك الثورات لصالح إيران وبدأ يدعمها عدا الثورة السورية على اعتبار أنها من دول الصمود والممانعة وهو ما فضح الموقف الإيراني أمام العرب وبقية المسلمين المتعاطفين مع مشروع الممانعة والمقاومة واكتشفوا بأنه مشروع قومي .

وبدأت تدعي الجمهورية الإسلامية بأن الثورات العربية مستلهمة من تجربة إيران في عام ١٩٧٩ وسمتها بالصحوة الإسلامية ، وبدأ الإعلام الإيراني الرسمي يهتم بإظهار الثورات العربية بشكل ايجابي باستثناء الثورة السورية ، وبدا معها الترويج لآية الله خامنئ كإمام لهذه الثورات وليس كمجرد آية من الآيات ، وبهذا يتغير اسم إيران من جمهورية إلى إمامة ، وبذلك يصبح خامنئ قائد المسلمين في العالم .

واتخذت إيران عدة خطوات لتعزيز هذه الفكرة ، وبدأت تقوم بخطوات على الأرض ودعوتها لإقامة مؤتمر الصحوة الإسلامية في طهران ، واستطاع هذا المؤتمر جذب أكثر من ٦٠٠ باحث وقائد سياسي من ٥٣ دولة افتتح هذا المؤتمر خامنئ وقدم في هذا المؤتمر بأن آية الله الخميني الراحل رائد الصحوة الإسلامية ، ما يعني أن آية الله خامنئ يعتبر خليفته ويجب أن يتعامل معه العالم الإسلامي على اعتبار أنه أمام المسلمين .

وكان خامنئ يقول إن الثورات قامت من أجل المطالبة بأن ينصب آية الله خامنئ إماما لهم ، وهذا التنصيب من قبل إيران لآية الله خامنئ إمام المسلمين ابتداع جديد يأتي لاحقا بعد قبول المسلمين بولاية الفقيه مجازا وليس حقيقة ، وكذلك يتم إسقاط الاعتراف بإمامة آية الله خامنئ مجازا وليس حقيقة .

ووجد الملآلي الملاذ الأخير لمحاكاة الثورات العربية ، بأن معاداة أمريكا مع قدر لاذع للصهيونية المشترك المفترض مع الثورات العربية بل إن علي اكبر ولايتي وزير خارجية سابق كانت له شجاعة من أجل أن يتقرب من خامنئ لاستعادة منصب جديد في إيران ، فقد ادعى بأن الثورات العربية كانت مدفوعة بكراهية الشيطان الأكبر ، والغريب أن كافة الثورات العربية لم يرفع فيها شعار واحد مضاد لأمريكا ولا للشيطان الأكبر ، بل كل الشعارات كانت ترفع ضد الأنظمة القمعية ، وبعضها كان يرفع شعاراته ضد حزب الله وإيران التي تدعم النظام القمعي في سوريا ضد الشعب السوري

وغاب عن المؤتمر نشطاء من سوريا ، بينما شارك اثنان من الحوثيين ، مما يدل على أهمية اليمن في المشروع الإيراني ، وكأن إيران بهذا المؤتمر تريد أن تلغي منظمة التعاون الإسلامي ، وتحل محله كيان منافس له وهو مؤتمر الصحوة الإسلامية ويرأس أمانة هذا المؤتمر آية الله خامنئ وقد تكون أحد الأسباب التي رفض فيها الحرس الثوري تلبية وزير خارجية إيران ظريف دعوة سعود الفيصل لحضور مؤتمر وزراء خارجية منظمة التعاون الإسلامي في جدة .

فإيران لا تزال تصمم على الاستمرار في الأوهام بعد سقوط الأوهام السابقة التي روج لها حسن نصر الله في لبنان ، واستطاع تأجيج عواطف العامة وحتى المثقفين من المسلمين خصوصا عندما حارب حسن نصر الله اليهود ، فكانت فرصة مواتية لإيران لتعزيز ولاء المسلمين لحسن نصر الله الذي يتبع ولاية الفقيه .

ومنزعجة إيران من توقف هذا الولاء اليوم ، وتحول هذا الولاء إلى حسرات وندم على الماضي ، وعلى التغرير الذي ساقهم حسن نصر الله إلى وجهات لا يدركون حقيقتها ، ولكن تلك الحقائق تكشفت اليوم ، وتحطمت الآمال على صخرة الواقع، خصوصا بعد مشاركة حسن نصر الله النظام القمعي في سوريا ، والاشتراك معه في قتل السوريين خدمة للأجندة الإيرانية .

أكبر مثال على ذلك رفضت كل من ليبيا وتونس ومصر من استقبال احمدي نجاد أثناء ولايته قبل أن يتولى روحاني الإصلاحي أثناء عودته من اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ورفض احمدي نجاد حينها الذهاب إلى سوريا المتحمسة لاستقباله لأنها كانت في ورطة ، ولكنه بدلا من زيارة سوريا زار السودان وموريتانيا آخر دولتين بهما نظام عسكري محاولا الحصول على موطئ قدم لإيران في تلك المناطق والحصول على تبعية جديدة لولاية الفقيه ولإيران .

وهذا يثبت أن الثورات العربية ترفض إمامة إيران أو ولاية الفقيه ، ولكن تحاول إيران تعيين شاهرودي وليا فقيها للعراق حتى يتمكن من ترجيح كفة المالكي لتعزيز وجودها في العراق وهذا ما تحاول أن تفعله بعد الانتخابات الأخيرة ولكن واجهت إيران رفضا من الكتل الشيعية نفسها والمجتمع العراقي بكافة مكوناته ودخلت تركيا على الخط وتحاول تنسيق مواقف السنة لمواجهة النفوذ الإيراني في العراق .

نشر ثقافة الحوار وترسيخ الوسطية:

استمرت الحرب الباردة أربعون عاما بين عامي ١٩٤٩-١٩٨٩ وسميت حرب باردة لأنه لم تتم أية مواجهة عسكرية مباشرة بين المعسكرين، بينما كانت

الحرب العالمية الأولى التي استمرت أربعة أعوام بين عامي ١٩١٤-١٩١٨، بينما استمرت الحرب العالمية الثانية ستة أعوام بين عامي ١٩٣٩-١٩٤٥، البعض يسمي الحرب على الإرهاب الحرب العالمية الثالثة ولكنها بين النظام الدولي وبين منظمات جهادية سياسية متطرفة، منطقتنا هي الساحة لهذه الحرب.

التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب بقيادة الولايات المتحدة، وبقيادة السعودية كدولة إقليمية، وجدت هذه الدول التي تقود التحالف في الحرب على الإرهاب لا يكفي، بل هناك محرضات لدعم الإرهاب، فإذا لم تتمكن تلك الدول من مواجهته، فإن الإرهاب لن يتوقف، لأن الحرب ليست حرب نظامية، بل هي حرب خفية بسبب الحواضن التي تتواجد فيها خلايا نائمة تحميها من أي استهداف والتي تؤمن بنفس الفكر التي تؤمن به الجماعات المتطرفة ولكنها لا تشارك في حمل السلاح.

يجب أن تكون منظومة محاربة الإرهاب عسكريا بأن تكون منظومة مدنية وليست منظومة دينية، أي لا تكون ممثلة لمكون واحد، وحتى الإرهاب لا يمثل إلا نفسه لا يمثل مكون بشكل محدد، رغم أنه من المكون السني بسبب السياسات العالمية والاستبداد المحلي والتي كلها كانت عوامل محرضة على نشوئه، ولكنها في نفس الوقت لا تبرر اللجوء للإرهاب.

هناك المليشيات الشيعية الإرهابية التي تقتل على الهوية دفاعا عن المظلومية التاريخية، ولكنها لديها مرجعية ترتهن لقراراتها، لذلك هي غير مستهدفة، بينما المليشيات الجهادية السنية بجميع مسمياتها ومكوناتها ليست لديها مرجعية موحدة ترتهن لقراراتها، رغم أن داعش مليشية ترتهن لقرارات قيادة موحدة.

من محرضات الإرهاب السياسية اعتبار إيران وكذلك روسيا أن الولايات قوة مضمحلة سريعا ما تتآكل موارد قوتها أيدت رؤيتها سياسات أوباما المترددة في مواجهة النظام السوري، فأرادت إيران وروسيا توسيع مشاريعها القومية في المنطقة، لذلك عد المشروع الإيراني كيانا ايديولوجيا غارقا في المؤامرات المصطنعة،

وهي ترى أن الفوضى في المنطقة مثلها مثل ثورات الربيع العربي، التي قررت ولاية الفقيه في النصف الثاني من عام ٢٠١٢ مواجهة حركات التغيير بالتدخل ضدها مباشرة أو بالواسطة، ووجدتها فرصة لبسط نفوذها وتقويض أميركا ونظام تحالفاتها في المنطقة خصوصا السعودية، ولكن هذه المرة كانت السعودية واعية لمواجهة مد مثل هذا النفوذ.

العالم يحتاج فكرا استراتيجيا جديدا لأنه يخوض حربا عالمية جديدة، ولا يكفي أن تكسب الحرب على الإرهاب ليس فقط على داعش، بل المعركة أكبر من ذلك وهي في مواجهة الفكر المتطرف خصوصا التكفير الذي يعتبر مرضا نزل بديننا في زمن الظواهر الجديدة من السلفيات الجديدة ومن ولاية الفقيه المطلقة وكلتا الجهتين غادرت ثوابت الدين.

البداية يجب أن تكون في ترميم فكري للمؤسسات الدينية في العالمين العربي والإسلامي، والذي بدأ برابطة العالم الإسلامي التي تعتبر مرجعا دينيا لكافة المذاهب الدينية للمسلمين في العالم، ومؤسسة الأزهر التي تعتبر حصن الإسلام الأول ضد جماعات الجهل والتطرف.

تزامن عقد العديد من المؤتمرات العالمية في بروكسل لمواجهة الإرهاب، وعقد العديد من المؤتمرات في مكة وفي الأزهر الشريف كلها طالبت بنشر الثقافة الإسلامية وثقافة الحوار وترسيخ الوسطية.

يعتبر التطرف الديني بوصفه نمطا من أنماط الحياة، لأن الناس ترفض الاستبداد السياسي، ولكنها تتقبل الاستبداد الديني بسبب قلة الوعي الديني، لذلك يعتبر أخطر أنواع الاستبداد.

مواجهته يعتبر من أصعب المواجهات، باعتبار أنه فكر يحتاج إلى برامج ومشاريع فكرية من مواجه التطرف الاستبدادي الذي تتقبله شريحة واسعة من الناس، خصوصا بعدما حصلت داعش على موطئ قدم في ليبيا الذي يكفر على العموم، بينما تنظيم القاعدة أقل تكفيرا، وانتقدوا أيمن الظاهري الذي دعم محمد مرسي حينما كان رئيسا لمصر.

أي أننا أمام اصطفاف من التابعين للقاعدة والتابعين لداعش، وكل منهما يكفر الآخر، وهناك جماعات تتبع القاعدة وجماعات بايعت داعش مثل أنصار بيت المقدس وجماعات عديدة في المنطقة بما فيهم بوكو حرام في نيجيريا، لذلك نجد أن الفريقين يقاتلان بعضهما في سوريا.

التطرف والإرهاب من أكثر الأخطار التي تحدق بالأمة، ومؤتمر مكة والأزهر في مصر يرسل رسالة قوية للعالم بأن المسلمون سيتصدون للتطرف والإرهاب عبر مؤسساتهم الدينية وأنها ترفض توظيف الدين في السياسة التي تنقل العالم إلى تجمعات طوائفية التي هي مصدر الصراعات.

مصطلح الإسلام السياسي تعبير مصطنع يرمي إلى التجزئة واللجوء إلى خلق فجوات بين المفهوم الإسلامي والممارسة، بينما الإسلام واحد ومتكامل لا ينقسم إلى إسلام معتدل أو إسلام متشدد، أو إسلام عربي وإسلام غير عربي أو إسلام تقدمي وإسلام رجعي، وهي تقسيمات ترمي إلى التفرقة، وهي من توصيفات مراكز بحوث في الولايات المتحدة يستخدمها السياسيون الأمريكيون في خطاباتهم تجاه العالم العربي والإسلامي.

من ينتسبون لتيارات الإسلام السياسي لا يعلمون حجم الإساءة للدين، حينما يطوعون الدين لقواعد اللعبة السياسية، وهو خلط بين عقائد الدين وعباداته من جهة وبين ممارسات بشرية قابلة للصواب والخطأ، وربطها بالدين من أجل كسب عواطف الناس دون غيرهم من التيارات السياسية التي لا تربط تياراتها بالدين، باعتبار أن أغلب المجتمعات مسلمة، والتي لا تستطيع التفريق بين التعاليم الدينية بصورة عملية وصادقة، وبين الدين كشعار خال المضمون.

يمكن أن تكون الحكومات مسلمة، ولكن من الخطأ أن تكون إسلامية، لأن الدولة بمفهومها الواسع شراكة للكل، لكن ذلك لا يمنع أن تعتنق المبادئ الإسلامية السمحة التي لا تفرض مبادئها على غير المسلمين بل تفرضها على المسلمين، بسبب أن المعايير الإنسانية تتناغم وتتطابق مع التبشير بالقيم الإسلامية التي لا تتناقض مع معتقدات غير المسلمين.



الارتكاز للحل الأمني سيطيل أمد المواجهة مع الإرهاب، والتعامل مع الإرهاب كقضية أمنية ثبت فشله، بل وسينتهي إلى مزيد من الإرهاب، بل يجب مواجهة الإرهاب عبر محاور فكرية واقتصادية وسياسية وإعلامية ودينية، وفي النهاية تكون المواجهة الأمنية إذا لم ترفع السلاح، وهو أسلوب علمي لمواجهة الإرهاب من أجل إحداث مراجعات فكرية للجماعات الجهادية.

هناك تجارب أثبتت نجاحها في مواجهة الإرهاب بشكل علمي، فعندما ألقي القبض على الشيخ حسن الزيني في مصر أحد زعماء الجماعات التكفيرية، وكان من أخطر قادة التنظيم في الإقناع، تصدى له علماء الأزهر ودخل معهم في نقاشات فكرية ودينية نحو ٢٨ يوما، وانتهى به الأمر أن قال (ما كنا عليه في تنظيمنا كفر) وكون تنظيما لمواجهة تنظيم التكفير والهجرة فكريا، وبالأدلة الشرعية حتى تحلل التنظيم التكفيري في مصر.

إذن مواجهة الإرهاب يجب أن تكون شاملة إلى جانب المواجهة الأمنية، وفق إستراتيجية متكاملة سياسية واقتصادية وإعلامية ودينية وأمنية لتجفيف منابع استقطاب الشباب، والمواجهة الشاملة تحتاج إلى وحدة الصف العربي في استخدام الأساليب العلمية في المواجهة بسبب أن الأمن القومي العربي مستهدف.

وقد تكون مواجه الإرهاب طريق لوحدة الصف الإسلامي خصوصا بعد تصريح ممثل إيران بمؤتمر القاهرة أحمد مبلغي الذي وصف دعوة الأزهر لطهران بالذكية والطيبة ورحب أحمد مبلغي بأي حوار مع السعودية وشارك السعودية في تأكيدها على أن داعش خطر على الأمة.

نحن نمر في عصر استعدت علينا الأمم مما نحن فيه من تبديد للطاقات والجهود واستجلبت لنا النقم واكتوينا بدائها وأصبحنا في فوضى نكيل التهم لبعضنا البعض ونساق إلى ما يريده أعداؤنا أو نتكلم بألسنتهم وعقولهم دون أن ندرك دمرنا بعضنا دون أن يخسر العالم أي جهد في محاربتنا بل اكتفت في محاربة الإرهاب الذي خرج من بلادنا ولم يتوجه ضد العالم بل توجه ضد المنطقة وأصبحت الدول الفاشلة تستنجد الولايات المتحدة والمجتمع الدولي التدخل ضد

داعش في العراق وسوريا، وتتوسل ليبيا واليمن التدخل لإنقاذها مما هي فيه من تفتيت وصراع بين المليشيات على أساس مذهبي وطائفي وقبلي.

ما أحوجنا اليوم إلى تقديم الحكمة والبصيرة والتبصر بدلا من الانغلاق وغلق الأبواب كلما فتحت، أو نقدم الحساب على العفو، و الإساءة على الإحسان، و الرفض على القبول، و سوء الظن على حسنه، و التجريح على النقد.

منهج الوسطية واضح وضوح الشمس لا لبس فيه بينما يلتبس على من لا يعرفه أو على من ضل واتبع هواه، أو غرر به لجهله أو لصغر سنه.

الوسطية هي صيرورة أمة وهي أمة الإسلام، كما وصفها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) البقرة :، ١٤٣وقد أوضح لنا الرسول صلى الله عليه وسلم المنهج الوسطي حينما خط خطا وحوله خطوطا ذات اليمين وذات الشمال وقال صلى الله عليه وسلم عن الخط المستقيم الذي خطه لنا وقال: إن هذا هو سبيلي ثم تلا قول الله تعالى (قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) يوسف :،١٠٨ وقال صلى الله عليه وسلم أما بقية السبل فإن على كل سبيل منها شيطان، فكل من ادعى الوسطية وهو ليس كذلك فينطبق عليه قول الله سبحانه وتعالى (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) الكهف :١٠٤ .

منهج الوسطية قائم على الدعوة بالبصيرة، والحجة الواضحة بالبرهان العقلي والشرعي، المنهج الوسطي لا يقبل تفجيرات ولا عمليات انتحارية ولا قتال من لم يقاتل، وأن تعاطف معها بعض المسلمين نتيجة ما يرونه من الممارسات الإسرائيلية والسياسات الأمريكية أو الممارسات الطائفية المذهبية وغيرها من صراعات.

المنهج الإسلامي الوسطي يرفض الاعتداء أو ظلم الآخرين الأبرياء بلا جريرة اقترفتها أيديهم كأن يكونوا مستأمنون، ولا يقبل الإسلام قتل الرهائن بجريرة

سياسات دولهم، بل يحض على رعاية الأسير الحربي وإكرامه وينهى عن المساس بالمستأمنين.

نحن بحاجة إلى أن ندعم رواد منهج الوسطية بدلا من التشكيك فيهم أو تهميشهم واستبعادهم لان المنهج الوسطي منهج أمة بكاملها ، فالشطط الفكري والثقافي والديني غلو يغذي كل منها الآخر وسبب له.

المنهج الوسطي ليس خاليا المضمون ولا هو بالمبهم بل هو منهج إسلامي واضح، وحلا عمليا لكثير من مشكلاتنا المعاصرة، والمنهج الوسطي منهجا في كافة حياة المسلمين حتى في الإنفاق وفي بقية حياة المسلم (ولا تجعل يدك مغلولة ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) فذم الله سبحانه وتعالى الشطط عن الوسط سواء أكان تقتيرا أو تبذيرا، وعلى منوال هذه الآية يسير المنهج الوسطي في جميع أمور الحياة الدينية والدنيوية وخصوصا فيما يتعلق بالدماء، فالشطط عن خط الوسط سواء أكان يمينيا أو يساريا فهما نقيصتين ينبذهما الإسلام .

الوسطية مبنية على إقرار تعدد الاجتهادات في المسائل الظنية، وقد اختلف الصحابة والتابعين في مسائل ظنيه كثيرة، وتعددت فيها أقوالهم واجتهاداتهم، ولم يصادر احد منهم حق الاجتهاد من الطرف الآخر (وكلا آتينا حكما وعلما) الأنبياء :٧٩ (ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) المائدة :٤٨ .

لكن الاختلاف في اليقينيات يعد عذابا ومحنة (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك) هود :١١٩ وحذرنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من الاختلاف في اليقينيات أيضا عندما قال صلى الله عليه وسلم (إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب) رواه مسلم واحمد

وعند الاختلاف في الكتاب وجهنا الله سبحانه وتعالى في قوله (فإن تنازعتم في شي ء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) النساء :٥٩.

حتى لا نضل نهانا الله أن نتبع الهوى فتعمى بصائرنا، ونكون في مؤخرة الأمم (أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا) الفرقان :٤٣(ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) النمل :١٣ (قل الله أذن لكم أم على الله تفترون) يونس :٥٩.

أهم ميزة يتميز بها المنهج الوسطي هو اليسر فعن محجن بن الأدرع رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (إن الله تعالى رضي لهذه الأمة اليسر وكره لها العسر) رواه ابن حبان ، وقال صلى الله عليه وسلم (إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين) رواه الترمذي

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه مالا يعطي على العنف) رواه ابن ماجه وابن حبان .

هذه الوسطية تأمر بالعدل وعدم ظلم الآخرين حتى وإن كنا نبغضهم لظلمهم لنا (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا اهو اقرب للتقوى) المائدة:٨.

تتصف الوسطية كذلك بالعالمية وقبول الآخر (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وهم ليسوا سواء حتى ينظر إليهم نظرة واحدة.

المنهج الوسطي يقبل عذر الأمة في وقت الأزمات والفتن وعند اختلاف القلوب فامرؤ ونفسه (يا أيها الذين امنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون) المائدة ١٠٥

من وسطية هذه الأمة أنها شاهدة على الناس وهذه الشهادة لابد أن تكون شهادة عدل واعتدال، والمعتدل هو من لا يملك الحقيقة المطلقة، ويقبل بنسبية الحقيقة الاجتماعية، وغير آحادي التفكير ويقبل بالتعددية ، ولا يرى ما يطرحه من أفكار ورؤى بأنها مقدسة، ويحترم آراء الآخرين ومن ثم فهو لا يملك الوصاية عليهم وليس قاضيا يحكم عليهم.

وعلى أساس هذا المنهج نقيم أنفسنا به، لا عليه، والرموز الإسلامية والجماعات والتيارات ليست كلها معصومة من الخطأ ، وليست هي مصادر تشريعية نستقي منها شريعتنا، فهي مجتهدة فإن أصابت فلها اجرين وإن أخطأت فلها أجر، ونلتمس لهم العذر لاختلاف ظروفهم المحيطة بهم عن ظروفنا، ويمكن أن نحاورهم ونتفق معهم أو نختلف ضمن دائرة الإجلال والتقدير والاحترام، لما قدموه للأمة من إرث نضيف إليه بما يتناسب وظروفنا الحالية، كما أضافوا هم دون النيل منهم أو التجريح بهم.

من الخطأ المنهجي والمنطقي محاكمة أي قيمة فكرية بالممارسات التي تنسب إليها، وإذا كان هناك من أساء إلى الرؤية الوسطية أو ابتذلها، يجب محاكمته بمعايير الوسطية وليس محاسبة الوسطية ذاتها، فالقاعدة أن القيمة تحاكم الفعل وليس العكس لأن المنهج الإسلامي الوسطي بريء من كل الممارسات التي تمارس باسمه فهو منهج إسلامي وسطي مستقل معتدل في التفكير وفي العمل والسلوك الفردي والجماعي .

فلتكن غايتنا الإصلاح والعودة بالأمة الإسلامية إلى الطريق الصحيح ، وأن الطريق صعب وطويل ولتكن العزة بالحق وبقوة الدين من أجل نجعل كل من انخرط في داعش أو في التنظيمات والجماعات الجهادية تراجع نفسها وفق منظور منهج الإسلام الوسطي بدلا من استمرار التغرير بهم من قبل جماعات مشبوهة أو متطرفة.

الحرب الشاملة على الإرهاب البداية من الجذور:

الجميع شارك في صناعة الإرهاب بشكل مباشر أو غير مباشر، بقصد أو من دون قصد، الولايات المتحدة بمفردها أصبح هاجسها الوحيد منذ ١١ سبتمبر هو القضاء على الإرهاب السني ، بعدما نجح اللوبي الصهيوني في إلصاق تهمة الإرهاب بالمكون السني دون الشيعي استعدادا لمرحلة جديدة من الصراع بين المكونين ، بناء على هذا الهاجس بنت الولايات المتحدة خططها ،والتي تتغير من حين لآخر بناء على متغيرات ومعطيات مستجدة.

حاولت الولايات المتحدة استثمار الثورات العربية لصالحها ،ووجدتها فرصة في دعم جماعة الإخوان المسلمين التنظيم العالمي ،وصاحب أكبر قاعدة شعبية في العالم العربي، وخصوصا في مصر ،سبق أن اكتسحت العديد من الانتخابات في مناطق عدة من العالم العربي ، حماس في غزة عام ٢٠٠٧ ، وكذلك في الأردن ومصر والمغرب، وبشكل خاص النسخة التركية المعدلة في تركيا ، الذي تسلم أردوغان دفة الحكم لمدة عقد كامل من الزمن ،وأثبت نجاحه في قيادة نمو اقتصادي تضاعف دخل الفرد أكثر من ثلاثة أضعاف مما جعل الولايات المتحدة تراهن على تنظيم الإخوان.

هدف الولايات المتحدة في دعم الإخوان من أجل احتواء الإرهاب في المنطقة لحماية العالم الغربي من خطره ، لكن السعودية ومصر الشعب والجيش اللذان انقلبا على الإخوان ،عندها ارتبكت خطط الولايات المتحدة الخاصة بالقضاء على الإرهاب.

تدرك الولايات المتحدة أن القضاء على الإرهاب غير ممكن بشكل كامل، لكنها تريد محاصرته في الشرق الأوسط حتى لا يصل خطره إلى العالم الغربي ،ما جعل الملك عبد الله يهدد الغرب من أن الإرهاب سيصل إلى دولهم إن تركوا الإرهاب يتمدد في المنطقة بعد ترك سوريا حاضنة للإرهاب نتيجة الصراع الدولي والإقليمي حول سوريا.

لم ترتبك خطط الولايات المتحدة بعد إسقاط الإخوان ومحاصرتهم فقط ، بل ارتبكت خطط تركيا أيضا ، كما أن الولايات المتحدة عاقبت المعارضة السورية التي رفضت محاربة الجماعات المتشددة في سوريا مثل جبهة النصرة ولم تمدها بالسلاح النوعي الذي وعدتها به عدد من المرات ، وترك النظام السوري عدوهم الرئيسي الذي يستهدفهم بالبراميل المتفجرة والكيماوي.

هنا قرأت إيران وروسيا وحزب الله والنظام السوري المشهد وهدف الولايات المتحدة الرئيسي القضاء على الجماعات المتشددة في المنطقة ، فتعمدت ترك الجماعات المتشددة تنمو وتترعرع حتى توسعت من دون أي استهداف، لإجبار

الولايات المتحدة بأن تقبل واقع النفوذ الإيراني والروسي وبقاء النظام السوري في المنطقة.

لكن بعد تمدد داعش إلى العراق، فقد انقلب السحر على الساحر وأربكت جميع الخطط والاستراتيجيات المعدة سلفا.

بدأت تتجه الولايات المتحدة في قيادة تحالف دولي لمحاربة داعش انطلاقا من مؤتمر بدعم كامل من مركز القيادة الإسلامية من السعودية في جدة ، مستبعدة إيران والنظام السوري وحزب الله، بل أجبرت إيران على القبول بحكومة سياسية جديدة في العراق الذي قلص من النفوذ الإيراني ولكنه شرط لمحاربة الإرهاب الذي يهدد ليس فقط المصالح الأمريكية في العراق بل حتى المصالح الإيرانية في المنطقة وخصوصا في العراق.

نجح اللوبي الصهيوني في تركيز نشاطه في منطقتنا، رغم أننا لسنا بريئين من ممارسة أخطاء، خصوصا عندما تقلصت مقاصد الإسلام في ثقافتنا الإسلامية.

إذ أن الدين الإسلامي عقيدة وشريعة ورسالة ، لكن البعض منا ، ولكن هذا البعض له أثر سئ وواضح وكبير جدا على مجريات المنطقة ، وهذا البعض أحدث خللا في التوازن بين المكونات الثلاثة لهذا الدين ،فوسع من دائرة العقيدة على حساب الشريعة والرسالة ، وجعل من العقيدة النافذة الأكبر نحو العلاقة مع الآخر ،مما قلص من دائرة الشريعة التي يجب أن تكون دائرتها أوسع من دائرة العقيدة ،وأيضا قلص من دائرة الرسالة التي يفترض أن تكون أوسع المكونات الثلاثة بسبب علاقتها بالآخر وهي النافذة التي من خلالها تقام الحجة على الناس جميعا (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا).

منح الأزهر الملك عبد الله بن عبد العزيز الدكتوراة الفخرية له عدة معاني ليس فقط اعتراف بالجميل في دور السعودية المساند لمصر في التخلص من تمسك الإخوان بالشرعية وتهديد الأمن والاستقرار المصري.

منح الدكتوراة كان له هدف سياسي من أجل تحقيق الشراكة بين المرجعيتين السعودية والمصرية ،لمعالجة نقاط التشدد التي تستهدف الحكومة السعودية في

كثير من المواقف المحلية والدولية التي تقدم عليها الحكومة السعودية ،خصوصا فيما يتعلق بدعم التحالف العالمي ضد الإرهاب، وأن هذا التحالف هو من التعاون ضد التهديد المشترك، وليس من قبيل المولاة للكفار كما في الآية الكريمة (ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين).

منح الملك عبد الله الدكتوراة الفخرية هي إيذان بولادة مرجعية جديدة متحالفة ،يمكن من خلالها مراجعة النصوص التي كانت السبب في خروج الإرهاب، وفي نفس الوقت سحب البساط من الاتحاد العالمي الذي يتزعمه القرضاوي المدعوم من قطر وتركيا كجزء من الضغوط التي تمارسها مصر والسعودية تجاه جماعة الإخوان المسلمين ، التي هي الأخرى حاولت سحب البساط من الأزهر الشريف.

مثل هذا التحالف سيعطي زخما جديدا ،وأهمية هذه المرجعية الجديدة من أجل تطوير مفاهيم المرجعية الدينية التقليدية في المنطقة المدعومة برافعة دينية مجتمعية وبخيارات فقهية دينية متشددة بعد ثلاثة قرون من التوأمة بين النظام الروحي لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والنظام السياسي في السعودية ،ساهمت في وحدة وتماسك الدولة.

قد يكون هذا الاعتلال أصاب دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الأتباع والمريدين، الذين لم يفهموا جوهر دعوة الشيخ التي ظهرت في زمن غير الزمن الذي يعيشون فيه ولم يتبنوا مقاصدها ،خصوصا فيما يتعلق بإلغاء التبعية الدينية المطلقة التي كرست قدسية الزعامات الفردية، ولم تتمكن من إنشاء مرجعية مؤسساتية بدلا عن الاعتماد على المرجعية الفردية ،ومن الخطأ تحميل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وزر الأتباع والمريدين الذين قدسوا دعوته ودعوة علماء آخرين غيره.

تحاشت الحكومة التعرض للمرجعية الدينية الفردية من أجل تطويرها في الفترة الماضية ، وانشغالها بمحاربة الإرهاب بدعم مقدم من تلك المرجعية التقليدية.

لم تتمكن من التصدى لمصادر الإرهاب الكائنة والمتأصلة في تراث الفقه المتشدد ، ما جعل المجتمعات لقمة سائغة لهذا التشدد ، تسببت في ولادة تيارات هجينة ، ما يسمى بحركات التيار الإسلامي ،ترفض المواطنة والدولة المدنية ،وتشكك في هويات المجتمع ،أفشلت الحوارات الوطنية التي قادتها الدولة للحفاظ على النسيج الاجتماعي.

تتطلب المرحلة الجديدة مراجعة جذرية للرؤية السلفية مستفيدة من هذا التحالف الناشئ ،وانجاز مصالحة تاريخية مع العصر ،خصوصا فيما يتعلق بالتكفير الذي توسع فيه مجموعة من العلماء ،والحاكمية والردة والولاء والبراء ،خصوصا المصاغة في نواقض الإسلام العشرة المعتمدة على نصوص شرعية.

لكن يتفاوت فهم وتفسير هذه النصوص بين العلماء ،والأخطر من هذا عندما يتم تغليف الرؤية الضيقة والمتشددة وإلباسها لبوس السياسي تتخفى تحت أقنعة حقوقية وديمقراطية ،لتضليل المؤسسات العالمية الحقوقية، وكسب ودها ،وتحصل على دعم حقوقي وأن مطالبها مدنية ضد الاستبداد.

بينما هي تخفي أجندة سياسية كحلم الخلافة مثلا ،وهذا ليس دفاعا عن أي استبداد يمكن أن تمارسه أي حكومة وهو حقيقي وواقعي لا يمكن إنكاره ،ولكن لا يكون البديل أيديولوجية تمارس استبدادا آخر، قد يقال بأن حزب العدالة والتنمية في تركيا قد نجح في القيادة السياسية ولكن هناك فارق أنه استطاع أن يتصالح مع العصر.

تقديس مجموعة من العلماء يعزز من التقليد والتبعية العمياء ،حرم مجموعة من العلماء أن يصرحوا بآرائهم المخالفة للآراء التقليدية ، التي اعتبرت ما تصرح به إجماعا خاصا للسعودية ،خصوصا فيما يتعلق بحقوق المرأة السعودية التي يعتبرونها من التحرر ويعتبرونها من المسلمات التي يجعلونها دون رقابهم وأنه إجماع خاص بالسعودية لا يمكن مخالفته.

تلك الرؤية القاصرة تفرض على المجتمع قبول النصوص الضيقة والخاطئة دون التأمل فيها ،خصوصا في ظل غياب مرجعيات دينية لأهل السنة في العالم الإسلامي مثلما موجود لدى الشيعة.

حتى المرجعيات ليست مقدسة ،ولكن تمتلك من العلماء الذين لديهم القدرة على الاجتهاد وعلى الاستنباط بما يتماشى مع ضرورات العصر دون التخلي عن الثوابت.

هناك حالة تقاطع سياسي وفكري بين الإسلام السياسي وبين الإرهاب بسبب أن الأصولية العقائدية جذر مشترك بين الطرفين كدافع ، لكن إذا جرى تثوير أي منهما يمكن إنتاج نسخة جديدة لأي منهما ،ولا ننسى أن جماعة التكفير والهجرة في مصر كانت بخلفية إخوانية ،كما أن القاعدة وداعش بخلفية سلفية.

المرأة نالها شئ كبير من هذه الرؤية الضيقة ،وهي قادرة على مشاركة الرجل ،وقادرة على المشاركة في التنمية ،وفي صنع السلام ،وفي نزع فتيل النزاعات،مثلما صنعت أم سلمة زوج رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، وفكت رموز أزمة شديدة حدثت في صلح الحديبية ،حينما أشارت على الرسول صلى الله عليه وسلم بالخروج وحلق رأسه وذبح هديه وسيتبعه بقية الصحابة المتضجرين من الصلح المجحف الذي وقعه مع كفار قريش.

لم يرفض الرسول صلى الله عليه وسلم هذه النصيحة ،ما يعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم دشن لمرحة حقوق المرأة السياسية وغيرها من حقوق، ورفض الأخذ بعوامل القوي بأن الحل فقط يكون في يد الرجل دون المرأة.

أصبح الأطفال والشباب في زمن أدوات التواصل الاجتماعي عرضة للاختطاف والضياع وسط أدغال المفاهيم الضيقة والمتشددة ،وقد تكون مغلوطة أيضا ، تؤدي في النهاية إلى القيام بأعمال سلبية وخطيرة على أمن المجتمعات المحلية والعالم ،وأخرجت أجيالا غير قادرة على التعامل مع العصر ومع الآخر والتي تبدأ من الديني العقدي بمعزل عن الشريعة والرسالة وتمر بالمجتمع تكون قد اختزلت الإسلام كدين حياة.

هناك إطار فكري ينظر للتطرف ، خصوصا وأن التراث السياسي الإسلامي فقير في العديد من المصطلحات، مثل الدولة التي لم تحظى بالتنظير والتحديث.

لذلك نجد أن الجماعات المتطرفة تستنبط فكرة الغزو ،ومن فكر فقهاء السلطان التي تحتاج إلى تحديث فكرة المواطنة والتعايش والدولة المدنية والأقليات، مثلما حدث في الحالة التركية من دمج سياسي ودمج مؤسسي ولكن لم يحدث مثل هذا في مصر.

الظروف الموضوعية، والانسداد السياسي، والغزو الأجنبي، ليست جميعها مسوغا للعنف ولا للتطرف والإرهاب، لأن الدين يستضئ بنور العقل لا بظلمات الجهل والأتباع والمريدين، خصوصا بعدما طغى الإسلام السياسي وغابت عنه مسألة المعنى والروحانيات، أي عودة الدين بأبعاده الروحية والأخلاقية وليس فقط بالشعائر التي ليست كل الدين.

ظهرت فكرة استخدام الدين سلاحا في النزاعات والحروب ضد القوى الأوربية لأول مرة في القرن ال١٨ عندما غزا نابليون مصر، وأشاع أنه اعتنق الإسلام، ويسعى لتحرير المسلمين من حكم الكفار قاصدا البريطانيين.

بسبب غياب طبقة رجال دين منظمة في الأزهر ذات قواعد شعبية كما الحال في إيران ترك فراغا ملأته جماعة الإخوان المسلمين التي تسيس الدين (التأسلم السياسي) مثلها مثل وجود الديمقراطية بغير تقدم اقتصادي يفضي إلى موت الديمقراطية ،وهي إجابة لكل من يتساءل عن فشل تطبيق الديمقراطية في العالم العربي لأنها لم تقترن بتقدم اقتصادي.

الإرهاب يبدأ فكرا ، أي أنه يبدأ بفكرة خبيثة متأسلمة تقوم على التفسير النصي، وتستخدم العنف كوسيلة مشروعة لتحقيق الأهداف لا تلبث أن تقتاد صاحبها أو متلقيها خطوة في طريق المفاصلة مع المجتمع أو مع كل مختلف معه ويصبح الآخر هو العدو، بينما كان السلف الصالح كان يتعاطى مع النص الديني على أساس وجود راجح ومرجوح ،وعلى أساس أن النص الراجح عادة هو الذي

ينبغي روايته وأن المرجوح هو الذي ينبغي تجاهله ، لذلك ما تم ترجيحه لفترة معينة لا يلزم التاريخ والمستقبل.

عندما نحاول قراءة الخطابات التكفيرية القديمة والحديثة ،فإن أعيننا لن تخطئ اعتمادها على مجموعة من المفاهيم والأفكار من أهمها الولاء والبراء ، وموضوع الحاكمية التي توحد جميع التيارات الحركية ، وأن سلوك التكفير سلاح الجميع أيضا .

مفهوم الحاكمية لا ينسجم والمشاركة السياسية ضمن نظام ديمقراطي ، وتصوراته حول جاهلية المجتمع الحديث خطر على تعايش المسلمين مع غيرهم ، لأن محاولات التقريب بين المذاهب وحوار الأديان يبقى مجرد مجاملات من دون الاعتراف بالآخر كشريك حقيقي في الوطن والدولة ، لأن نبينا الكريم أذن بحقوق الإنسان على عرفة لتعرف له البشرية حقه بعد أن قاد نهضة التنوير الكبرى في التاريخ الإنساني.

يمكن الجمع بين الدين والدنيا جمعا مريحا ، توسطا واعتدالا من دون لحظة تسييس بينهما ، في ظل تسامح مذهبي وفكري تتعالى على الطائفية المقيته، التي تقود إلى فتنة طائفية وعرقية وإلى التقسيم الفعلي كما يدور في العراق وسوريا ولبنان.

الطابع التاريخي للفقه السلطاني والإسلام السياسي غير ملزم، وهي من الأحكام الظنية الاجتهادية ، التي ليس فيها ثوابت سوى مبادئ العدل والشورى بصفتها حدودا قصوى منظمة لمجال الحكم.

يجب أن نتعاطى مع كل الفقه الإسلامي وليس مع بعضه دون الآخر ،وننتقي منه ما يناسب زماننا حتى نفض الاشتباك بين العقل والنقل ،ومحاولة إيجاد أرضية مشتركة ، حتى نصل إلى قاعدة تغير الأحكام بتغير الأزمان، وبناء منظومة أصولية جديدة ترتكز على الأبعاد المقاصدية في الدين والميل للترخيص والتيسير وفق ما أصبح يدعى بفقه الأولويات أو فقه الواقع .

خلاف ذلك يقود إلى التعصب الذي يرى أنه يمتلك الحقيقة المطلقة ،ولا يعرف معنى الشك ولا البحث المتدرج أو الصعب والبطئ من أجل التوصل إلى الحقيقة لإيقاف الصدام الحاصل الآن بين حركات الإسلام السياسي وبين الواقع الحديث.

إذا أردنا أن نقلص من خطر الإرهاب، علينا أن نجري قراءة جديدة للإسلام على ضوء قيمه وغاياته ، والتركيز على الجانب الأساسي في هذا الدين وهو الإيماني الروحي السلمي المتسامح .

الخطاب الديني التقليدي نشأ بعد ذبول الحضارة الإسلامية وإغلاق باب الاجتهاد والدخول في عصر الاجترار والانحطاط طيلة العصر السلجوقي والإمبراطورية العثمانية، تقلصت دائرة ما يمكن التفكير فيه إلى أقصى حد ، واتسعت دائرة اللامفكر فيه أو المستحيل التفكير فيه.

للخروج من العقلية الضيقة والمتعصبة ،يجب القيام بحركة معاكسة تماما ،أي توسعة دائرة المفكر فيه أو الممكن التفكير فيه في الإسلام ،وتقليص دائرة المستحيل التفكير فيه تدريجيا.

الخاتمة

ما بين السيادة الوطنية وما فوق الدول

هناك نظريتين حول السيادة فتوماس هوبز نادى بالسيادة المطلقة بينما جون رولز نادى بالعالم التعاوني أي السيادة ما فوق الدول لكن ألا يوجد نموذج ثالث يجمع بين النظريتين في الحقيقة هناك ما يسمى بالدولة ما بعد الحديثة باعتبارها وحدة البناء الأساسية للتنظيم السياسي والإيمان بمثل تلك النظريات لا تنفصل عن التطور العالمي لأن التوازن العالمي الذي يحدث بفعل التحالفات تتغير بفعل تطورات وأحداث عبر الزمان والمكان .

فأزمة الرهون العقارية وأزمة اليورو أيقظت أشباح القومية لذلك نجد دور التجارة متعددة الأطراف متوقفة منذ جولة الدوحة وحتى الآن لم تتمكن منظمة التجارة العالمية التمكن من تحريك المياه الراكدة ولكن في المقابل نشطت التجارة الحرة التفضيلية بين الدول والكتل ، فالبعض يراها لا تتعارض مع التجارة المتعددة بل يراها مقدمة وضرورية لإنجاح مفاوضات التجارة متعددة الأطراف ولكن هناك أراء أخرى ترى عكس ذلك فالنظام المتعدد الأطراف الذي نشأ ما بعد عام ١٩٤٥ بدأ يسقط ويدخل في أتون الفوضى لصالح صعود القومية .

ونجد أن الدول الناشئة مثل الصين والبرازيل والهند بدأت تنقب عن المفاهيم التقليدية للسيادة الوطنية من أجل استعادة النظام الدولي الذي أنشئ في صلح وستفاليا عام ١٦٤٨ لكن السياسيين يرون أن التنقيب عن مثل تلك المفاهيم التقليدية تنقيب وهمي ، أيا يكن فإن العالم دخل مرحلة المصالح المشتركة ما يعني أن الدول عليها أن تتخلى عن المفاهيم الضيقة عن السيادة الوطنية لصالح الأمن والرفاهية التعاونية أي أنها لم تعد مطلبا بل أصبحت واقعا .

ورغم ذلك فهناك محاولات استعادة للسلطة المفقودة ما بعد الأزمة المالية التي عصفت بالعالم وبدأ يظهر مصطلح التصرف بانسجام جماعي لأن القوى

الصاعدة لم تعد تقبل القواعد التي كتبت من قبل القوى الراسخة وخصوصا من قبل الولايات المتحدة التي بدأ يتراجع دورها عن دور الشرطي الدولي بينما تحاول روسيا في المقابل البحث عن الأمل في عودة الدولة الروسية القيصرية لذلك فهي من الدول الكبرى التي ترى أن لا تفاوض حول السيادة وتتخذ من صلح وستفاليا مرجعية الذي يقضي بعدم تدخل الدول في الشأن السوري بالطبع يتخذ بوتين التمسك بمثل تلك المرجعيات من أجل تعزيز بقاء مصالح روسيا في الشرق الأوسط خصوصا وأن القاعدة الروسية في طرطوس هي الوحيدة المتبقية لروسيا ما بعد الإتحاد السوفيتي السابق في الشرق الأوسط .

وفي المقابل لم تعد الولايات المتحدة كذلك التفرد في وضع القواعد العالمية على مزاجها الخاص مثلما كانت تفعل بعد الحرب العالمية الثانية وتتظاهر اليوم بأنها تقوم باحترام النظام العالمي الجديد الذي تخيله جورج الأب بعد سقوط جدار برلين ولكن نقضه ابنه بوش بالحرب على الإرهاب بعد أحداث ١١ سبتمبر بينما اليوم تتعرض الولايات المتحدة في عصر أوباما لتحد من صعود الصين وتتعرض لعرقلة من بوتين روسيا ولم تعد تتحمل الولايات المتحدة تبعات النزعة الدولية المكلفة خصوصا بعد الأزمة المالية التي ألمت بها حتى لا تترك المجال للصين تستفرد بالعالم عام ٢٠٥٠ .

وبدأت تتجه الولايات المتحدة نحو التحالفات على المخططات ذات النزعة الدولية متعددة الأطراف وحتى أوربا ما بين الدعوة للاتحاد وبين عزف القوميين ، وبعدما كان البريطانيون يطالبون بالانضمام إلى أوربا بدأوا ينضمون إلى مشاعر المحافظين العدائية ضد الإتحاد الأوربي نتيجة الظروف الاقتصادية العصيبة وانعدام الإحساس بالأمن .

ورغم ذلك فإن حقائق العولمة لم تتغير لأن الاعتماد المتبادل حقيقة لا مراء فيها خصوصا بالنسبة للدول الكبرى والدول غير المنتجة ورغم أن البعض يعتقد بأن الإتحاد الأوربي والولايات المتحدة يتمتعان باكتفاء ذاتي ولكنه اكتفاء نسبي وينمو كل منهما من خلال الاعتماد المتبادل وبذلك يمكن أن نعرف السيادة

الوطنية بأنها القدرة على التصرف وتشترك مع الدول في مصالح مشتركة لا يمكن تجنبها ويجب أن تعترف بالأهداف المشتركة إلى جانب الأهداف الوطنية .

واليوم ما يحدث في سوريا فالمجازر الكيماوية ليست ضد الشعب السوري بل هي ضد الإنسانية فالمجتمع الدولي بديل لمجلس الأمن الذي احتكرته روسيا والصين واستنفدت ثلاث فيتو ضد التدخل لإنقاذ الشعب السوري من طغاة دمشق فقواعد اللعبة قد تغيرت وهناك اليوم تحالف مجتمعي حقيقي وليس تحالف ناتو كما يصوره البعض فروسيا التي يلتقي فيها الدين مع كوسوفو لم تتدخل حينما قام المجتمع الدولي بضربة مباشرة على الصرب عام ١٩٩٩ وكذلك اليوم لن تتمكن روسيا من المواجهة بل استخدمت روسيا ذريعة لتحقيق أهداف خاصة للولايات المتحدة .

فالمجتمع العالمي اتخذ قرارا دوليا سياسيا حتى ولو لم يكن قانوني ولكنه مشروع والتصرف خارج مجلس الأمن تكليف بمعايير دنيا لوجود أدلة دامغة على استخدام نظام دمشق الكيماوي ضد شعبه فتدخل المجتمع الدولي اليوم هو تدخل إنساني بصرف النظر عن أحقية التدخل التي تعارضه المدرسة التقليدية .

ولكن هل تدخل المجتمع الدولي بقيادة الولايات المتحدة هو تدخل على غرار التدخل في عهد الأب بوش أم في عهد بوش الابن في العراق ؟ وهل انتصرت نظرية كيسنجر بترك إيران والعراق يقاتلون بعضهم بعضا لاستنزاف كل منهم قوى الآخر وهو ما حدث في الفترة الماضية في سوريا ما بين النظام السوري والمعارضة ويبدو أن سوريا الشعب والدولة قد تدمرت ولكن النظام السوري تجاوز الخطوط الحمر التي رسمتها له البيت الأبيض وهناك دخان يخرج من البيت الأبيض لتأديب النظام السوري فقط على استخدامه الكيماوي وليس إسقاط النظام حتى لا يتسبب النظام السوري في خسائر إقليمية وتهديد للمصالح الأمريكية في المنطقة وقد يترك النظام السوري لفترة لاحقة مثلما ترك نظام صادم حسين فترة طويلة جدا إلى أن تم إسقاطه بعد أحداث ١١ سبتمبر وليس شرطا أن تتكرر سيناريوهات سابقة اليوم .

لكن بدأ الإرهاب يدق ناقوس الخطر لتعود الولايات المتحدة إلى المنطقة ولكن هذه المرة يتم الاستنجاد بها ويتم تحميلها أنها تركت الإرهاب ينشأ ويتمدد نتيجة تخليها عن أداء واجبها كدولة عظمى وستفرض شروطها على دول المنطقة وتستعيد مكانتها وقوتها عبر الشرق الأوسط وعبر محاربة الإرهاب وتعيد ترتيب المنطقة وفق النموذج العراقي الذي استنسخ النموذج اللبناني وليس النموذج الليبرالي.